



عمادة الدراسات العليا

جامعة القدس

"ابا روما بندكت السادس عشر: سيرته، وموقفه من الإسلام من خلال كتابه: "بلا جذور":
دراسة تحليلية".

مروان محمد عبد القادر أبو فارة

رسالة ماجستير

القدس - فلسطين

1443 هـ / 2021 م

"بابا روما بندكت السادس عشر: سيرته، وموقفه من الإسلام من خلال كتابه: "بلا جذور": دراسة تحليلية".

إعداد الطالب: مروان محمد عبد القادر أبوفارة

بكالوريوس المهن الصحيّة (تمريض) - جامعة الخليل

إشراف: أ.د. مشهور الحبّازي

قُدّمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في الدّراسات الإسلاميّة المعاصرة في
كلّية الآداب - عمادة الدّراسات العليا - جامعة القدس.

1443 هـ / 2021 م.



عمادة الدراسات العليا

جامعة القدس

إجازة الرسالة

"بابا روما بندكت السادس عشر: سيرته، وموقفه من الإسلام من خلال كتابه: "بلا جذور": دراسة تحليلية".

اسم الطالب: مروان محمد عبد القادر أبو فارة.

الرقم الجامعي: (21620265)

المشرف: أ.د. مشهور الحبازي.

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ (2021/11/23 م)، من أعضاء لجنة المناقشة المدرجة أسماؤهم وتوقيعهم:

التوقيع:

١ رئيس لجنة المناقشة: أ.د. مشهور الحبازي

التوقيع: أ.د. داود دعس

٢ ممتحناً داخلياً: الدكتور أحمد داوود دعس

التوقيع:

٣ ممتحناً خارجياً: الدكتور شفيق عياش

القدس - فلسطين

1443 هـ / 2021 م

الإهداء

المؤمن لا يشرع في شكر المخلوقين قبل ردّ الفضل للمنعم المطلق، والواهب الرزاق، ذي الجلال والإكرام، فالحمد لله حتى يبلغ الحمد منتهاه، وله الحمد عدد مخلوقاته، ما تعاقب الليل والنهار.

ولمقام النبي الأمي، صلى الله عليه وسلم، أهدي هذا الجهد المتواضع، فهو ﷺ القدوة في السير إلى الله، تعالى، وهو لبّ القلب، ومدار الحب، وجزاه الله، تعالى، خير ما جزى نبياً عن أمته، وأناله الله، تعالى، المقام الأعلى والمطلب الأسنى، وجمعنا به غير مبدلين ولا عن الصراط حائدين.

ولوالدين نصيب كبير، وحظ عظيم من الإهداء، فهما أصل السعي نحو العلم، وهما من شجع وتابع، فلروح والدي الذي مضى لربه دون أن أشهده، رحمه الله، ولأمي الرؤوم الحنون، مُحبة العلم، أهدي هذا الجهد.

ومن ثم رقيقة الدرب، التي كانت نعم الرقيقة والمعينة، فصبرت على الغياب، وتابعت وحتت، ووقرت كل وقت، وأسهمت بصبرها في الوصول إلى هذا الجهد وغيره، فجزاها الله، تعالى، خير الجزاء.

وأهدي هذا الجهد، لعلماء درجت على فقههم، ونهلت من علمهم، فوجدتهم أفنوا أعمارهم في الدفاع عن الإسلام، ومنهم: الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي، والشيخ الدكتور محمد الغزالي، والدكتور محمد عمارة، والأستاذ سيد قطب، والشيخ الدكتور محمد قطب، والشيخ الدكتور سعيد حوى، والشيخ محمد أحمد الراشد، فجزاهم الله، تعالى، خير الجزاء، وتقبل جهدهم.

وأهدي هذا الجهد لرفاق الدرب في الأسر، الذين أمضيت شطر عمري برفقتهم، صبرنا معاً، وتدارسنا سوياً، وتشاركنا الحياة، بمرّها العلقم، ومع ذلك لم تلتن لهم قناة، ولا منعهم الأسر من التعلّم والتعليم، فكانوا شعار التميّز حيثما حلوا.

ولا يمكنني أن أنسى، أقمار درب السير نحو الله، تعالى، الشهداء الذين مهروا هذا الدرب بدمائهم، فكانوا الجامعين بين القول والفعل، فلهم جميعاً أهدي هذا الجهد، وأسأل الله، تعالى، أن يجمعنا بهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر. ومن ثم أهدي هذا الجهد لكل مسلم غيور، يسعى لرفع الشُّبه عن دينه، ويدافع، وينافح، ويكافح الباطل، يبتغي وجه ربه تعالى.

الباحث: مروان محمد عبد القادر أبو فارة.

إقرار:

أُقرُّ أنا معدّ الرسالة، أنّها قدّمت لجامعة القدس، لنيل درجة الماجستير، وأنّها نتيجة أبحاثي الخاصة، باستثناء ما تمّت الإشارة إليه حيثما ورد، وأنّ هذه الرسالة، أو أي جزء منها، لم يُقدّم لنيل درجة عُليا لأية جامعة، أو معهد آخر.

الباحث: مروان محمد عبد القادر أبوفاة.

التوقيع: مروان أبوفاة

التاريخ: 2021/11/23م.

شكر وعرّفان

الحمدُ لله ربّ العالمين ، والصّلاةُ والسّلام على إمام المرسلين، وصحبه الغرّ الميامين، وعلى مَنْ سار على دربه واهتدى بهديه إلى يوم يبعثون، وبعد:

فشكري وعرّفاني للأستاذ الدكتور مشهور الحَبّازي؛ لجهده الكبير، وجلده غير المسبوق، في تحمّل كثرة أسئلتِي، ومراجعاتي وتواصلِي، فحفظه الله، تعالى، ونفع به، وجزاه خير الجزاء.

والشكر موصول لمنسّق البرنامج السابق الدكتور أحمد داوود دعمس، الَّذِي كان نعم المتابع والمرشد، ولمنسّقة البرنامج الحاليّة الدكتورة بنان صلاح الدين، أنالهما الله، تعالى، مرادهما في الدارين.

وشكري للدكتور شفيق عيّاش، الفقيه الهينّ اللينّ، فجزاه الله خيراً على سعة صدره، وعلى علمه الَّذِي نهلناه منه. وشكري الدكتور غسان سرحان، الَّذِي تعلّمت منه أساليب جديدة في النّظر للنّصوص وطريقة تحليلها، وشكري للأستاذ الدكتور حسام الدين عفانة، الَّذِي أفدت منه كثيراً في فقه الاقتصاد الإسلاميّ، والمصارف الإسلاميّة، والشكر موصول للدكتور حسن عارف الخطيب، الَّذِي أفدت منه في مجال القضيّة الفلسطينيّة.

الباحث: مروان محمد عبد القادر أبوفارة.

المُلخَص:

هدفت هذه الدراسة "بابا روما بندكت السادس عشر : سيرته، وموقفه من الإسلام من خلال كتابه: "بلا جذور": دراسة تحليلية"، إلى فهم الدوافع الفعلية وراء مواقف بابا روما بندكتوس السادس عشر من الإسلام، وتحديدًا المواقف الواردة في كتابه: "بلا جذور" والمواقف الواردة في محاضرة "الإيمان والعقل"، التي ألقاها في جامعة ريجنسبرغ في ألمانيا.

وقد دفعني إلى هذه الدراسة أسباب عديدة ، منها: عدم وجود ترجمة-فيما أعلم- لكتاب "بلا جذور"، وكذلك الرغبة في فهم مواقف بابا روما ضد الإسلام، في أكثر من مؤلف له، والتي أثارت غضب المسلمين في أرجاء الأرض، وكذلك غياب سيرة حياة أكاديمية لبابا روما بندكت السادس عشر وموقفه من الإسلام، وأخيرًا ضرورة فهم الموقف الرسمي للمسيحية الكاثوليكية من الإسلام من خلال مؤلفات بابا روما بندكت السادس عشر.

وللوصول إلى النتائج المرجوة، فقد اعتمدت في دراستي هذه المنهج التكاملي، فاستخدمت التاريخي، والوصفي، والتحليلي، في جمع المعلومات من مصادرها، ومقارنتها، وتحليلها من أجل الوصول إلى النتائج المرجوة.

وقد خلّصت هذه الدراسة إلى خمس نتائج هي:

1. تعتبر مواقف بندكت السادس عشر نابعة من أمرين، الأول: التحاقه بالشباب النازي في شبابه، والثاني: انضمامه للتيار اللاهوتي الكاثوليكي المتطرف في أثناء تدرجه في عمله الكنسي.
2. أسهمت أزمة الوجود والهوية التي تُعاني منها أوروبا الغربية، في صياغة كثير من المواقف المتشددة لبندكت السادس عشر والتيار الذي يمثله، وذلك نابع في الأساس من تنكّر أوروبا الغربية للكنيسة الكاثوليكية، ورفضها الاعتراف بدور المسيحية الكاثوليكية في صناعة الحضارة الأوروبية الغربية.
3. المواقف المسيحية الكاثوليكية من الإسلام تأتي ضمن سلسلة طويلة من العداء الغربي للإسلام، تبدأ من لحظة ظهور النبي محمد، ﷺ في التاريخ، وهذا العداء الغربي يشمل كلّ معالم الإسلام: الدينية، والحضارية، والثقافية.

٤. كان بندكت السادس عشر متعمداً فيما قاله في محاضرة "الإيمان والعقل" حول الإسلام والنبى محمد ﷺ وأكد على ذلك من خلال الصيغة النّهائيّة للمحاضرة التي نشرها موقع الفاتيكان الرسميّ.

٥. تتقاطع مواقف بندكتوس السادس عشر من الإسلام مع مواقف اليمين الأوروبيّ الغربيّ المتطرّف، في مسائل كثيرة، منها: الموقف الرفض للمهاجرين المسلمين، ورفض المظاهر الإسلاميّة في أوروبا الغربيّة، وربط الإرهاب كمسمى ومضمون بالإسلام فقط.

"Pope Benedict XVI, his biography, and his position on Islam through his book "Without Roots"-An analytical study"

Prepared by: Marwan Mohammad Abed Al-qader Abo Fara

Supervisor: Dr. Mashhour Habbazi.

Abstract:

The study, "Pope Benedict XVI, his biography, and his position on Islam through his book "Without Roots"-An analytical study", aimed to understand the actual motives behind Pope Benedict XVI's positions on Islam, specifically the positions contained in his book "Without Roots" and the positions contained in the "Faith and reason" lecture, delivered at the University of Regensburg in Germany.

Several reasons pushed me to this study, including: the lack of translation - as far as I know - of the book "Without Roots", as well as the desire to understand the positions of the Pope of Rome against Islam, in more than one of his authors, which aroused the anger of Muslims around the world, as well as the absence of An academic biography of Pope Benedict XVI and his positions on Islam, and finally the need to understand the official position of Catholicism on Islam through the writings of Pope Benedict XVI.

In order to reach the desired results, in this study, I relied on the following methods: historical, descriptive, and analytical, in collecting information from its sources, comparing and analyzing it, in order to reach the desired results.

This study reached several results, the most important of which are:

1. Benedict XVI's positions stem from two things, the first: his joining the Nazi youth during his youth, and the second: his joining the extremist Catholic theological movement, during his progression in his ecclesiastical work.
2. The crisis of existence and identity that Western Europe suffers from contributed to the formulation of many hard-line positions for Benedict XVI and the current he represented, stemming primarily from Western

Europe's denial of the Catholic Church, and Western Europe's refusal to recognize the role of Catholic Christianity in the making of Western European civilization.

3. Christian-Catholic attitudes toward Islam come within a long series of Western hostility to Islam, starting from the moment the Prophet "PBUH" appeared in history, and this Western hostility includes all aspects of Islam, religious, civilizational and cultural.

4. Benedict XVI was deliberate in what he said in the lecture "Faith and Reason" about Islam and the Prophet, and he confirmed this through the final version of the lecture published by the official Vatican website.

5. Benedict XVI's positions on Islam intersect with the positions of the Western European extreme right, in many issues, including: the position of those rejecting Muslim immigrants, rejection of Islamic manifestations in Western Europe, and linking terrorism as a name and content to Islam only.

المُقدِّمة:

إنَّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِ اللهُ فهو المهتد، وَمَنْ يُضِللْ فلن تجد له وليًّا مرشداً، والصَّلَاةُ والسَّلَامُ على الحبيب سيدنا محمد، وآله، وصحبه، وَمَنْ تبعه بإحسان إلى يوم الدين، ثمَّ أمَّا بعد:

فقد اخترت موضوعي هذا لأسباب عديدة، منها:

١. عدم وجود ترجمة إلى العربيَّة - فيما أعلم - لكتاب بلا جذور.
٢. مواقف بابا روما نفسه من الإسلام، التي أثارت جدلاً واسعاً، وبخاصة بعد خطابه في جامعة "ريجنسبرغ" بتاريخ (1427/8/18هـ)، الموافق (2006/9/12م).
٣. طبيعة معتقد بابا روما حول الأديان المغايرة للمسيحيَّة حسبما نشرت مكتبة الفاتيكان الرسمية.
٤. عدم وجود - فيما أعلم - دراسة أكاديميَّة لسيرة المؤلف، ومواقفه من الإسلام.

أهميَّة الموضوع :

تتبع أهميَّة الموضوع من أمور ثلاثة، وهي:

١. ضرورة فهم الدوافع التاريخية والدينيَّة التي أدت إلى اتخاذ بابا روما مواقفه من الإسلام.
٢. الوقوف على قراءات بابا روما لواقع أتباعه التي جعلته يهاجم الإسلام من خلال كتابه "بلا جذور"، وفي مواقف ومناسبات أخرى.
٣. الحكم على طبيعة العلاقة بين الإسلام والفاتيكان من خلال حقبة وجود بابا روما بندكت في منصب البابويَّة.

الدراسات السابقة:

من خلال البحث لم أقف - فيما أعلم - على دراسة أو مؤلف محدّد يعالج موضوع الرسالة، ولكن وقفت على مؤلّفين يعالجه من جوانب أخرى، وهما:

١. الفاتيكان والإسلام، أهي حماقة أم عداة له جذور؟ تأليف محمد عمارة، الطبعة الأولى، القاهرة: مكتبة الشروق الدوليَّة، (2007 م).

تتاول المؤلف بالتحليل والنقد ما ورد في خطاب بابا روما بندكت السادس عشر، بتاريخ (2006/9/12 م) في جامعة "ريجنسبرغ" في ألمانيا، واستعرض تاريخ الخلاف بين الإسلام والفاتيكان، وأثبت افتراءات الفاتيكان بعامّة، وبندكت السادس عشر بخاصّة على: القرآن الكريم، ورموز الإسلام، وغيرها.

ويفيدني الكتاب في فهم الأسس التاريخية التي بنى بابا روما بندكت مواقفه عليها، وفي توضيح موقف الكنيسة الكاثوليكية من الإسلام.

٢. الفاتيكان والإسلام، تأليف زينب عبد العزيز، الطبعة الثانية، القاهرة: القدس للنشر والإعلان، (2001 م) (سلسلة فضائح الحضارة الغربية: 2).

تناولت المؤلفة في هذا الكتاب مواقف باباوات الكنيسة الكاثوليكية من الإسلام في الحقبة الممتدة بين عهد بابا روما أوربان الثاني وحتى عهد بابا روما يوحنا بولس الثاني (1978-2005 م). ويفيدني هذا الكتاب في معرفة تاريخ المواقف الكنسية من الإسلام من خلال مواقف رؤسائها. **منهج البحث:** اعتمدت في بحثي هذا المنهج التكاملي، المكوّن من ثلاثة مناهج، وهي: التاريخي، والوصفي، والتحليلي.

المصادر والمراجع:

اعتمد في بحثي هذا على مصادر ومراجع كثيرة، وأهمّها:

المصادر:

١. بلا جذور: الغرب، والنسبية، والمسيحية، والإسلام، تأليف مارسيلو بيرا، وجوزيف راتزنجر (بابا روما بندكت السادس عشر) ترجمة مايكل ف. مور (لإنجليزية)، نيويورك: بيزك بوكس للنشر والتوزيع، (2006 م).

وهو الكتاب مدار البحث من حيث: عرض محاوره، ثم استنباط مواقف بابا روما من الإسلام من خلال الكتاب.

٢. الإيمان والعقل، خطاب بابا روما بندكت السادس عشر في جامعة "ريجنسبرغ"، ألمانيا، بتاريخ (2006/9/12 م).

وهو الخطاب الذي أثار ضجة واسعة واحتجاجات في العالمين العربي والإسلامي على المستويين الشعبي والرسمي، ولم يرجع بابا روما عن مواقفه في خطابه حتى اللحظة (أي شهر ربيع الأول 1443هـ).

المراجع:

هناك عديد من المراجع الداعمة والمساعدة في فهم أوسع للعلاقة بين الفاتيكان والإسلام، ومراجع تُلقي الضوء على الأسس التاريخية لمواقف الكنيسة الكاثوليكية من الإسلام، ومراجع تُقدّم الشبهات والمغالطات التاريخية والعقدية عند بابا روما بندكت وتردّ عليها، ومن أهم المراجع التي اعتمدت عليها:

١. تاريخ الفكر المسيحيّ، جرجس الخضري، الطبعة الأولى، القاهرة: دار الثقافة (1981 م).
٢. الإسلام في تصوّرات الغرب ، محمود حمدي زقزوق، الطبعة الأولى، القاهرة: مكتبة وهبة، (1987 م).
٣. الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر، محمد فضل الرحمن، الطبعة الأولى، دلهي: النور للنشر والتوزيع، (1992 م)، النسخة الإنجليزية.
٤. أثر الكنيسة على الفكر الأوروبي ، أحمد علي عجيبة، الطبعة الأولى، القاهرة: دار الأفاق العربية، (2004 م).
٥. إسلام في عيون غربية : بين افتراء الجهلاء وإنصاف العلماء ، محمد عمارة، الطبعة الأولى، القاهرة: دار الشروق،(2008 م).
٦. نقد الأديان عند ابن حزم الأندلسي ، عدنان المقرائي، الطبعة الأولى، فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، (2008 م).
٧. الدين الإسلامي في كليات اللاهوت: الحوار الخفي، محمد الحسيني إسماعيل، الطبعة الأولى، القاهرة: مكتبة وهبة، (سلسلة حوار الأديان أمام القضاء العالمي). (2008 م).

ومن الجدير ذكره أنّ منشورات مكتبة الفاتيكان الرسمية تعتبر مرجعا أساسا في البحث، وذلك لأنها تحوي كلّ ما نشره وقاله بابا روما بندكت السادس عشر خلال فترة رئاسته للكنيسة الكاثوليكية (2005-2013 م).

تمهيد

تُشكّل العلاقة بين الإسلام والمسيحية موضعا مهماً للدراسة، ويمكن القول إنّ العلاقة بين الديانتين قد مرّت بمراحل أربعة؛ الأولى، ما قبل ظهور الإسلام، حيث يُعتبر التحريف الذي نال الأناجيل في المجامع المسكونية^(١)، إلغاءً للبشرى التي جاء بها المسيح، عليه السلام، بالنبيّ محمد، ﷺ قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾^(٢). وقد أكّد هذا القول بشكل واضح ميشيل لولنج، فقال: "إنّ الكنيسة تعتبر المسيح خاتم الأنبياء، لذلك فهي لا تعترف بنبي الإسلام، الذي أدانته المسيحيون بصورة سلبية، تهجميّة وعدوانيّة"^(٣).

والمرحلة الثانية في هذه العلاقة تأتي بعد ظهور الإسلام؛ حيث كانت العلاقة بين جزر ومد، إذ يعتبر الغرب أنّ الإسلام قد قوّض ملكه في الشرق، كما ورد في كتاب "ب لا جذور" لبابا روما بندكت السادس عشر؛ حين تحدّث عن أوروبا الشرقية التي كانت وارثة المسيح، واعتبر أنّها انهارت نتيجة للغزو التركي عام (1453 م)^(٤)، وكانت فترة طويلة نسبيًا، حيث كانت الدولة الرومانيّة الشرقية (البيزنطية) تخسر فيها أمام الفتح الإسلامي بشكل تدريجيّ، وهنا ظهرت الصّورة المشوهة للإسلام، وتمّت صياغة معظم التصورات الغربية المشوهة للإسلام فيها، إذ كانت تُظهر الإسلام كدين ملفق من هرطقات، تتلاءم مع صورة الشرق في عقلية الغربي بشكل عام، ويُمكن الوقوف على ذلك في كثير من المؤلفات التي تتناول أدب القرون الوسطى في أوروبا^(٥).

(١) المجامع المسكونية هي: مكان انعقاد اجتماع القساوسة ورجال الدّين المسيحيّ؛ للتّشاور والبتّ في قضاياهم، ينظر: سامي السهم، التصوف العقلي في اليهودية والمسيحية والإسلام، ص 212.

(٢) سورة الصّف، 6/61.

(٣) ينظر: زينب عبد العزيز، الفاتيكان والإسلام، ص 19.

(٤) ينظر: جوزيف رانزيجر، بلا جذور، ص 94. والعام المذكور هو (1453 م)، وهو العام الذي فتح فيه السلطان العثماني محمد الفاتح القسطنطينية، والتي كانت مركز المسيحية الأرثوذكسيّة، وحولها إلى إستانبول، أي حصن الإسلام، وجعلها عاصمة للدولة العليّة العثمانية.

(٥) ربّما لا يتّسع المقام لذكر قائمة طويلة للأعمال الأدبية الغربية المشوهة للإسلام، ولكنّ أحيل القارئ إلى أشهر مؤلفات الأدب في القرون الوسطى، عصر النهضة الغربية، فهناك الكوميديا الإلهية لدانتي أليغيري، وهناك مسرحيّة "ماهوميت" لفولتير.

المرحلة الثالثة، يمكن القول إنّها المرحلة التي بدأ فيها الغرب بالموالفة الفعلية مع الإسلام، وهي مرحلة تميّزت بقوة الغرب المسيحي، وتكاتفه ضد المسلمين، والهجوم عليهم، بأساليب عديدة، منها: الغزو العسكري بدءًا بالحروب الصليبية وحملاتها المتعدّدة، وأرى أنّ الحروب الصليبية ما زالت مستمرة حتى يومنا هذا، فقد ذهب كثيرون إلى القول باستمرار الحروب الصليبية^(١) فقد قال آدموند اللّبي عندما احتلّ القدس قبل قرن ونصف: "الآن انتهت الحروب الصليبية"، وقال القائد الفرنسي هنري غورو عندما احتلّ دمشق في الحقبة الزمنية نفسها، بعد أن ركل قبر صلاح الدين الأيوبي: "قم يا صلاح الدين، ها قد عدنا" (٢)، وكذلك تصريح وزير خارجية فرنسا وقت حرب فرنسا على المغرب العربي في عشرينيات القرن المنصرم، قال: "إنّ الحرب القائمة في المغرب هي حرب بين الصليب وبين الهلال، ولا يمكنني أن أترك الهلال ينتصر على الصليب"^(٣).

وفي العقود الأخيرة هناك تصريحات تثبت أنّ الحروب الصليبية لم تنته، مثل تصريح رئيسة وزراء بريطانيا السابقة مارغريت تاتشر حين قالت: "إنّ المسلمين هم أعداء أمريكا وأعداؤنا"^(٤)، وكذلك تصريح جورج بوش الابن (الرئيس السابق للولايات المتحدة) قبل البدء بالحرب المدمّرة على أفغانستان عام 2001 م، حيث قال: "هذه الحملة الصليبية... هذه الحرب على الإرهاب ستستغرق فترة من الوقت"^(٥).

والمرحلة الرابعة، هي مرحلة الاحتلال العسكري الذي بدأ باحتلال نابليون بونابرت مصر بداية القرن الثالث عشر الهجري، وما تبعها من احتلال مباشر لمعظم البلدان العربية والإسلامية، استمر حتى نهاية القرن الرابع عشر الهجري، وعاد مع بداية العقد الأول من القرن الخامس عشر الهجري في: الصومال، والعراق، وسوريا، وليبيا، والسودان، ورافق ذلك حملات التصير تحت

(١) ينظر: زينب عبد العزيز، الفاتيكان والإسلام، ص 15-18.

(٢) ينظر: أرشيف نشرة فلسطين اليوم، 2017/12/10، ص 49.

(٣) ينظر: محمد عبد الهادي، العلاقات (العرو-مازيغية) عمقها وتداخلها، ص 242-243.

(٤) مارجریت تاتشر تغضب المسلمين، 2004/10/1 م، الرابط:

http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/news/newsid_1578000/1578826.stm

(٥) ينظر: بوش يستخدم مُجددا تعبير "حرب صليبية"، موقع قناة العربية. 2004/4/19 م. الرابط:

<https://www.alarabiya.net/articles/2004%2F04%2F19%2F2402>

مسمّى المدارس الكنسيّة، والجمعيّات التبشيريّة، وكذلك معاول الاستشراق (١)، التي مهّدت لما سيكون لاحقاً من تشويه للتراث الإسلامي بشكل عام في كلّ مواضيعه.

وبعد فشل المرحلة القسرية في نشر المسيحية تحت مسمى رسالة الرجل الأبيض (٢)، كانت هناك نقطة تحول مهمة في تاريخ العلاقة بين الإسلام والمسيحية، وهي مجمع الفاتيكان الثاني الذي، عُقد سنة (1962-1965 م)، وحضره (2400) أسقف كاثوليكي، بالإضافة إلى بعض المراقبين من الطوائف الأخرى، وعلمانيون مستمعون، وبعض الراهبات، وُضع الكتاب المقدس في عرش الصدارة كالعادة، وكل اجتماع للمجمع كان يسبقه القداس الإلهي، وقد بدأ المجمع بابا روما يوحنا الثالث والعشرون (1958-1963م) وختمه بابا روما بولس السادس (1963-1978)، وقد حُدّد الهدف من عقد المجمع، وهو الحفاظ على العقيدة المسيحيّة، مع تقديمها بصورة أوفر جدوى. وقد عقد المجمع أربع دورات في خريف سنة (1962 م) وحتى عام (1965م)، وفي خطاب بابا روما بولس السادس في 7 كانون الأول سنة (1965م) نوّه إلى التباعد والانفصام بين الكنيسة والحضارة المادية.

حيث صدر عن هذا المجمع تسعة قرارات ومراسيم، وأربعة دساتير تمثّل الموقف الجديد للكنيسة الكاثوليكيّة من غير المسيحيين، وهذه الدساتير هي: دستور عقائدي في الكنيسة، ودستور عقائدي في الوحي الإلهي، ودستور في الطقوس الدينية، ودستور في الكنيسة في العالم المعاصر. والقرارات والمراسيم هي: في مهمة الأساقفة الرعوية في الكنيسة، ومرسوم في حياة الكهنة، ومرسوم في التكوين الكهنوتي، وقرار في التحديد الملائم للحياة الرهبانية، وقرار في رسالة العلمانيين، ومرسوم في نشاط الكنيسة التبشيرية، وقرار في الحركة المسكونية، ومرسوم في الكنائس الشرقية، ومرسوم في وسائل الإعلام الاجتماعية.

(١) ينظر: عبد الرحمن حبنكة، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، ص110.

(٢) نسبة إلى قصيدة الشاعر البريطاني روديارد كليغ، نشرها عام 1899 م تزامناً مع الحرب الأمريكية على الفلبين، تحت عنوان "عبء الرجل الأبيض"، وصار المصطلح من بعدها رمزاً للحركة الاستعمارية الغربية، وقد دعا فيها الشاعر الرجل الأبيض للقيام بمهمته تجاه الشعوب البدائية المتخلفة لتمدينها ونشر الحضارة بين أفراد تلك الشعوب، وتقوم رسالة الرجل الأبيض على: التفوق الأخلاقي والحضاري للغرب في خدمة الرب. ينظر: بدر الراشد، عبء الرجل الأبيض، منتدى قائمة للعلوم السياسية (2013/11/1 م) الرابط

[:https://web.archive.org/web/20200324184718/https://guelma.yoo7.com/t5442-](https://web.archive.org/web/20200324184718/https://guelma.yoo7.com/t5442-)

[topic](#)

كما صدرت عن المجمع ثلاثة بيانات وتصريحات و هي: بيان عن الحرية الدينية ،
وتصريح عن علاقة الكنيسة بالديانات غير المسيحية، وبيان عن التربية المسيحية^(١).

وقد شكّل هذا المجمع نقلة نوعية في فهم الكنيسة الكاثوليكية لنفسها ، ولما يجب أن تكون عليه في العالم، حيث تمّ اعتماد عقيدة جديدة مفادها "أنّ المسيح هو الخلاص الوحيد لكلّ البشر"، كما تمّ وضع الأساس لعملية التصير العامة لكلّ مخالف للعقيدة الكاثوليكية، وقد وضع هذا المجمع أساساً جديدة لعلاقة الكنيسة الكاثوليكية مع مخالفيها، وهي "إنّ هدف الخلاص يتضمن أيضاً مَنْ يعترفون بالخالق، وأولهم المسلمون الذين يؤمنون بإبراهيم، ويعبدون معنا الله الواحد، الرحيم، حاكم الناس في اليوم الآخر"^(٢) .

وقد شهدت السنوات اللاحقة لهذا المجمع مؤتمرات تبشيرية مهمّة ، كان لها الأثر الواضح لاحقاً في طبيعة العملية التبشيرية، وكذلك كثافة عملية التبشير، منها مؤتمر لوزان للتصير، في سويسرا سنة (1974م)^(٣)، ومؤتمر كولورادو في الولايات المتحدة الأمريكية سنة (1978 م)^(٤).

ويمكن اعتبار فترة بابوية يوحنا بولس (٥) هي فترة التصير المؤصّل، وكان بابا روما يوحنا بولس الثاني صرّح في مدينة كمبوستيل في ألمانيا عام (1982م)، بأنّ مهمة الكنيسة الآن هي

(١) ينظر: القمص يعقوب حلمي، مجمع الفاتيكان الثاني(1962-1965 م) المرفوض، المدعو(المجمع

المسكوني الواحد والعشرين)، مكتبة الكتب المسيحية-<https://st-takla.org/books/helmy-elkommos/catholic/council-vatican-ii-1962.html>

(٢) زينب عبد العزيز، الفاتيكان والإسلام.ص26.

(٣) عقد هذا المؤتمر في لوزان بسويسرا تحت عنوان: مؤتمر الكنائس البروتستانتية، بهدف وضع إستراتيجية للتصير في العالم، وتمّ فيه دراسة حال الكنائس في البلاد الإسلامية، كما تمّ التأكيد على تفعيل دورها في تنصير المسلمين، وهو أول مؤتمر تنصيري في العالم. ينظر: سارة الحسيني، دراسات وأبحاث في قضايا معاصرة، ص100.

(٤) عقد في كولورادو في الولايات المتحدة الأمريكية، ويعتبر من أخطر المؤتمرات التصيرية لأنه قام بنقد الأساليب التصيرية القديمة المرتبطة بالاستعمار، واجتمع فيه (150) من الخبراء الذين وضعوا نصب أعينهم الوصول إلى أساليب جديدة للتصير، كان من أهمها: إجماع المؤتمرين على عدم مواجهة الإسلام بل محاولة اختراقه، والامتناع عن تقديم النصرانية للمسلمين مرتبطة بالثقافة الغربية. ينظر: سارة الحسيني، دراسات وأبحاث في قضايا معاصرة، ص103-104.

(٥) يوحنا بولس هو: كارول جوزيف فويتيللا، ولد في 18 مايو 1920م، في وادوفيتسي بولندا، وهو أول بابا لروما لا يحمل الجنسية الإيطالية، رُسم بلقب يوحنا بولس الثاني عام 1946م، وأصبح أسقف أومبي عام

إعادة تنصير العالم، وشارك في نفس العام في حفل إنشاء حزب تضامن البولندي ، وهو حزب أنشأه "ليخ فاليسا"، إثر حركة عمالية في بولندا احتجاجا على الظروف التي يعاني منها العمال في بولندا الاشتراكية، وتعدّ هذه الحركة باكورة الانتفاضات الشعبية في أوروبا الشرقية ضدّ الحكم الشيوعي، وقد انضم لهذه الحركة عشرة ملايين عامل خلال خمسمائة يوم بهدف محاربة الأتحاد السوفيتي حينها.^(١)

حيث تضمّن عهده عدّة فعاليات تدعم هذا التوجه، فقد أعلن عام(1987م) أنّ المسيح هو الفادي لهذا العالم، وأعلن أيضا أنّ العام (1987 م) هو العام المريمي، وتم إعادة إحياء الكنيسة الأرثوذكسية في الأتحاد السوفيتي لمحاربته من خلالها^(٢).

وقد نُشرت هذه الرسالة (رسالة المسيح الفادي) عام (1990 م)، حيث يطلب فيها بابا روما أنّ يدخل غير المسيحيين في المسيحية^(٣).

وكان في بداية عهده قد قام بتغيير كلّ الكرادلة السابقين ، وعيّن مكانهم كرادلة جدد، كان منهم جوزيف راتزنغر الذي أصبح مسؤول ملف فرض النقاء العقائدي، وهذا المنصب هو امتداد لمنصب المفتش الأكبر؛ الذي ظهر إثر محاكم التفتيش في إسبانيا ؛ وهي عبارة عن ديوان أو محكمة كاثوليكية نشطت خاصة في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، ومهمتها اكتشاف مخالف في الكنيسة ومعاقبتهم^(٤).

1958م ، وأصبح رئيس أساقفة كراكوف عام 1964م، وأصبح في عام 1978 بابا روما وتوفي في إيطاليا عام 2005م. ينظر: سيرة يوحنا بولس الثاني، [موقع: https://www.biography.com/religious-figure/john-paul-ii](https://www.biography.com/religious-figure/john-paul-ii)

(١) ينظر: حركة «تضامن» البولندية.. انتفاضة أشعلها عامل كهرباء، موقع البيان. 2008/11/14م.

الرابط: <https://www.albayan.ae/paths/2008-11-14-1.691808>

(٢) ينظر: محمد عمارة، الفاتيكان والإسلام، ص10.

(٣) ينظر: يوحنا بولس الثاني، رسالة الفادي، موقع الفاتيكان، https://w2.vatican.va/content/john-paul-ii/en/encyclicals/documents/hf_jp-ii_enc_07121990_redemptoris-missio.html

(٤) ينظر: محاكم التفتيش. موقع معرفة. <https://www.marefa.org>

كان النصر على الشيوعية في العقد الأخير من القرن العشرين بمثابة الدافع الرئيس لزيادة توجه الكنيسة والغرب حول فرض أجندتهم السياسية والدينية، ففي الجانب السياسي كان خطاب "جورج بوش الأب" الشهير عندما أعلن قيام نظام عالم جديد يقوم على القطب الواحد عام 1990م، وفي الجانب الديني المسيحي كانت هناك خطة يوحنا بولس الثاني لإعادة تنصير العالم، وقد نشر عام 1992م كتابه تحت عنوان "ادخلوا في الرجاء" الذي دعا فيه إلى التبشير بالمسيحية ليدخل فيها أولئك الذين لم يصل إليهم الإنجيل، وكانت كواليس الكنيسة تعجّ بالكرادلة الذين يتبنون طرح يوحنا بولس الثاني، و منهم جوزيف راتزنغر الذي كان يشغل منصب مسؤول ملف النقاء العقائدي، وهو المنصب الذي يشكّل الامتداد الطبيعي لمنصب المفتش العام الذي ظهر إبان فترة محاكم التفتيش، حيث كان هذا التيار من الكرادلة يعتبر تياراً أصولياً يشبه التيار التكفيرى^(١).

وخلاصة معتقد هذا التيار الكاثوليكيّ الأصوليّ المتطرّف "أنه لا دين إلا الدين الذي تمثله الكنيسة الكاثوليكية فقط، ولا خلاص إلا من خلال المسيح عن طريق الكنيسة الكاثوليكية فقط"^(٢).

ومن الناحية الفكرية، فقد مثل غياب العدو التقليدي للغرب خلال عقود متتابعة مشكلة للكنيسة الكاثوليكية، فبعد انهيار الاتحاد السوفيتي لم يعد هناك عدو أو ضدّ يقيس الغرب نفسه عليه، وهنا ظهر الحديث عن الإسلام كعدو جديد محتمل للغرب، حيث جاء هذا الشعور بعد التجربة الجهادية في أفغانستان، والتي انتهت بانسحاب الاتحاد السوفيتي من أفغانستان (15/2/1989م)، حيث اعتبر المجاهدون انسحاب الاتحاد السوفيتي من أفغانستان نصراً مؤزراً، وخاف الغرب أن يكون لهذه التجربة ارتداد على مصالحه في المنطقة، يقول جون ل إسبوزيتو: بينما كان القادة الغربيون يُحاولون تشكيل النظام العالمي الجديد، تصاعدت فكرة اعتبار الإسلام الأُمميّ العدو العالمي الجديد المتكثّل ضد الغرب"^(٣).

(١) ينظر: محمد عمارة، الفاتيكان والإسلام، ص12.

(٢) المرجع نفسه، ص15

(٣) ينظر: جون إل إسبوزيتو، التهديد الإسلامي، حقيقة أم خرافة؟، ص291-299.

لذلك كانت هذه التجربة من الأسس المهمة لاتخاذ الإسلام عدواً جديداً، فظهر بعد ذلك مصطلح صدام الحضارات على يد صامويل هنتنغتون في كتابه "صدام الحضارات" (١)، وتضافرت الأطروحات الدينية والسياسية والفكرية لتطبيق هذه الفكرة - اتخاذ الإسلام عدواً - حيث ظهر ذلك جلياً في الحروب التي نشبت في جمهوريات الاتحاد السوفيتي سابقاً، وربما يكون النموذج الأوضح الحرب في البوسنة والهرسك، التي قادها الصرب باسم المسيحية الأرثوذكسية، بدعم روسي، وصمت مسيحي كاثوليكي، ضد المسلمين في أوروبا.

كانت الظروف السياسية في أوروبا بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، بيئة خصبة لنشوء الأطروحات اليمينية المتطرفة، حيث أدت الحروب التي نشبت بعد انهيار الاتحاد السوفيتي إلى موجات كبيرة من الهجرة إلى أوروبا، كان معظمها من المسلمين، الذين كانوا تحت دائرة الاستهداف في بلدانهم الأصلية، فكانت الهجرة الكثيفة إلى أوروبا من الأسس التي بنى عليها اليمين الغربي المتطرف مواقفه، حتى وصل الأمر بجوزيف راتزنغر - بندكت السادس عشر - أن يعتبر هؤلاء المهاجرين "شكلات مزروعة" في المجتمع تهدد الوجود الأوروبي كاملاً (٢)، وخوفه هذا برره بأن أوروبا ذاهبة إلى الاضمحلال والتلاشي، حيث إن الإقبال على الكنيسة كان ضئيلاً، ومعدل الولادات في انخفاض مستمر؛ مما يعني - حسب رأيه - أن الجماعات المزروعة - المهاجرين - سيصبحون أكثرية تنشر دينها وقيمها وترفض القيم الأوروبية والدين المسيحي (٣)، وهذا رأي يتقاطع فيه مع اليمين المتطرف في أوروبا الغربية.

فأحزاب اليمين المتطرف في أوروبا، مثل الحزب الذي ينتمي إليه الرئيس الفرنسي الحالي إيمانويل ماكرون، تعمل أفكاراً تجمعها مع بابا روما بندكت السادس عشر، إذ تعتبر جميعها أن الهجرة هي المسؤول الأول عن المشاكل التي تتخبط فيها المجتمعات الأوروبية، وبالتالي فإنها تُطالب وتسعى لوقفها تماماً، بل تطالب بترحيل الأجانب من أصل غير أوروبي، وتُبدي عداً لأوروبا؛ التي تعتبرها مسؤولة عن تدني مستوى المعيشة وتفاقم الفوارق وتزايد الهجرة.

(١) يدعم هذا الرأي ما قاله جون ل. إسبوزيتو في كتابه التهديد الإسلامي، حقيقة أم خرافة؟ ص 291.

(٢) ينظر: جوزيف راتزنجر، بلا جذور، ص 88.

(٣) المصدر نفسه، ص 88.

وهذه الأحزاب سيادية الخطاب والبرامج وتعد باسترجاع السيادة الوطنية ال قومية، والاقتصادية، والقانونية، وتتبنى مبدأ "الأفضلية الوطنية"، وهو مبدأ مؤسس لأيديولوجيتها، ومعناه منح الحقوق (السياسية والاقتصادية والاجتماعية) للسكان الأصليين فقط وإقصاء المهاجرين والأجانب، وتقرُّ كلُّها بالحماية الاقتصادية، وتتنادي بغلق الحدود أمام المنتجات الأجنبية لحماية المنتجات المحلية، وهذا يصب في نهاية الأمر في رفض أوروبا لأن أكثر من (60%) من مبادلات الاتحاد الأوروبي التجارية هي بينية ، وتدّعي كلها أنّ الهوية الوطنية في خطر، وأنّ عليها حمايتها من الغزو الأجنبي المتمثل في المهاجرين أو الأوروبيين من أصل أجنبي ، وتتميّز كلها بخطاب هوياتي شديد الحدة يتخذ غالبا بعدا عنصريا.

ونقطة الالتقاء الأساسية بينها هي معاداتها للإسلام ، فحتى الأحزاب غير المعادية للسامية منها، مثل تشكيلة فورتوين هي مناهضة للإسلام، وتحدّث كلّها عما تسميه "خطر الأسلمة" ، وترفض المجتمع المنفتح والمتعدد الثقافات والعولمة، والتصويت لهذه الأحزاب هو تصويت رفض وقطيعة، ومناوأة للنظام الحاكم، فهو على حدّ تعبير بيار-أندريه تاغياف^(١)، "تصويت احتجاجي" أكثر منه "تصويت انخراط"، لكن "الانخراط الإيديولوجي" قد يلي التصويت وآثاره الرمزية "وتتميّز هذه الأحزاب-كما يلاحظ تاغياف-بالخط بين البعدين الاحتجاجي المناهض للنظام الحاكم والبعد العنصري (معاداة الأجانب)، وخلال التسعينيات كانت الغلبة للبعد العنصري في خطابها ، وكلّها شديدة الشخصية^(٢)، وتلعب فيها الزعامة الملهمة دورا مركزياً ، إلى درجة أن كيانها يكاد يتوقف على زعمائها^(٣).

بتقاطع مواقف بندقك السادس عشر مع اليمين المتطرّف في أوروبا في عدّة محاور، وهي:

(١) بيير أندريه تاغياف(ت1946م) فيلسوف وباحث سياسي فرنسي، وهو مؤرخ لتاريخ الأفكار، أيّ أنّه يبحث في تاريخ نشأة الأفكار، ويشغل منصب مدير للأبحاث في المركز الوطني الفرنسي للبحث العلمي. الرابط:

<https://ar.unionpedia.org>

(٢) لوبان في فرنسا، وهايدر في النمسا، ودوينتر في بلجيكا، وكارسغارد في الدنمارك.

(٣) ينظر: عبد النور بن عنتر، المستقبل السياسي لليمين الأوروبي: مدّ أم انحسار، موقع قناة

الجزيرة. 2004/10/3 م. الرابط: <https://www.aljazeera.net/2004/10/03>

1-الموقف الراض للمهاجرين، حيث يراهم خطراً على الوجود الأوروبي، وأسماهم في كتابه المشترك مع مارسيو بيرا بالشتلات المزروعة في المجتمع الأوروبي (١)، ويوافق كذلك مارسيو بيرا(٢) في طرحه حول التحويلات العنصرية في أوروبا تحت عنوان "روح ميونيخ الجديدة"، حيث يرى كلاهما أنّ الذهاب بعيداً مع العملية الديمقراطية قد يعيد إنتاج أنظمة شمولية وعنصرية، مثل النازية والفاشية، بصورة سليمة حيث إنّ إعادة الإنتاج هذه ستكون نتيجة لعملية ديمقراطية حرة ونزيهة.

2-الموقف من التعددية الثقافية، حيث يراها من الأمور التي قد تؤدي إلى تلاشي الغرب وموته.

3-أفضلية الحضارة الغربية، إذ يرى أنّ قيمها عالمية، ولا يمكن إخضاعها للنسبية المعرفية، سواء البنيوية أو التفكيكية أو حتى اللاهوتية، لأنّ القول بنسبية قيم الحضارة الغربية والدين المسيحي، يجعلهما خياراً من متعدّد، وبالتالي لن تكون هناك إلزامية في اتخاذ المسيح كمنقذ ومخلص وحيد على هذه الأرض، وهذا يتساق مع فكرة رسالة الرجل الأبيض التي يطرحها اليمين المتطرف، وخلصتها أنّ الرجل الأبيض هو الأفضل لقيادة العالم وسيادته(٣).

وقد نشر بندكت السادس عشر رأيه هذا قبل توليه منصب بابوية الكنيسة الكاثوليكية في وثيقة "المسيح المهيمن"، والتي يرى فيها أنّ الدين الوحيد الحقّ على هذه الأرض هو الكاثوليكية فقط(٤). وعندما تولّى منصب البابوية قام بعدة أمور، هي:إلغاء لجنة حوار الأديان، وإلغاء إصدار مجلة إسلامو-كريستيانا التي كانت تعني بالحوار والأمور المشتركة بين أتباع الديانتين(٥).

(١) ينظر: جوزيف راتزينجر. بلا جذور، ص 88.

(٢) مارسيو بيرا: ولد في لوكا في إيطاليا، 1943/1/28 م، فيلسوف وسياسي إيطالي، شغل منصب رئيس مجلس الشيوخ الإيطالي 2001-2006 م، وهو مدرس في جامعة بيزا الإيطالية، يشترك مع راتزينجر في الحديث عن مشكلة فقدان أوروبا لهويتها، وي طرح حلول مشابهة لما كان يطرحه راتزينجر. ينظر: مارسيو بيرا. موقع ويكي واند وموقع مجلس الشيوخ الإيطالي.

(٣) ينظر: جوزيف راتزينجر، بلا جذور، ص 88.

(٤) ينظر: محمد عمارة، الفاتيكان والإسلام، ص 13.

(٥) المرجع نفسه، ص14.

وعند استقباله مسلمين في كولونيا الألمانية قال: "إنّ على المسلمين نزع ما في قلوبهم من حقد، ومواجهة كلّ مظاهر التعصب، وما يمكن أن يصدر عنهم من عنف" (١)، وقد حاول جاهداً فرض تعديلات على وثيقة الدستور الأوروبي، بحيث تجعل هذه التعديلات من المسيحية الجذور الوحيدة المنشئة للحضارة الأوروبية لكنّه فشل في ذلك.

4- لا حوار مع الإسلام والمسلمين؛ لأنّ الحوار يعني مسألة حياة أو موت، وقد أظهر هذا الموقف الذي يلتقي فيه مع اليمين المتطرّف في كتابه "بلا جذور" ، ومحاضرته التي ألقاها في جامعة "ريجنسبرغ" في ألمانيا بتاريخ (2006/9/12 م)، تحت عنوان "الإيمان والعقل"، وفي هذه المحاضرة صرّح أنّ الدين الإسلاميّ انتشر بالسيف والإكراه، وأنّ محمداً ﷺ لم يأت إلّا بالشور، وأنّ الله تعالى في التصرّح الإسلاميّ "هو ذات متعالية، متناقضة مع الطرح العقلاني" (٢). وقد أثارت هذه التصريحات ردود فعل غاضبة في العالم الإسلاميّ، وعندما طلب منه العالم العربي والإسلاميّ الاعتذار، قال: "أنّه كان مقتبساً، ولا يمكنه الاعتذار عن غيره" (٣).

5- موقفه من انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي، فقد نشرت صحيفة "الغارديان" البريطانية رسالتين أرسلتا من السفارة الأميركية في الفاتيكان خلال شهري آب وكانون الأول من العام (2004م)، تؤكدان معاداة الفاتيكان لانضمام تركيا، حيث رفض ذلك في أكثر من موقف، ففي الرسالة الأولى ينقل القائم بالأعمال الأميركي في الحاضرة البابوية "برنت هارد" عن القائم بأعمال وزير خارجية الفاتيكان المنسنيور "بييترو بارولين" تأكيده أنّ ما قاله الكاردينال جوزيف راتزنغر (اسم بندكت قبل تنصيبه) أنّ "تركيا هي نقيض دائم لأوروبا، غير ملزم للفاتيكان، وكان قد صرّح قبلاً "أنّ مكان تركيا الحقيقي بين دول العالم العربي والإسلامي، وليس بين دول الاتحاد

(١) ينظر: صحيفة المدينة السعودية، المملكة العربية السعودية، ملحق الرسالة 2006/10/6م.

(٢) يوسف القرضاوي، البابا والإسلام، ص 15.

(٣) ينظر: الفاتيكان: لا أحد يمنع البابا من التعبير عن رأيه، موقع البي بي سي، الرابط:
https://www.bbc.com/arabic/middleeast/2011/01/110121_vatican_pope_azhar_reax

الأوروبي، وأن مسألة إنضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي أمر خطير يجب تقاديه، فلا يمكن القبول بإدخال (72) مليون قنبلة موقوتة داخل الاتحاد الأوروبي" (١).

وحتى عندما زار بندكت تركيا وخرج رجب طيب أردوغان بتصريحات متفائلة حول انضمام تركيا للاتحاد الأوروبي، قال القائم بأعمال وزير خارجية الفاتيكان : "إنّ رئيس الوزراء (أردوغان) أساء فهم أقوال الحبر الأعظم، وهو على الأرجح يريد كسب تغطية إعلامية جيدة للقائهما ، فالبابا عبّر عن الموقف الذي نتمسك به، لكنّه قاله على الأرجح بطريقة ملطّفة" (٢)، وهذا يؤكد على الموقف الثابت للفاتيكان من إنضمام تركيا للاتحاد الأوروبي.

لقد أثارت مواقف بندكت السادس عشر من الإسلام والمهاجرين وانضمام تركيا للاتحاد الأوروبي موجات كثيرة من الاحتجاج والاستنكار، لكنّ أعنفها كانت عندما نال من الإسلام في محاضراته الشهيرة عن "العقل والإيمان" (٣)، وقد ظهرت العديد من المقالات والكتب التي تفرّغت للردّ على أقواله، منها:

١ - البابا والإسلام للقرضاوي.

٢ - الإسلام والفاتيكان - أهي حماقة أم عداء له تاريخ؟ لمحمد عمارة.

والكثير من المؤلفات الأخرى، ولم يقتصر هذا الرفض لمواقف بندكت من الإسلام على المسلمين وحدهم، فقد نشرت النيوزويك مقالاً بتاريخ (2009/9/29 م) تحت عنوان "بندكت السادس عشر ماذا دهاه؟" عارضت فيه بابا روما حول موقفه من الإسلام والمسلمين (٤).

لقد كانت الظروف السابقة لتولي بندكت السادس عشر منصب البابوية مثاليّة، لأنّها شكلت بيئة خصبة لنشر أفكاره وتطبيقها، وهذه الأفكار تأتي مكتملة لجهود "يوحنا بولس الثاني"؛ الذي قدّم بندكت في المناصب الكنسية، وجعله مسؤول ملف فرض النقاء العقائدي منذ عام (1981 م)

(١) صالحة عالم. لهذه الأسباب يرفضون عضويّة تركيا في الاتحاد الأوروبي 2019/3/29 م. الرابط:

<https://mubasher.aljazeera.net/opinions/2019/3/29/>

(٢) ينظر: يوسف القرضاوي، البابا والإسلام، ص 15.

(٣) ينظر: نص المحاضرة في الملاحق. ملحق "1".

(٤) ينظر: محمد عمارة، الفاتيكان والإسلام، ص 16.

وكانت الظروف المتلاحقة في العالم بيئة داعمة لتطبيق هذه الأفكار، مثل انهيار الاتحاد السوفيتي وكذلك تفجيرات الحادي عشر من شهر أيلول عام (2001 م)، والتي استهدفت برج التجارة العالمي في نيويورك ومبنى البنتاغون في واشنطن، والتي شكلت ذريعة كبرى لمحاربة الإسلام باسم مكافحة الإرهاب ونبذ الأصولية، على الرغم من أنّ بندقية السادس عشر وتياره تمّ اعتبارهما تياراً أصولياً متشدداً داخل المذهب الكاثوليكي، وتظهر هذه الأصولية في "رسالة الفادي" التي نشرها يوحنا بولس الثاني، ورسالة "المسيح المهيم" التي نشرها بندقية نفسه عام (2000 م)، وكذلك كتاب بندقية "بلا جذور"، والكثير من المحاضرات والنشرات والدساتير الرسولية المنشورة على الصفحة الإلكترونية لمكتبة الفاتيكان الرسمية.

ختاماً، إنّ ما قاد بندقية السادس عشر إلى مواقفه من الإسلام والمسلمين، هي الأمور

الآتية:

- ١ الديانة المسيحية بعامّة، والكاثوليكية بخاصة، والتي تؤمن أنّ المسيح، عليه السلام، هو خاتم الأنبياء ولا نبي بعده، ولا رسالة بعد الإنجيل، وعليه فهي تنكر نبوة محمد ﷺ، والكتاب المقدس الذي جاء به، وهو القرآن الكريم.
- ٢ إيمان رجال الدين المسيحي بعامّة، والباباوات بخاصة، أنّ المسيح، عليه السلام، هو الفادي للبشرية، وبالتالي لا خلاص إلا من خلال إتباع كنيسته الكاثوليكية فقط.
- ٣ التربية والتعليم التي ينشأ عليها رجال الدين المسيحي بعامّة، والكاثوليك بصورة خاصّة، والتي تتضح كلها بالحد والكراهية للإسلام والمسلمين، وذلك يظهر في تعاليم بطرس الناسك، وأوربان الثاني، ويوحنا بولس الثاني، وغيرهم كثير.
- ٤ حلم كثير من رجال الدين المسيحي بكلّ طوائفهم باستعادة مجدهم، في السيطرة على شؤون العالم سياسياً ودينياً، من أجل تطبيق ما يؤمنون به، وهو تنصير العالم وقتل المعارضين والرافضين للنصرانية.
- ٥ الوظائف الدينية المهمة التي شغلها بندقية السادس عشر، تحت إشراف وإدارة رجال دين يحملون فكراً دينياً كاثوليكياً متطرفاً، وعنصرياً تجاه غير النصارى بعامّة والإسلام والمسلمين بخاصّة.
- ٦ الظروف الموضوعية التي تعاني منها أوروبا الغربية، بعد تراجع معدلات الولادة، وزيادة أعداد المهاجرين بعامّة، والمسلمين منهم بخاصّة، حيث يعني ذلك تراجع المسيحية الكاثوليكية في

أوروبا، وانحسار تأثيرها على المجتمع الأوروبي الغربي، مما وُلد عند بندكت السادس عشر مخاوفاً على المستقبل في أوروبا الغربية، حيث يرى أنّ الأوضاع إن استمرت على ما هي عليه، فلن تعود يد المسيحية الكاثوليكية هي العليا في أوروبا الغربية.

بناء على ما سبق، فإنّ أحزاب اليمين هي نتاج العقيدة المسيحية المتطرّفة ضدّ الإسلام والمسلمين، وسلاحها الذي تُرهب به حُكّام أوروبا الغربية والعالم المسيحيّ، بحيث أصبح بعضهم جزءاً من التطرّف أو يتماشى معه، ويشجعه، وليس أدلّ على ذلك من مواقف الرئيس الفرنسي الحالي إيمانويل ماكرون^(١).

(١) نشر الرئيس الفرنسي الحالي إيمانويل ماكرون آراء ومقالات، تعادي الإسلام، حيث يصف العاملين للإسلام بالإسلاميين، وطلب أنّ يتمّ التفريق بين الدين الإسلاميّ والإسلاميّة، ويرى أنّ الإسلام عقيدة تمرّ بأزمة عالميّة، وقامت حكومته بإغلاق الكثير من المساجد في فرنسا، واعتقال بعض الأئمة المسلمين، وهناك الكثير من التشريعات في عهده التي أظهرت مدى التعصّب لديه ومدى كرهه للإسلام، ينظر: إيمانويل ماكرون: غضب المسلمين من الرئيس الفرنسي يُهدّد بتصعيد التوتر في أوروبا، 2020/11/5 م، الرابط:

<https://www.bbc.com/arabic/inthepress-54775729>

الفصل الأول-سيرة بابا روما بندكت السادس عشر.

المبحث الأول-الاسم والمولد والنشأة والتعليم.

المبحث الثاني-ثقافته، وأساتذته.

المبحث الثالث-دخول بندكت الكنيسة، وتدرجه في سلكها.

المبحث الرابع-مؤلفاته.

المبحث الأول-الاسم و المولد والنشأة والتعليم

1-الاسم والمولد والنشأة

الاسم: جوزيف أليسيوس راتزنجر.

تاريخ الميلاد: 16/ 4/ 1927 م.

مكان الميلاد: ماركتل أم إن^(١) في منطقة بافاريا العليا، التابعة للجمهورية الألمانية الاتحادية.

قضى سنوات مراهقته في بلدة ترونشتاين الصغيرة على الحدود النمساوية، وكانت فترة شبابه في ظل حكم النازية^(٢)؛ لذلك التحق بسلاح الطيران المساعد التابع للحكم النازي^(٣)، وهنا يمكن القول إنَّ هذا الانضمام لجهاز عسكري تابع للنازية أثر كثيرًا على موقفه من اليهود في ألمانيا والعالم، وكذلك صاغ لديه نوعًا من التشدد في آرائه ومعتقداته.

2-التعليم

درس الفلسفة واللاهوت في جامعة ميونيخ، والمدرسة العليا في فرايسينغ، ما بين (1946 و1951م). وفي عام (1953م)، حصل راتزنجر على درجة الدكتوراه في اللاهوت ببطروحة بعنوان: "شعب وبيت الله في عقيدة كنيسة القديس أوغسطين"، وكان المشرف على أطروحته

(١) ماركتل إم إن: هي قرية سوق صغيرة في بافاريا العليا تقع بين نهري الإن والإلز، في جمهورية ألمانيا المتحدة، وتبلغ مساحتها 27 كيلومتر مربعاً. ينظر: الموقع الرسمي لماركتل أم إن:

<https://www.marktl.de/en/ueberblick.php>

(٢) النازية: حركة سياسية وفكرية، نشأت في ألمانيا بعد الهزيمة التي تعرضت لها ألمانيا في الحرب العالمية الأولى، وهي اختصار للأحرف الأولى من: "حزب العمل القومي الاشتراكي الألماني"، وتقوم على التعصب والتشدد ضد الأعراق البشرية الأخرى، ومن أهم معتقداتها قمع الأعراق الأخرى، والقضاء عليها للحفاظ على طهارة ونقاء الأعراق العليا. ينظر: فرانز ليوبولد نويما، البهيموت، بنية الاشتراكية القومية (النازية) وممارساتها، ص 67-75.

(٣) ينظر: سيرة البابا بندكت السادس عشر، موقع الفاتيكان الرسمي:

http://www.vatican.va/content/benedict-xvi/en/biography/documents/hf_ben-xvi_bio_20050419_short-biography_old.html

اللاهوتي غوتليب سونجن، حيث تحدّث بندكت السادس عشر في أطروحته، عن معنى "شعب الله" حسب تأويل القديس أوغسطين، وتمت طباعة الأطروحة على شكل كتاب عام (1954 م). وفي عام (1957م)، تاهّل أستاذًا جامعيًّا؛ فدرّس العقيدة واللاهوت الأساسي في المدرسة العليا للفلسفة وعلم اللاهوت في فرايسينغ، ثمّ في جامعة بون ما بين (1959 و1969م)، و في جامعة مونستر ما بين (1963 و1966م)، وفي جامعة توبنجن ما بين (1966 و1969م). وابتداءً من عام (1969م) أصبح أستاذًا لعلم اللاهوت العقائدي وتاريخ العقيدة في جامعة ريجنسبرغ، ثمّ ترقّى فُعِينَ عميدًا لكلية اللاهوت، ونائبًا لرئيس الجامعة. و في الأعوام ما بين (1962 و1965م) كان مستشارًا لاهوتيًّا كبيرًا لرئيس أساقفة كولونيا الكاردينال "جوزيف فرينجر"⁽¹⁾؛ فحضر وشارك في جلسات المجمع الفاتيكاني الثاني، وهذا المنصب يفسّر التشدّد الذي نُسب إليه لاحقًا، إذ يعتبر المجمع الفاتيكاني الثاني نقطة تحوّل في نظرة الكنيسة الكاثوليكيّة لنفسها، وكان من أهمّ قرارات هذا المجمع قرار يقضي بالعمل على إدخال جميع البشر في المسيحيّة.

يظهر من خلال السيرة العلميّة والتعليميّة السّابقة لراتزينج ر أنّه اختار تخصّص الفلسفة، بالإضافة إلى اللاهوت، وهذا كفيّل بأن تكون مواقفه وآراؤه الدينيّة المسيحيّة المتطرّفة مغطّاة بغطاء المنطق وذات صبغة منطقيّة، وأن تكون مؤصّلة بصورة يقبلها إنسان خالي الذهن، ولا تخالف المنطق العام المتعارف عليه.

(1) ينظر: سيرة البابا بندكت السادس عشر، موقع الفاتيكاني الرسمي:

http://www.vatican.va/content/benedict-xvi/en/biography/documents/hf_ben-xvi_bio_20050419_short-biography_old.html

نشأ بندكت السادس عشر في ظل الحكم النازي ما أثر كثيراً على صياغة ثقافته، وذلك أنّ النازية كانت معادية للكنيسة الكاثوليكية، التي كانت تتخذ مواقف معارضة للحكم النازي، ومنها: مهاجمة بابا روما "بيوس الحادي عشر" (١) للنازية بعامّة، وفكرة الإله الوطني الخاص بشعب من الشعوب دون غيره بخاصّة، حيث أكدّ بابا روما حينها على أنّ الله هو ربّ الجميع بلا استثناء (٢).

وفي دراسته اللاهوتية تعلّم بندكت السادس عشر مبادئ عقديّة مهمّة منها: أنّ دراسة الكتاب المقدّس من ضرورات حياة الإنسان المسيحيّ، وأنّ الطريقة التاريخية النقدية التي اعتمدها القديس أوغسطين (354-430 م) (٣) في حوارهِ مع الأفلاطونية (٤) أدّت بصورة كبيرة إلى تحديد جوهر الدّين المسيحيّ، وأنّ تجربة يواكيم فيوري (1135-1202 م) (٥) لها أثر واضح في

(١) **بيوس الحادي عشر هو:** أمبروجيو داميانو آشيل راتو، عاش ما بين (1857 و 1939م)، ولد في إحدى قرى مدينة ميلانو بإيطاليا، وتولى البابوية ما بين (1922 و 1939م)، وكان شعاره "سلام المسيح في مملكة المسيح"، من أهمّ أعماله: توقيع اتفاقية "لاتران" مع دولة إيطاليا، التي بموجبها تمّ تشكيل دولة الفاتيكان وفق ما هي عليه اليوم، وتحديد يوم الأحد الأخير من شهر تشرين الأول من كل عام "عيداً للمسيح الملك"، وبنائه بعض أهم مباني الفاتيكان، ومنها: متحف العلوم الحديثة، ومتحف الرّسالات، والمرصد الفاتيكانيّ، لُقّب بـ "بابا الرّسالات"، و "بابا العمل الكاثوليكي". ينظر: سيرة بيوس الحادي عشر، موقع الفاتيكان الرسمي.

<https://www.vatican.va/content/pius-xii/en.html>

(٢) ينظر: وليم كار، اليهود وراء كلّ جريمة، ص222-223.

(٣) **القديس أوغسطين:** هو أوغسطينيوس عاش ما بين (354 و 430 م) من مواليد مدينة "طاجسطا" (أي "سوق أهراس" في الجزائر اليوم)، عالج مسائل كثيرة تتعلق بموقف الفلسفة من اليقين والإيمان والله، تعالى، وأسس للكثير من المسائل المتعلقة بالتقبل العقلي بعد الإيمان، وتحديدًا في الأخلاق والثالوث. ينظر: كرم يوسف، تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، ص25.

(٤) **الأفلاطونية:** هي صفة نسبة إلى الفيلسوف اليوناني أفلاطون (347 ق.م)، وترى هذه المدرسة أنّ المعرفة لا يمكن أن تستمد من المظاهر الخارجيّة وحدها، وأنّ الخالق، تعالى، كامل وأعلى من أن يدركه العقل، كما ترى هذه المدرسة أنّ المفهوم يدرك بالعقل، وأنّ المحسوس يدرك فقط بالتقدير، ينظر: جوزيف و. ميري، أفلاطون، الأفلاطونية والأفلاطونية الحديثة: موسوعة القرون الوسطى للحضارة الإسلامية، المجلد الثاني، ص614-616.

(٥) **يواكيم فيوري:** هو متصوف إيطاليّ، عاش ما بين (1130-1202 م)، أسّس الرهبانية الفيوريّة، التي عاشت إلى القرن السادس عشر، يقوم مذهبه على التّفريق بين العهدين القديم والجديد، وقد قسّم العصور الكنسية إلى

المصالحة بين المسيحيين واليهود، وحمل هذه المبادئ معه في حياته اللاحقة بحيث تمكّن لاحقًا من صياغة ثقافته في صورتها النهائية خلال مشاركته كخبير في المجمع الفاتيكاني الثاني.^(١)

2-أساتذته.

لم أجد ذكرًا صريحًا لأساتذة درس عليهم بندكت السادس عشر، لكنّه ذكر بعض من تأثر بهم تأثرًا واضحًا في حياته الثقافيّة، كما أبدى إعجابه ببعض الشخصيات اللاهوتيّة في أثناء حديثه عن نفسه، ومنهم: غوتليب سونجن الذي اعتبره مرشده الأول في علمي اللاهوت والفلسفة، ورومانو جوارديني اللاهوتي الإيطالي، الذي أبدى إعجابه الكبير به في كثير من مفاصل حياته، وعليه رأيت الحديث عنهما وبيان مدى تأثيرهما فيه، وذلك على النحو الآتي:

١. غوتليب كليمنس سونجن، عاش ما بين (1892-1971 م)

ولد غوتليب سونجن في كولونيا بألمانيا، ويعتبره بندكت مرشده الأول الذي وجّهه لدراسة الفلسفة واللاهوت في كلية اللاهوت الكاثوليكي في ميونيخ بألمانيا، حيث كان أستاذ علم اللاهوت الأساسي والفلسفة التمهيدية في كلية اللاهوت الكاثوليكي في ميونيخ ما بين السنوات (1947-1958 م)، وهو من أهم اللاهوتيين الكاثوليك في القرن العشرين، ونال وسام الأسقف البابوي تكريمًا له على جهوده اللاهوتية عام (1962 م)، وتم الاحتفال بعيد ميلاده السبعين عام (1968 م).

وقد وضع عنه بندكت السادس عشر بالاشتراك مع هاينريش فرايز مؤلفًا بعنوان "غوتليب سونجن في عيد ميلاده السبعين"^(٢)، وقال عنه بندكت: "يحافظ على الطابع الصوفي لله، بطريقة لاهوتية فلسفية في التفكير، ويكرّس نفسه بشكل خاص لمجال العقل واللاهوت واللغة"^(٣).

ثلاثة أقسام هي: عصر الأب، وعصر الابن، وعصر الروح الآتي، وهو العصر الذي تتولّى فيه الكنيسة إدارة الشؤون البشرية بعيدًا عن الهرميّة الكنسيّة بشكلها الحالي. ينظر: جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، ص 743.
(١) ينظر: جوزيف راتزينجر، التقديم الذاتي لبطاقة سماعته، جوزيف كعضو في الأكاديمية البابوية للعلوم، موقع الفاتيكاني [http://www.vatican.va/content/benedict-xvi/en/biography/documents/hf_ben-](http://www.vatican.va/content/benedict-xvi/en/biography/documents/hf_ben-xvi_bio_20050419_self-presentation.html)

[xvi_bio_20050419_self-presentation.html](http://www.vatican.va/content/benedict-xvi/en/biography/documents/hf_ben-xvi_bio_20050419_self-presentation.html)

(٢) ينظر: غوتليب سونجن، موقع كلية اللاهوت الكاثوليكي في ميونيخ [https://www.kaththeol.uni-](https://www.kaththeol.uni-muenchen.de/ueber_die_fak/gesch_fakultaet/profs_1826_2013/soehngen/index.html)

وكان تأثير سونجن في راتزينجر واضحًا، حيث كان سونجن مشرفًا على أطروحة الدكتوراه التي أعدّها بندق السّادس عشر ، وأخذ راتزينجر عن سونجن طريقته التشكيكية في أفكار الكاثوليكية الجديدة^(٢)، وكذلك العلاقة بين اللاهوت والحكمة، وأنّ العقل البشري هو مرجع الإيمان في كل الأحوال^(٣).

٢. رومانو جوارديني، عاش ما بين (1885-1968 م)

ولد في مدينة فيرونا شمالي إيطاليا، ثم هاجر مع أهله إلى ألمانيا، وقرّر عام (1910م) أن يصبح كاهنًا، فدرس اللاهوت في جامعة بون بألمانيا، وتعتبره الكنيسة الكاثوليكية من أهمّ اللاهوتيين في القرن العشرين، ويرى رومانو جوارديني أنّ الحرية الفردية مستحيلة، وأنّ الحرية تكمن في الاستسلام التام للمسيح. ويرى المفكرون المسيحيون أنّ رومانو جوارديني أعدّ الأرضية المناسبة لتجديد الكنيسة، يقول روبرت كريغ^(٤): "إنّ عمله (أي رومانو جوارديني) ساعد على استعادة جوانب من الإيمان الكاثوليكي، التي انزلت إلى الخلف مثل: تطوير الضمير أو تجديد الليتورجية^(٥)".

(١) ينظر: مدرس راتزinger، الوكالة الكاثوليكية للأخبار .

<https://de.catholicnewsagency.com/article/ratzingers-lehrer-gottlieb-sohngen-im-portrat-0922>

(٢) يقصد بالكاثوليكية الجديدة، أخذ اللاهوتيين الكاثوليك في العصر الحديث بالنسبية المعرفية، وتبني أفكار تعدّ في الأساس مناقضة لرسالة الكنيسة الكاثوليكية.

(٣) ينظر: هدى جلوان ، كيف تنطبق كتابات البابا بنديكطوس السادس عشر عن "التحول" على زيادة الأزواج، ص 8.

(٤) روبرت كريغ (1927-1995 م) وهو عالم لاهوت ألماني، ويعتبر من قيادات الكنيسة الكاثوليكية.

(٥) الليتورجيا: الخدمة، يُقصد بها العبادات والصلوات الاجتماعية بكل أنواعها، ثمّ استقر الرأي على إطلاق هذا المصطلح على القداس الإلهي تحديدًا، ينظر: قاموس المصطلحات الكنسية- معاني المصطلحات- معنى كلمة

ليتورجيا، موقع الأنبا تكلا : <https://st-takla.org/Coptic-Faith-Creed-Dogma/Coptic-Rite-n->

[Ritual-Taks-Al-Kanisa/Dictionary-of-Coptic-Ritual-Terms/7-Coptic-](https://st-takla.org/Coptic-Faith-Creed-Dogma/Coptic-Rite-n-)

[Terminology_Kaf-Kaaf-Laam/Liturgia_Liturg.html](https://st-takla.org/Coptic-Faith-Creed-Dogma/Coptic-Rite-n-) ؛

وقال عنه بندكت السادس عشر: "لقد ترك في أثرًا كبيرًا عندما كنت شابًا؛ لأنه كان

اللاهوتي المتقاني في البحث عن الحقيقة".^(١)

ويظهر تأثير رومانو جوارديني على بندكت السادس عشر في أنه أخذ عنه فكرة المسيح

المهيمن، أو القول بأن المسيح هو المنقذ الوحيد والمخلص الوحيد على هذه الأرض، وهذا ما يظهر جليًا في وثيقة "المسيح المهيمن"^(٢)، التي نشرها مجمع العقيدة والإيمان في الفاتيكان، في عهد راتزينجر، عام (2000 م)، وقال فيها: "إن الكاثوليكية هي الدين الوحيد الحق في هذا العالم، وأن جميع الناس مطالبون بالدخول في دين المسيح"، وبهذا يكون جوارديني من المؤثرين كثيرًا في تشكيل عقيدة بندكت السادس عشر المتشددة، والمتعصبة للديانة المسيحية، والتي قادته إلى الاعتقاد بشمولية الكاثوليكية، وتفضيلها على غيرها من المذاهب المسيحية، والديانات الأخرى.

(١) ينظر: نيكولاس أوليفرام سميث، رومانو جوارديني اللاهوتي المحبوب من بابين والقديس المحتمل، السجل

الوطني الكاثوليكي، الفاتيكان. 2017/12/15 م. <https://www.ncregister.com/daily->

[news/romano-guardini-beloved-theologian-of-two-popes-and-potential-saint](https://www.ncregister.com/daily-news/romano-guardini-beloved-theologian-of-two-popes-and-potential-saint)

(٢) ينظر: جوزيف راتزينجر، المسيح المهيمن.

المبحث الثالث: دخول بندكت الكنيسة، وتدرجه في سلكها.

1- دخوله الكنيسة

مرّت حياة بندكت السادس عشر في الكنيسة بمراحل عديدة، تدرّج فيها بشكل سلس في المناصب الكنسيّة المختلفة، إلى أن استطاع الوصول إلى أعلى الهرم في الكنيسة الكاثوليكية، ويمكن الحديث عن حياته الكنسيّة على النحو الآتي:

- ١ - دخل راتزينجر (بندكت) السلك الكنسي عام (1951 م)، حيث تمّت رسامته (١) كاهناً، والوظيفة الأساسية للكاهن هي إدارة الأسرار السبعة للكنيسة: المعمودية (٢) ، والتثبيت (الميرون) (٣)، والقربان المقدس (٤)، وتشكّل هذه الأسرار الثلاثة أساس دخول المؤمن المسيحي ضمن أسرة المسيح-الكنيسة-وهي منح لا تتغيّر ولا تحتاج إلى تجديد (٥)، ثمّ التوبة (٦)، ومسحة المرضى (٧) والكهنوت (٨) والزواج (٩) .

(١) الرسامة: هي مراسيم سرّية يصبح فيها الإنسان شماساً أو كاهناً أو أسقفًا ومُمكنًا من الخدمة باسم المسيح واسم الكنيسة. ينظر: ما هي الرسامة؟ مؤتمر الأساقفة الكاثوليك في الولايات المتحدة الأمريكية:

<http://www.usccb.org/beliefs-and-teachings/vocations/priesthood/priestly-formation/faqs-priesthood-ordination-seminary.cfm>

(٢) المعموديّة: هي السرّ الأول من أسرار الكنيسة، تقوم على غمر المؤمن بالماء وتلاوة صلوات معينة عليه، حتى يصبح عضواً في الكنيسة، التي تعتبر نفسها أسرة المسيح، وسمي هذا السر بالمعمودية لأنّه عماد باقي الأسرار، فلا يُقبل أي سرّ إلا لمن نال سرّ المعمودية ، ينظر: القس أنطونيوس فكري ، الأسرار الكنيسية، ص 136.

(٣) الميرون : كلمة تعني طيب مقدس أو دهن مقدس ، يدهن به بعد المعمودية على 36 منطقة في جسد المُعَدِّد، ينظر: المرجع نفسه، ص 149.

(٤) القربان المقدّس : هو طقس يتناول فيه المؤمن المسيحي الخبز والخمر ، ليُتحدّ مع المسيح ، عليه السلام ، وحسب المعتقد المسيحي فإنّ من لم يتناول فهو محروم من القيام على يد المسيح ، عليه السلام، في الحياة الأخرى، يرظّر: المرجع نفسه، ص 55-59.

(٥) ينظر: جورج يلداء، التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، الجزء الثاوي، ص 79.

إضافة لما سبق يزور كهنة الأبرشية المرضى، ويشرفون على برامج التعليم الديني في مناطق أبرشياتهم، ويقدمون بشكل عام رعاية رعوية لأبناء رعاياهم ، وغالبًا ما يعمل الكهنة الدينيون كمعلمين ومبشرين^(٥).

٢ شارك راتزينجر في الفترة ما بين (1962-1965 م)، كمستشار وخبير لاهوتي في مجمع الفاتيكان الثاني، وفي عام (1977م) أصبح رئيساً لأساقفة^(٦) ميونيخ^(٧)، كما تمّت رسامته في العام نفسه أسقفًا لكل بافاريا^(٨)، وذلك يحدث لأول مرّة منذ ثمانين عامًا في تاريخ الكنيسة الكاثوليكية في بافاريا، وكان شعاره للأسقفية البافارية: "متعاونون من أجل الحقيقة". وقد علّق على هذا الشعار قائلاً: فمن ناحية رأيت أنّها العلاقة بين مهمتي السابقة كأستاذ جامعي، ومهمتي

(١) التوبة: هي أن يعترف المؤمن المسيحي بذنوبه وخطاياها أمام الكاهن، وهذا يعتبر من أسرار الشفاء حسب المعتقد الكاثوليكي، ينظر: الكنيسة الكاثوليكية لديها الجواب، ترجمة أسرة القديس توما الإكويني، السؤال الثامن. موقع البابا فرنسيس بالعربية.

(٢) مسحة المرضى: هو سرّ يكون بعد الاعتراف، حيث يتلو الكاهن على المريض صلوات بعينها بهدف طلب الشفاء، ينظر: القس أنطونيوس فكري، الأسرار الكنيسية، ص 163.

(٣) طقس الكهنوت: هو السرّ الذي ينال فيه المؤمن رسامته ككاهن، بحيث يكون وسيطاً بين الربّ والمؤمن المسيحي، ينظر: القس أنطونيوس فكري، الأسرار الكنيسية، ص 159.

(٤) طقس الزواج: هو السرّ الذي تتم من خلاله مباركة زواج فردين مسيحيين ، ينظر: القس أنطونيوس فكري، الأسرار السبعة، مشروع الكنوز القبطية، ص 176.

(٥) ينظر: كهنة الروم الكاثوليك: <https://www.vault.com/industries-professions/professions/r/roman-catholic-priests>

(٦) الأسقف: رتبة في الكنيسة الكاثوليكية، وأصل الكلمة يوناني، بمعنى المراقب من الأعلى، ويكون المسؤول عن عدد من الكنائس، ومن مهامه ترسيم الكهّان، ينظر: أسقف، موقع معرفة: <https://www.marefa.org>

(٧) مدينة ميونيخ: هي العاصمة الخفيّة لألمانيا؛ وهي عاصمة ولاية بافاريا، وثالث أكبر مدن ألمانيا، تقع في جنوب ألمانيا على ارتفاع 520 م فوق سطح البحر على نهر إيزار، وعلى بعد 103 كم تقريباً من جبال الألب، وعلى مساحة 310 كم² تقريباً، ينظر: معلومات عن مدينة ميونيخ ، لارا عبيّات ، 2017/7/25 م: <https://mawdoo3.com>

(٨) بافاريا: أكبر ولايات ألمانيا، تقع في جنوب ألمانيا، كانت في الماضي مملكة مستقلة ثمّ انضمت إلى جمهورية ألمانيا الاتحادية في القرن المنصرم، ينظر: بافاريا، موقع معرفة: <https://www.marefa.org>

الجديدة-رئيس أساقفة بافاريا-على الرغم من اختلاف التوجهات، حيث كان هدفي- ولا زال-البحث عن الحقيقة، والعمل في خدمتها، واخترت هذا الشعار لأنه في عالم اليوم تلاشت الحقيقة، وكلّ شيء سينهار إن اندثرت الحقيقة" (١)، وهذا الشعار الذي اتخذه راتزينجر، يحصر الحقيقة في الكاثوليكية فقط، وهذا يظهر في وثيقة "المسيح المهيم" التي كانت له اليد الطولى في صياغتها، كما يأتي هذا الشعار تنويجاً لجهود المدرسة اللاهوتية الأصولية التي تربى فيها، ودرج منها نحو عمله الكنسي.

٣ في (1977/6/27م) عينه بابا روما يوحنا بولس الثاني كادريالاً (٢)، فشارك في انتخاب يوحنا بولس الثاني لمنصب البابوية عام (1978 م).

٤ في عام (1980 م)، كان مراسل الجمعية العامة لمؤتمر الأساقفة، الذي انعقد تحت عنوان "رسالة العائلة المسيحية في عالم اليوم".

٥ وفي سنة (1981م) عينه بابا روما يوحنا بولس الثاني رئيساً لمجمع عقيدة الإيمان، ورئيساً للجنة الكتابية البابوية واللجنة اللاهوتية الدولية.

٦ في عام (1982م) استقال بندكت السادس عشر من رئاسة أسقفية ميونيخ، وذلك كونه لا يستطيع الجمع بين مهامه في مجلس الفاتيكان، ورعاية الكنائس في بلاده.

٧ عام (1983م) أصبح رئيساً للجمعية العامة العادية السادسة بشأن المصالحة والتكفير في رسالة الكنيسة.

٨ عام (1993م) تمّ تعيينه مسؤولاً عن تعيين الأساقفة.

٩ شغل بندكت السادس عشر في الفترة ما بين (1986-1992 م) رئاسة اللجنة التحضيرية للتعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، التي صدر عنها التعليم

(١) ينظر: سيرة قداسة البابا بندكت السادس عشر 2005 م، موقع الفاتيكان الرسمي:

http://www.vatican.va/content/benedict-xvi/en/biography/documents/hf_ben-xvi_bio_20050419_short-biography_old.html

(٢) الوظيفة الأساسية للكاردينال هي المشاركة في انتخاب بابا جديد لروما، وفي غضون ذلك يكون عضواً في الكوريا الرومانية، وهي هيئة إدارية يكون كل كاردينال فيها مسؤولاً عن ملف معين يتابعه، ينظر: دور الكرادلة في الكنيسة الكاثوليكية: <https://www.dummies.com/religion/christianity/catholicism/the-role-of-cardinals-in-the-catholic-church/>

المسيحي "رسالة الفادي"، وهي رسالة صادرة عن بابا روما يوحنا بولس الثاني،
تعالج موضوع مهام الكنيسة وتحديد الجانب التبشيري، كون خلاصة الرسالة تقول:
"إنّ المسيح، عليه السلام، هو الذي افتدى البشرية جمعاء ليخلصها من الذنوب،
وبالتالي فلا خلاص في هذه الحياة إلاّ عبر المسيح"^(١).

١٠ - في عام (1998 م) تم انتخاب بندكت السادس عشر نائباً لعميد مجمع الكرادلة،
وهو مجمع تمّ تأسيسه في القرن الثاني عشر الميلادي، وعمله استشاري، وينوب
عن بابا روما في حال غيابه، وله مهمة انتخاب بابا جديد، كان عدد أعضائه حتى
القرن العشرين سبعين كردلاً، ثمّ تمّ رفع العدد إلى 120 كردلاً.^(٢)

١١ - في عام (2000 م) كان الأكاديمي الفخري للأكاديمية البابوية، وهي أكاديمية
أنشأها بابا روما كليمنت الحادي عشر (٣) عام (1701م)، بهدف تخريج كادر
كنسي قادر على ممارسة العمل الدبلوماسي، ويكون رئيس هذه الكلية وزير خارجية
الفاتيكان المؤقت^(٤).

١٢ - في عام (2002 م) أصبح عميداً لمجمع الكرادلة.

١٣ - في (2005/4/19 م) تمّ تنصيب بندكت السادس عشر رسمياً بابا روما^(٥)
الجديد، وقد اختار اسم "بندكت السادس عشر" اسماً بابوياً، واستمرّ في منصبه،
وحياته الكنسيّة حتى (2013/2/28 م) حيث استقال من منصب البابوية.^(٦)

(١) ينظر: وثيقة المسيح الفادي، موقع مكتبة الفاتيكان الرسمي، الرابط:

https://www.vatican.va/content/john-paul-ii/en/encyclicals/documents/hf_jp-ii_enc_07121990_redemptoris-missio.html

(٢) ينظر: سمير عطا، دويلات الجيب الأوروبية، مجلة الفيصل، العدد 349. ص 57.

(٣) كليمنت الحادي عشر: هو جوفاني فرانشسكو ألباني، ولد في أوربينو في إيطاليا، وتوفي عام 1721م، تولى
بابوية روما في الفترة 1700-1720 م، ينظر: البابا كليمنت الحادي عشر، موقع الفاتيكان الرسمي.

(٤) ينظر: الأكاديمية البابوية للعلوم، الكوريا (الحكومة) الرومانية، موقع الفاتيكان.

(٥) البابا: أعلى منصب في الهرم الكنسي، وحسب معتقد الكنيسة الكاثوليكية فإنّ من يتبوأ هذا المنصب فهو
معصوم بصورة مطلقة حينما يتحدث في أمور العقيدة والإيمان، ينظر: صموئيل بندكت، العقائد الكاثوليكية في
الكتاب المقدس، ص 8.

يظهر من خلال مسيرة راتزينجر الكنسيّة أنّه صعد بسرعة كبيرة مقارنةً بآترابه، وقد كان صعوده موازيا لتيار اللاهوت الأصولي الذي تتلمذ على أساتذته؛ فتيار اللاهوت الأصولي المتشدّد هو الداعم الفعلي للتغييرات التي حدثت في الكنيسة الكاثوليكية بتأثير قرارات المجمع الفاتيكاني الثاني، مثل: القول بضرورة العمل لإدخال غير المسيحيين في الديانة المسيحية على حسب التصور والمعتقد الكاثوليكي، فقد كان راتزينجر في المجمع الفاتيكاني الثاني مستشارا وخبيرًا لاهوتيًا.

وبعد تولي يوحنا بولس الثاني منصب البابويّة كان راتزينجر من المقربين النافذين في الفاتيكان، وكان تأثيره جليًا في المواقف الكاثوليكية؛ فهو مسؤول ملف النقاء العقائدي، وهذا منصب جعله ينشر أفكاره ومواقفه بسهولة ويسر، وبدعم مباشر من بابا روما حينها، فخلال وجوده في الفاتيكان ككاردينال تم تغيير كلّ الكرادلة واستبدالهم بكرادلة مُستجدين يحملون النهج المتشدّد نفسه الذي يحمله راتزينجر، ومن ثم بدأت الكنيسة الكاثوليكية في اتّخاذ مواقف سياسية على مستوى العالم، ومن ذلك: كانت الكنيسة الكاثوليكية مؤثرة وفاعلة في الحرب على الاتحاد السوفيتي، وكانت تحرك أتباعها في دول الاتحاد السوفيتي ليكونوا كتلة حرجة في الحرب على الشيوعية.

وأسهم بندكت السادس عشر بشكل كبير في اتّخاذ كثير من المواقف العقديّة والإيمانية الكاثوليكية مثل: "رسالة المسيح الفادي" التي صدرت عن بابا روما "يوحنا بولس الثاني" عام (1992م)، بعد توصيات اللجنة التي كان يرأسها راتزينجر، وخلاصة الرسالة توجي بالفكر الشمولي الذي يمثله راتزينجر، حيث تعتبر "رسالة المسيح الفادي" أنّ الخلاص لا يكون إلّا من خلال المسيح، عليه السلام، وذلك لا يتمّ إلّا من خلال الكنيسة الكاثوليكية فقط، التي تعتبر نفسها الدين الوحيد الحقّ على هذه الأرض، وأنّ على غير المسيحيين في العالم الانضواء تحت لواء الكنيسة الكاثوليكية.

(١) ينظر: سيرة قداسة البابا بندكت السادس عشر 2005 م، موقع الفاتيكان الرسمي:

http://www.vatican.va/content/benedict-xvi/en/biography/documents/hf_ben-xvi_bio_20050419_short-biography_old.html

وتمّ تأكيد ما ورد في "وثيقة المسيح الفادي" مرّة أخرى في وثيقة "المسيح المهيم"، التي صدرت عام (2000 م)، وكان لراتزينجر اليد الطولى في صياغتها، حتى أنّها بعد ذلك نُسبت إليه فقط، وذلك على الرغم من وجود آخرين ساعدوه في صياغتها، وفي "وثيقة المسيح المهيم" يبدو الموقف الكاثوليكي الشمولي أكثر وضوحًا، حيث تمّ حصر الخلاص والسعادة للبشر في إتباع الكنيسة الكاثوليكية.

وبناء على ما سبق يكون وصول راتزينجر إلى منصب البابوية تنويجًا لجهود كثيفة منذ عشرينات القرن المنصرم وحتى وصوله إلى المنصب في أوائل القرن الحالي (الحادي والعشرين الميلادي).

وهذه الجهود تتمثل فيما قام به تيار اللاهوت الأصولي بدءاً من رومانو جوارديني وغوتليب سونجن، وكذلك خلال فترة بابوية يوحنا بولس الثاني حيث تمّ تعيين كرادلة يتبنون نفس النهج، وتمّ العمل على إعادة الكنيسة الكاثوليكية للحياة العامّة في أوروبا والعالم ككل، وبدل التركيز على إعادة المسيحيين إلى الكنيسة تمّ الإعلان عن مخطط جديد يهدف إلى إدخال غير المسيحيين في المسيحية على المذهب الكاثوليكي، ويظهر ذلك جلياً في "وثيقة المسيح الفادي" و"وثيقة المسيح المهيم"، وكتاب "ادخلوا في الرجاء" ليوحنا بولس الثاني، ومؤلفات راتزينجر المختلفة، وانتهاءً ببندكت السادس عشر.

2- اختيار راتزينجر اسم بندكت السادس عشر

بعد توليه منصب البابوية، وحسب التقاليد الكنسيّة كان على راتزينجر أن يخبر أتباع الكنيسة بالاسم الذي اختاره لنفسه، فكان الاسم الذي اختاره هو بندكت السادس عشر، وعلّل هذا الاختيار بقوله: "اخترت هذا الاسم من أجل خلق رابطة روحية مع بندكت الخامس عشر (1845-1922 م) (1)، ومع بطيريك الرهينة الاستثنائي بندكت النيرسي (480-547 م) (1) الذي كان له الأثر الواضح في نشر المسيحية في القارة الأوروبية" (2).

(1) بندكت الخامس عشر: هو جياكو ديلا تشيزا، ولد في إيطاليا عام 1854 م، تولى منصب بابا روما 1914-1922 م، وفي أثناء ولايته وقعت الحرب العالمية الأولى، فاتخذ موقف الحياد، وكان له دور كبير في تنظيم الحملات التبشيرية في الشرق. ينظر: سيرة بندكت الخامس عشر، موقع الفاتيكان.

إنَّ اختيار الاسم يتمشى مع تطلعات ومواقف راتزينجر، حيث كان بندكت الخامس عشر، وبندكت النيرسي من أصحاب المواقف التي تُطالب بنشر المسيحية الكاثوليكية، واختيار تكريم بندكت النيرسي يتوافق مع الحلّ الذي طرحه راتزينجر ووافق عليه في كتابه "بلا جذور"، حيث يرى أنّ الحلّ لإعادة المسيحية الكاثوليكية إلى الحياة العامّة هو: إنشاء أقلّيات مبدعة، تحمل على عاتقها هذه المهمة كما فعلت الأديرة الرهبانية في أوقات الأزمات، وهذه الأديرة المقصودة هي أديرة الرهبانية البندكتية التي أسّسها بندكت النيرسي.

¹ () **بندكت النيرسي**: ولد في نورسيا في إيطاليا عام 480 م، وهو مؤسس الرهبنة الكاثوليكية بصورتها الحالية، وأسس الرهبانية البندكتية، والتي نشرت المسيحية الكاثوليكية في جميع أنحاء أوروبا، ينظر: القديس بندكت السادس عشر، الموسوعة الكاثوليكية. <https://www.newadvent.org/cathen/02467b.htm> (أ) بندكت السادس عشر، الجمهور العام، التفكير في الاسم المختار بندكت السادس عشر، موقع الفاتيكان. 2005/4/27 م.

المبحث الرابع: مؤلفاته.

يعتبر بندكت السادس عشر من باباوات روما المكثرين من الكتابة والتأليف في حقول اللاهوت والفلسفة المسيحية، والوعظ والتعريف بمبادئ المسيحية، ولم يكتف بالتأليف المنفرد بل وضع بعض المؤلفات بالاشتراك مع آخرين وقد عثرت على المؤلفات الآتية لبندكت السادس عشر:

أولاً- تأليفه المنفرد للكتب

استطاع بندكت السادس عشر تأليف ثمانية وأربعين كتابًا في موضوعات الدين المسيحي المختلفة، وهي:

- ١ . الكنيسة والمسكونية والسياسة: مقالات جديدة في علم الكنائس ، منشورات كرسرود، نيويورك. سنة (1959م) والكتاب عبارة عن مجموعة من المقالات التي تناقش الهيكلية الكنسية، والحركة المسكونية، والعلاقة بين الإيمان والسياسة.
- ٢ . الملامح اللاهوتية للفاتيكان الثاني، نشره بعد انتهاء المجمع الفاتيكاني الثاني، عن طريق المنشورات البولسية نيويورك، سنة (1966م). وفيه جمع راتنجر أهم النقاشات والقرارات التي تم اتخاذها في المجمع، وتكمن أهمية هذا المؤلف في كونه يوثق ما حدث في هذا المجمع المهم والذي يُعتبر نقطة تحول مهمة جدًا في تاريخ الكنيسة الكاثوليكية.
- ٣ . مقدمة في المسيحية ، باللغة الألمانية، منشورات إغناطيوس، سان فرانسيسكو ، و، سنة (1968م). وتمت ترجمته إلى اللغة الإنجليزية، وفي الكتاب تأكيد على العقيدة الكاثوليكية، ويعطي مجالاً لفهم طبيعة طرح راتنجر اللاهوتية داخل الكنيسة.
- ٤ . الإيمان والمستقبل، دار الفرنسيسكان، شيكاغو، سنة (1971 م). يناقش فيه راتنجر مستقبل الكنيسة الكاثوليكية، ومسألة مستقبل البشرية من وجهة نظره، ويتمحور الكتاب حول إمكانية أن يكون للإيمان-الكنيسة-دور في بناء عالم الغد.
- ٥ . إله يسوع المسيح: تأملات في ثالوث الله ، دار الفرنسيسكان ، شيكاغو، سنة (1978م). يناقش راتنجر في هذا الكتاب: الثالوث المقدس عند المسيحيين، ويؤكد أنّ الطريق إلى معرفة الله، تعالى، غير ممكنة دون المسيح، عليه السلام، وهذا يؤكد طبيعة الطرح الشمولي للمؤلف.

٦. ابنة صهيون، دار الفرنسيسكان، شيكاغو، سنة (1983 م). يدور الكتاب حول العقيدة المريميّة، ودور مريم العذراء، عليها السلام، في العقيدة والديانة المسيحية.
٧. العقيدة والوعظ، دار الفرنسيسكان، شيكاغو، سنة (1985م). يتحدّث فيه المؤلف عن الوعظ في العصر الحالي، ويقول: إنّ الوعظ يجب أن يكون مرتكزاً على العقيدة والكنيسة والكتاب المقدس، مع تطبيقات يراها المؤلف مناسبة لهذا العصر.
٨. عيد الإيمان: مقاربات لاهوت القديس ، منشورات إغناطيوس، سان فرانسيسكو و، سنة (1986م). يطرح المؤلف في هذا الكتاب حلاً لمشاكل العصر -من وجهة نظره- وهذا الحلّ يكمن في الصلاة والتضرّع بشكل صحيح وصادق.
٩. تقرير راتزينجر: مقابلة حصرية حول الوضع الراهن للكنيسة، منشورات إغناطيوس، سان فرانسيسكو، سنة (1986م). الكتاب عبارة عن مقابلة أجراها معه الصحفي الإيطالي فيتورو ميسوري، حيث تحدث راتزينجر عن التحدّيات التي تواجه الكنيسة بعد مجمع الفاتيكان الثاني.
١٠. اطلب ما هو أعلاه: تأملات على مدار العام، منشورات إغناطيوس، سان فرانسيسكو، سنة (1986م): يتحدّث الكتاب عن الحياة في ظلّ أتباع المسيح.
١١. ها هو المثقوب: نهج لكريستولوجيا روحية، منشورات إغناطيوس، سان فرانسيسكو، سنة (1986م). يتحدّث المؤلف في هذا الكتاب عن الشكل والكيفيّة التي يجب أن تكون عليها العلاقة مع المسيح، عليه السلام، وهذا الكتاب يعكس مبدأ المؤلف الداعي إلى وجود الديانة المسيحية في جميع نواحي الحياة.
١٢. نعمة عيد الميلاد: تأملات خاصة بالموسم، منشورات إغناطيوس، سان فرانسيسكو و، سنة (1986م). وفيه تأملات المؤلف وصلواته الخاصة بعيد الميلاد.
١٣. مبادئ اللاهوت الكاثوليكي: معالم مهمة للاهوت الأساسي، منشورات إغناطيوس، سان فرانسيسكو، سنة (1987م). والكتاب هو: مجموعة من المقالات التي شرح فيها بندكت السادس عشر العلاقة بين المذاهب المسيحيّة، وما يميّز المذهب الكاثوليكي عن غيره.
١٤. علم الإيمان بالآخرة: الموت والحياة الأبديّة، منشورات الجامعة الأمريكية الكاثوليكية، واشنطن، سنة (1988م). يناقش المؤلف في هذا الكتاب أمور الحياة الآخرة حسب المعتقد الكاثوليكي.

- ١٥ . وزراء فرحك: تأملات كتابية في الكهنوت الروحي، منشورات كنيسة ريديمير آن-الولايات المتحدة الأمريكية، سنة (1989م).
- ١٦ . لاهوت التاريخ عند القديس بونافنتورا، دار الفرنسيكان، شيكاغو، سنة (1989م). وهذا الكتاب هو أطروحة الدكتوراه الثانية لراتزينجر، يدور حول مركزية المسيح، عليه السلام، في التاريخ، وأنه-المسيح- هو محور التاريخ وليس نهايته.
- ١٧ . النظر إلى المسيح: تمارين في الإيمان والأمل والحب، منشورات كرسود، نيويورك، سنة (1991م). يدور الكتاب حول شمول التعليم المسيحي لمعاني الحياة المبنية على الإيمان، وأن الحياة المعاصرة لا يجب أن تُفقد المسيحي الأمل في حياة أفضل في ظل الإيمان.
- ١٨ . نقطة تحوّل لأوروبا: الكنيسة في العالم الحديث: التقييم والتنبؤات، منشورات إغناطيوس، سان فرانسيسكو، سنة (1994 م). يناقش راتزينجر في هذا الكتاب التّحديات التي تواجه الكنيسة الكاثوليكية بعد انهيار المعسكر الشيوعي.
- ١٩ . طبيعة ورسالة اللاهوت: مقالات عن توجيه اللاهوت في مناظرات هذا العصر، منشورات إغناطيوس، سان فرانسيسكو، سنة (1995 م). والكتاب يدور حول الطرح اللاهوتي في العصر الراهن، بحيث يرى راتزينجر في هذا الكتاب أنّ اللاهوت يجب عليه التماشي مع العقل البشري، دون الطرح التعسفي للمسائل دون نقد.
- ٢٠ . أغنية جديدة للرب: الإيمان بالمسيح والليتورجيا اليوم، منشورات كرسود، نيويورك، سنة (1996 م). يرّد فيه المؤلف على المتجادلين حول طبيعة الإيمان، وطريقة القدّاس.
- ٢١ . ملح الأرض: الكنيسة في نهاية الألفية: مقابلة مع بيتر سيوارد، منشورات إغناطيوس، سان فرانسيسكو، سنة (1997م). الكتاب عبارة عن مقابلة أجراها معه الصحفي بيتر سيوارد، وفيه يرّد راتزينجر على الأسئلة المتعلقة بالكنيسة الكاثوليكية، كما يتعرّض فيه للحديث عن الإسلام والديانات الأخرى.
- ٢٢ . معالم: مذكرات (1927-1977م)، منشورات إغناطيوس، سان فرانسيسكو، و، سنة (1998م). والكتاب عبارة عن مذكرات مبكرة لراتزينجر، يصف فيها مسيرة حياته أثناء الحرب العالمية الثانية، وبداية مسيرته الكنسية، والتعليم الذي تلقاه أثناء هذه الفترة من حياته.

٢٣. أديان متعدّدة وعهد واحد: إسرائيل، الكنيسة، والعالم ، منشورات إغناطيوس، سان فرانسيسك و، سنة(1999م). يتناول المؤلف في هذا الكتاب الخلافات بين المذاهب المسيحية حول الإيمان بالعهد القديم، ويخلص إلى ضرورة الإيمان بالعهد القديم والجديد بصورة متساوية.
٢٤. روح القدّاس ، منشورات إغناطيوس، سان فرانسيسك و، سنة(2000م). والكتاب يتحدث عن أهمية القدّاس في ممارسات الكنيسة، وهو إعادة طرح لما قام به رومانو جوارديني من تجديد في القدّاس، والكتاب يثبت التأثير الكبير الذي وقع على راتزينجر من قبل جوارديني.
٢٥. في الطريق إلى يسوع المسيح، منشورات إغناطيوس، سان فرانسيسك و، سنة(2005م). يدور الكتاب حول حصريّة الخلاص في شخص المسيح، عليه السلام، ومسؤولية الكنيسة في التبشير وتعريف العالم بالمسيح.
٢٦. المسيحية وأزمة الثقافات، منشورات إغناطيوس، سان فرانسيسكو، سنة(2006 م). يناقش المؤلف في هذا الكتاب خطر العلمانيّة على العالم الغربي.
٢٧. صور الأمل: تأملات في الأعياد الرئيسيّة ، منشورات إغناطيوس، سان فرانسيسك و، سنة(2006م). والكتاب شرح تأملي للرموز الكنسيّة التي تختص بموسم الأعياد المسيحيّة.
٢٨. ثورة الله: يوم الشباب العالمي وأمر أخرى ، منشورات إغناطيوس، سان فرانسيسك و، سنة(2006م). والكتاب عبارة عن خطاب موجه للشباب، يهدف إلى إقناعهم بأنّ إتباع المسيح، عليه السلام، لا يعني التخلّي عن شيء من ملذات الدنيا.
٢٩. القيم في زمن الاضطراب، منشورات إغناطيوس، سان فرانسيسكو، سنة(2006م). الكتاب يدور حول القيم المسيحيّة وكيفية تطبيقها على أرض الواقع.
٣٠. في الضمير: مقالان عن أخلاقيات البيولوجيا والثقافة ، منشورات إغناطيوس، سان فرانسيسكو، سنة(2007م). الكتاب عبارة عن مقالتين كتبهما راتزينجر عندما كان رئيسًا لمجمع العقيدة والإيمان.
٣١. أوروبا اليوم وغدًا، منشورات إغناطيوس، سان فرانسيسكو، سنة(2007 م). الكتاب يدور حول مدى إدراك أوروبا لهويتها وذاتيتها.

٣٢. **تدفقات جديدة للروح: تحركات داخل الكنيسة**، منشورات إغناطيوس، سان فرانسيسكو، سنة (2007 م). والكتاب يتحدّث عن التغييرات التي تحدث داخل الكنيسة الكاثوليكية، بعد تولّي بندكت السادس عشر منصب البابويّة.
٣٣. **يسوع الناصري: من المعمودية في الأردن إلى التجلي**، منشورات دبلدي، نيويورك، سنة (2007 م). والكتاب عبارة عن وصف للمسيح، عليه السلام، من خلال الأناجيل المعتمدة عند الكنيسة الكاثوليكية، ويقول بندكت أنّ الكتاب عبارة عن رحلة بحث شخصيّة عن المسيح، بهدف تعريف الناس بصورة المسيح الحقيقية.
٣٤. **يسوع والرسول والكنيسة المبكرة**، منشورات إغناطيوس، سان فرانسيسكو، سنة (2007 م). والكتاب عبارة عن مجموع دروس بندكت الأسبوعية حول علاقة المسيح، عليه السلام، مع الكنيسة، وكذلك سرد تاريخي لدور الرسل-الحواريين-في نشر المسيحية.
٣٥. **كلمة الله**، منشورات إغناطيوس، سان فرانسيسكو، سنة (2008 م). والكتاب يتناول كلمة الله ووجودها في الكنيسة والكرسي الرسولي، ويردّ فيه راتزينجر على تساؤلات غير الكاثوليك، حول طبيعة علاقة الله، تعالى، بالكنيسة، وخلافة بابا روما للمسيح ومدى تمثيله للحقيقة.
٣٦. **آباء الكنيسة: من كليمنت روما إلى أوغسطين هيبو**، منشورات إغناطيوس، سان فرانسيسكو، سنة (2008 م). والكتاب عبارة عن جمع لمحاضرات ألقاها راتزينجر حول آباء الكنيسة الكاثوليكية، في العامين (2007-2008 م).
٣٧. **الصدقة في الحقيقة: كاريثاس التحقّق**، منشورات إغناطيوس، سان فرانسيسكو، و، سنة (2008 م). يدعو المؤلف في هذا الكتاب إلى تنمية الأفكار بالإيمان والعقل، في عصر التكنولوجيا والحياة الماديّة.
٣٨. **متعة معرفة المسيح: تأملات للأناجيل**، منشورات ورد أمونج أ. ص، فريدريك-ميرلاند، سنة (2009 م). والكتاب عبارة عن تأملات في الأناجيل المختلفة، بهدف إحياء ربيع روحي جديد في الكنيسة.
٣٩. **القديس بولس**، منشورات زائر الأحد، هنتغتون، سنة (2009 م). الكتاب عبارة عن سيرة ذاتيّة لبولس الرسول بصفته المؤسس الفعلي للكنائس.

- ٤٠ . صلوات البابا بنديكتوس السادس عشر، (2009م): منشورات مؤتمر الولايات المتحدة
للأساقفة الكاثوليك، واشنطن-الولايات المتحدة الأمريكية. والكتاب عبارة عن أدعية وصلوات تم
تجميعها، حيث كان بندكت يستجيب لطلبات أتباعه ويصلي لهم.
- ٤١ . الرسل، 2010: منشورات زائر الأحد، هنتغتون، سنة (2010م). يتحدث فيه راتزينجر
عن الرسل-الحواريين-ودورهم في نشر المسيحية، وما قدموه للكنيسة.
- ٤٢ . الفضائل: منشورات زائر الأحد، هنتغتون، سنة (2010م). يتحدث فيه راتزينجر عن
القيم والأخلاق المسيحية، وكيفية الحفاظ عليها، وتطبيقها في هذا العصر.
- ٤٣ . المعلمون الكبار. منشورات زائر الأحد، هنتغتون، سنة (2011 م). يتناول المؤلف في
هذا الكتاب حياة وأعمال مؤسس الفرنسيسكان القديس فرنسيس الإسيزي، ومؤسس الدومينكان
دومنيك غوزمون.
- ٤٤ . القداسة دائما في الموسم. منشورات إغناطيوس، سان فرانسيسكو، سنة (2011 م) .
يتحدث راتزينجر في هذا الكتاب عن الكمال والقداسة، مؤكداً أن القداسة ليست محصورة في فئة
دون غيرها، بل هي حق لكل مسيحي يجتهد في نيلها.
- ٤٥ . يسوع الناصري: من الدخول إلى أورشليم إلى القيامة: منشورات زائر الأحد، هنتغتون،
سنة (2011م). يرد راتزينجر في هذا الكتاب على الدراسات التي ترفض فرضية المسيح ابن الله،
مؤكداً أن هذه الدراسات لا يمكنها نفي هذه الحقيقة عن المسيح.
- ٤٦ . المرأة المقدسة. منشورات زائر الأحد، هنتغتون، سنة (2011 م). يسرد راتزينجر في
هذا الكتاب قصص سبع عشرة امرأة من القديسات في التاريخ الكنسي الكاثوليكي.
- ٤٧ . أطباء الكنيسة. منشورات زائر الأحد، هنتغتون، سنة (2011م). يسرد راتزينجر في هذا
الكتاب قصة اثنين وثلاثين من رجال الكنيسة، ويسمّيهم أطباء لأنهم-حسب وجهة نظره-قاموا بما
عليهم من مهام حتى وإن واجهتهم صعاب جمّة.
- ٤٨ . يسوع الناصري: سرديات الطفولة. أميج بوكس، كولورادو، سنة (2012 م). في هذا
الكتاب يتتبع راتزينجر طفولة المسيح، عليه السلام، من خلال الأناجيل، ويبحث عن تفاصيل
تجعل المسيح مميزاً حتى في طفولته.

ثانياً: تأليفه للكتب بالاشتراك:

- شارك بندقته السادسة عشر غيره من رجال الدين المسيحي في تأليف ثمانية عشر كتاباً، وهي:
١. **ماذا يعني أن تكون مسيحياً**. منشورات إغناطيوس، سان فرانسيسكو، سنة (1965م). ألفه بالشراكة مع هنري تايلور، والكتاب عبارة عن ثلاث خطب ترشد المسيحي للعيش الصحيح في زمن العلمانية.
 ٢. **مبادئ الأخلاق المسيحية**. منشورات إغناطيوس، سان فرانسيسكو، سنة (1986م). ألفه بالشراكة مع هينز شكورمان وهانز أرس فون، والكتاب مجموعة من المقالات، يعرض فيها راتزينجر -في الجزء الخاص به- العلاقة بين الإيمان والأخلاق.
 ٣. **البداية: فهم كاثوليكي لقصة الخلق والسقوط "استرجاع، واستعادة، وتجديد الفكر الكاثوليكي"**. منشورات ايردمانز، جراند رابيدز، سنة (1995م). ألفه بالشراكة مع بونيفاس رمزي، والكتاب يناقش قصة بدء الخلق من وجهة نظر كاثوليكية تعتمد على الكتاب المقدس.
 ٤. **المسيح يدعو إلى التواصل: فهم الكنيسة اليوم**. منشورات إغناطيوس، سان فرانسيسكو، سنة (1996م). ألفه بالشراكة مع أدريان ووكر، ويناقش الكتاب أهمية الوحدة المسيحية بين كل المذاهب، وكذلك يُخبر الكتاب العلمانيين أنه لا غنى لهم عن الإيمان بالمسيح.
 ٥. **الله والعالم: محادثة مع بيتر سيوالد**. منشورات إغناطيوس، سان فرانسيسكو، سنة (2000م)، ألفه بالشراكة مع بيتر سيوالد، والكتاب هو مدخل لفهم موقف راتزينجر من الأديان الأخرى، والمشاكل التي يعاني منها العالم.
 ٦. **الله قريب منا: القربان المقدس قلب الحياة**. منشورات إغناطيوس، سان فرانسيسكو، سنة (2003م). ألفه بالشراكة مع ستيفان أوتو ألقرن وفنزير بفنر، وفي هذا الكتاب يناقش المؤلفون أهمية القربان المقدس في الشعائر الكنسية.
 ٧. **الحقيقة والتقبل: الإيمان المسيحي وأديان العالم**. منشورات إغناطيوس، سان فرانسيسكو، سنة (2004م). ألفه بالشراكة مع هنري تايلور، وفي هذا الكتاب يتساءل راتزينجر، بل يُسائل الأديان الأخرى عن موقفها من المسيح وصلبه، وكون المسيح الفداء لكل العالم، وماذا لو كان الفداء عن العالم صحيحاً؛ فهل ستقبل تلك الأديان هذه الحقيقة وتتبع المسيح؟.

٨. زمالة الحاج للإيمان: الكنيسة كوسيلة تواصل . منشورات إغناطيوس، سان فرانسيسك و، سنة(2005م). ألفه بالشراكة مع ستيفان أوتو القرن، وفنزوز بفنر، والكتاب عبارة عن مقالات منشورة سابقاً، تدور حول الكنيسة والأديان غير المسيحية، وكذلك دور الكنيسة في ظلّ العلمانية الحديثة.
٩. الخلاصة: التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية. منشورات مؤتمر الولايات المتحدة للأساقفة الكاثوليك، واشنطن، سنة (2005م). الكتاب عبارة عن سرد لحياة بعض القديسين-حسب الكنيسة-بهدف الوصول إلى فهم أعمق للقيم والأخلاق المسيحية.
١٠. مريم: الكنيسة في مهدها . منشورات إغناطيوس، سان فرانسيسك و، سنة(2005م). ألفه بالشراكة مع هانز أرس فون بالتشر، يتناول الكتاب أهمية مريم العذراء في المعتقد المسيحي.
١١. طريق الصليب. منشورات باولين للكتب والإعلام، بوسطن، سنة (2005م). ألفه بالشراكة مع مؤلفين كثر، والكتاب يتناول كثيرًا من الطقوس والشعائر التي يجب أن يعلمها المؤمن المسيحي.
١٢. التمسك بالإيمان في عصر عدم الإيمان. منشورات إغناطيوس، سان فرانسيسك و، سنة (2006م). ألفه بالشراكة مع ريان وديرمو، والكتاب يبحث عن كيفية تطوير التعليم الكنسي في هذا العصر.
١٣. بلا جذور: الغرب، والنسبية، والمسيحية، والإسلام. منشورات بيزك بوكس، سان فرانسيسكو، سنة(2006م). ألفه بالشراكة مع مارسيلو بيررا، يناقش الكتاب حالة أوروبا في العصر الحاضر، وتحديداً بعد ظهور مدارس النسبية المعرفية، وهو الكتاب موضع الدراسة والترجمة.
١٤. نور العالم: البابا، والكنيسة، وعلامات الزمن . منشورات إغناطيوس، سان فرانسيسك و، سنة (2010م) مع بيتر سيوالد، في هذا الكتاب نقاش بين راتزينجر وسيوالد حول واقع الكنيسة ومشاكل العالم.
١٥. العهد الأخير: بكلماته الخاصة. منشورات بلومز بيري، لندن، سنة (2017م). ألفه بالشراكة مع بيتر سيوالد، والكتاب يلقي الضوء على الأسباب التي دفعت راتزينجر للاستقالة من منصب البابوية.

١٦. من أعماق قلوبنا: الكهنوت والعذاب وأزمة الكنيسة الكاثوليكية . منشورات إغناطيوس، سان فرانسيسكو، سنة(2020م). ألقه بالشراكة مع الكاردينال روبرت سارة، والكتاب يتناول الأزمة التي تعاني منها الكنيسة الكاثوليكية، وهو دعوة لإحداث تغييرات جذرية في كهنوت الكنيسة.

ثالثاً-المنشورات.

والمقصود بالمنشورات، هي الرسائل الرسولية التي تصدر عن بابا روما، وتتعلق بطبيعة فهم البابا نفسه لمهمة الكنيسة، والطريق التي اختارها لينشر رسالة الكنيسة، وغالبا ما تكون هذه المنشورات موجهة للجمهور العام.

١. الله محبة. منشورات إغناطيوس، سان فرانسيسكو، سنة (2006م). وعنوان هذا المنشور، يلخص الطريقة التي اختارها بندكت ليخاطب العالم، حيث يقول فيها إنّ الله، تعالى، ليس خاصاً بقوم دون آخرين، وأنّ المسيح، عليه السلام، قدّم الفداء عن جميع البشر لأنّه يحبهم.
٢. الأمل ينقذنا. منشورات إغناطيوس، سان فرانسيسكو، و، سنة (2008م). من خلال هذا المنشور يحثّ راتزينجر المسيحيين على التمسك بإيمانهم لمواجهة تحديات هذا العصر.

رابعاً-المواعظ(الإرشادات الرسولية):

نشر بندكت السادس عشر كثيراً من مواظمه الدنيّة في أربع مؤلّفات هي:

١. سرّ المحبّة. منشورات الفاتيكان، سنة (2007م). هذا الإرشاد الرسولي يتوافق مع المنشور العامّ حول رسالة بندكت للعالم، والتي مفادها أنّ الله، تعالى، طلب من البشر أن يحبّ أحدهم الآخر، وأن يتعامل مع غيره كأنّه يعالج أمراً يخصه.
٢. كلمة الربّ في حياة الكنيسة وأعمالها . منشورات الفاتيكان الرسميّة، سنة (2010م). وهو عبارة عن رسالة موجهة إلى العاملين في الكنيسة، ويطلب منهم فيها التمسك بتعاليم المسيح وبثّها بين الناس.
٣. رصيف أفريقيا. منشورات الفاتيكان، سنة (2011م). وهو عبارة رسالة موجهة للعاملين في الكنيسة المسيحيّة في أفريقيا، وللعلمانيين الأفارقة، يُبيّن فيه بندكت السادس عشر ضرورة تعاون الفريقين لتحسين وضع الكنيسة الكاثوليكية في إفريقيا.

٤. الكنيسة في الشرق الأوسط. منشورات الفاتيكان، سنة (2012م). والكتاب عبارة عن توجيهات للعاملين في الكنيسة الكاثوليكية في الشرق الأوسط، يُبيّن فيه بندكت السادس عشر للعاملين في الكنيسة، في الشرق الأوسط، طريقة إتباع التعاليم العامّة للكنيسة الكاثوليكية في الفاتيكان.

الفصل الثاني-مواقف بندقى السّادس عشر من الإسلام.

-تمهيد

المبحث الأوّل-مواقفه من الإسلام خلال مسيرته الكنسيّة.

المبحث الثاني-مواقفه من الإسلام من خلال كتابه بلا جذور.

المبحث الثالث-مواقفه من الإسلام من خلال خطابه في جامعة ريجنسبرغ.

تمهيد:

- حال أوروبا في القرن العشرين:

قبل الشروع في الحديث عن مواقف بندكت السادس عشر من الإسلام، من خلال حياته الكنسيّة وكتاباتة، لا بدّ من الحديث عن حال أوروبا، الذي دفع بندكت لاتّخاذ مواقفه الحادّة من الإسلام.

لا شكّ في أنّ الدافع نحو المواقف الحادّة التي اتخذها "بيرا وبندكت"، هو علمهما بحال أوروبا، وطبيعة الأزمة الوجوديّة التي تعاني منها، ولا زالت أوروبا تعاني من هذه الأزمة، فمن ناحية الوجود البشري تعاني أوروبا من نقص حادّ في معدلات المواليد، وليس لدى أوروبا ما تقدمه للعالم، لأنّها-كما يقول "بيرا"-فارغة من محتواها، ومشلولة ثقافيًا وشعبيًا، فالهجرة إلى أوروبا تجيء في سياق ملء الفراغ الديموغرافي فيها من خلال جماعات مزروعة (١)، مما يجعل أزمة أوروبا أزمة وجودية تكاد تفقد فيها هويتها.

بناء على ما سبق يرى "بيرا" أنّ إدعاء أوروبا أنّ قيمها ذات صبغة عالمية نوع من الوهم، فأوروبا لا تعرف من أين تبدأ في البحث عن هويتها (٢).

وهناك أزمة أخرى تتقاطع مع أزمة الهوية، و تفسّر هذه الأزمة تشدّد الكنيسة الكاثوليكية، فقد تراجعت هذه الكنيسة أمام منافستها الكنيسة البروتستانتية، فمثلا نما عدد البروتستانت في أسبانيا الكاثوليكية إلى (400) ألف عام (2005م)، وكذلك تمّدّد الوجود الإسلامي في أوروبا (٣)، فقد أدّى ظهور العلمانية في أوروبا وانتشار ثقافة العولمة إلى الفصل بين الديني والثقافي، وبالتالي انفصلت المسيحيّة عن الثقافة الأوروبية، ممّا يفسّر إصرار الكنيسة الكاثوليكيّة على ضرورة إثبات أنّ المسيحيّة هي الأساس الذي بنيت عليه الحضارة الأوروبية، في وثيقة الدستور الأوروبي،

(١) ينظر: بندكت السادس عشر، بلا جذور، ص 49.

(٢) المرجع نفسه. ص 52

(٣) ينظر: أوليفيه روا، الجهل المقدّس. ص 23.

وعلى الرغم من أنّ الأوروبيين يُثبتون أنّ هناك توترًا مستمرًا، بين المسيحية وأي ثقافة، فأى دين يعجز عن تلبية شروط العولمة، ما لم يُقدّم نفسه كدين مجرد دون ثقافة^(١).

الفهم السابق يفسّر الحرب التي يشنّها "بيرا وبنديكت" على النسبية المعرفية، حيث تُصبح الثقافة الأوروبية خيارًا من خيارات متعدّدة، وينسحب الأمر كذلك على الدين المسيحي، والفصل بين الديني والثقافي يُلقى ضوءًا على موقف بنديكت السادس عشر من التعددية الثقافية، فهو يرى أنّه علامة مهمّة تدل على مرض الغرب^(٢).

ويتعدّى الأمر ما سبق، حيث يزعم "بنديكت" أنّ سبب التوسع الغربي في العالم، كان غياب الزعامات الثقافية العظيمة في آسيا وأمريكا^(٣)، وفي المقابل يُقرّ "بنديكت" أنّ نظام أوروبا القيمي والثقافي، المُلهم بالمسيحية، قد وصل إلى نهايته، وعندها سيكون البديل ثقافات من عوالم أخرى منها الإسلام، في حين يرى "بيرا" أنّ الغرب يُعاني من الشلل، ذلك أنّ الغرب لا يؤمن بقدرته على تفضيل نفسه على الإسلام، ممّا يعني حتمية الصدام مع الإسلام^(٤). فخوف "بيرا وبنديكت" لا ينبع فقط من فكرة موت أوروبا، بل يخافان بصورة أكبر من وارث الحضارة الغربية، وهو الإسلام المرشح لأن يكون وارثًا لهذه الحضارة، فهما يستدلّان على انتهاء حضارة الغرب بفشل أوروبا في تحليل الإرهاب، فأوروبا لا تدرك وجود إرهاب يهدّد وجودها ويستهدفها.

ويرى "بنديكت" أنّ أهمّ أعراض مرض أوروبا النهائي، التعددية الثقافية، لذلك يرفض "بنديكت" التعددية الثقافية—كما يفعل غيره من الغربيين—وهذا الرفض بسبب كون التعددية الثقافية تجعل الثقافة الغربية واحدًا من متعدّد، وبالتالي تكون الثقافة الغربية مساوية لغيرها من الثقافات الأخرى، وهذا يوضح رفض "بيرا وبنديكت" للنسبية المعرفية، لأنّها تُجرّد الثقافة الغربية من خاصيتها العالمية، وتضع الثقافة الغربية على قدم المساواة مع غيرها من الثقافات.

(١) ينظر: بنديكت السادس عشر، بلا جذور. ص 58.

(٢) المرجع نفسه، ص 119.

(٣) المرجع نفسه، ص 97.

(٤) المرجع نفسه. ص 98

وتاريخياً تُعدّ المسيحية وافدة على الثقافة الأوروبية، ولا تقبل المسيحية أن تحل محلها ثقافة أخرى، بل لا تقبل ديناً آخر في أوروبا، لأنها-المسيحية-تفرض مفهوماً جديداً للدينين، يعتبر ديناً مطلقاً وموحىً به، وتسلّطي^(١).

وكون العلمانية نتجت عن انفصال المسيحية عن الثقافة الغربية، فإنّ المسيحية تسعى جاهدة لإعادة هذه العلاقة، وإعادة وشائجها، لذلك عمدت الكاثوليكية إلى مبدأ الاندراج الثقافي، الذي مفاده أنّ الدين ليس ثقافة، ومع ذلك فإنّ الدين لا يمكن أن يوجد خارج ثقافة ما^(٢)، وهذا ما يذهب إليه "يوحنا بولس السادس" عندما يقول: "لا ريب أنّ القطيعة بين الإنجيل والثقافة هي مأساة عصرنا"^(٣). فالمطلوب إذاً أن تكون الثقافة في الغرب أو أيّ مكان مرتبطة بالدين، وتحديدًا المسيحية، حيث يقول بولس السادس: إنّ صيرورة اندراج الكنيسة في ثقافات الشعوب، تتطلب وقتاً طويلاً، ولا يتعلق الأمر بملاءمة خارجية بسيطة، لأنّ الاندراج الثقافي يعني تحوّلًا داخلياً من القيم الثقافية الأصلية، عبر إدماجها في المسيحية، وتأسيس المسيحية في الثقافات الإنسانية"^(٤).

وقد تبنّى "بندكت" موقف "بولس السادس"، حيث يرى بندكت حصرية المسيحية الكاثوليكية، وضرورة اعتبارها الأصل الوحيد للثقافة والوجود الأوروبي، وبالتالي يكون حديث بندكت عن موت الغرب، نابغاً من إدراكه لانفصال الثقافة الغربية عن المسيحية الكاثوليكية، وتتكرّر هذه الثقافة للمسيحية، وكذلك رفضها البعد الديني في أصولها، بل تعدّى الأمر ذلك، فالحديث يدور عن عالمية القيم الغربية دون المسيحية، وهذا يشرح إصرار بندكت وحرصه على ضرورة اندراج المسيحية في الثقافة الغربية، لأنّ عولمة الثقافة الغربية تعني-في حال اندراج المسيحية-عولمة القيم المسيحية الكاثوليكية.

غير أنّ الاندراج الثقافي للمسيحية في ثقافات أخرى، يعاني من انحرافات لا تقبلها الكاثوليكية، مثل التعديل الذي يقع على اللاهوت المسيحيّ حين ترجمته للغات أخرى، ممّا يجعل الفهم اللاهوتيّ نسبياً، وبالتالي لا يجعله مميزاً عن غيره من الأطروحات الدينية، وممّا يؤكد

(١) ينظر: أوليفيه روى، الجهل المقدس، ص 73.

(٢) المرجع نفسه، ص 110.

(٣) ينظر: يوحنا بولس السادس، تنصير البشر في زماننا، مكتبة الفاتيكان، 1975م.

(٤) ينظر: أوليفيه روى، الجهل المقدس، ص 111.

انحراف الاندراج الثقافي، الذي يُطالب به "بندكت" و"بولس السادس"، أنّ الثقافات غير الغربية تصبح ذات قيمة أعلى وأهمّ إذا أدرجنا فيها القيم الكاثوليكية، بحيث تُصبح تلك الثقافات مساوية للثقافة الغربية ثقافيًا ودينيًا، ممّا يجعل النسبية المعرفية تجمع إلى جانبها الثقافي جانباً دينياً^(١)، وهذا يعيدنا إلى المربع الأول الذي صدرت عنه مواقف بندكت وغيره، وهذا المربع هو الأخذ بالنسبية المعرفية والتعددية الثقافية، فتبقى المسيحية الكاثوليكية خيارًا من متعدّد، ولا خصوصية لها ترفعها عن غيرها، أو تجعلها متفوقة على غيرها، بل قد يؤثر ذلك في نظام الحكم نفسه، حيث لا يمكن لآلية الحكم أن تعمل، إلا إذا انتشر الدين المهيمن في ثقافة^(٢).

بل إنّ عملية الاندراج الثقافي التي يطالب بها "بندكت"، ربّما تؤدي عكس المطلوب منها، فإنّ الكنيسة إذ تحتفظ لنفسها بحقّ التحكم في إدارة الرموز الدينية، فهي تؤكد على عكس ما أرادت قوله، في إلحاحها على أهمية منظوية على نفسها، وهي-المسيحية-أقلية، وتلتمس من القانون حماية حساسية أعضائها^(٣)، ذلك أنّ انسحاب الديني من الثقافي، يؤدي إلى نتيجتين متعارضتين، فالديني يفقد مرساة الثقافة، وتتسى الثقافة مصادرها الدينية، وكذلك تفقد كل معرفة دنيوية بالديني^(٤).

السجال السابق حول الاندراج الثقافي وعدمه، هو ما جعل "بندكت" يرى بصورة فعلية وجود أزمة وجودية في أوروبا، وكأنّ "بندكت" يقول أنّ عدم الأخذ بالأصل المسيحي الكاثوليكي للثقافة الغربية، يعني نهاية الغرب.

ويعمل "بندكت" من خلال خيار آخر، وهذا الخيار هو الاندراج الثقافي، بمعنى أنّ فشل "بندكت" في الطرح الديني، وفشله في الفهم التأسيلي لثقافة أوروبا، أدّى إلى توجيهه إلى خيار الاندراج الثقافي، حيث يؤكد "بندكت" أنّه لا يمكن وجود ثقافة غربية دون المسيحية الكاثوليكية، ويرضى بندكت ببديل عن رفض إدراج المسيحية كأصل للثقافة الأوروبية في وثيقة الدستور

(١) ينظر: أوليفيه روا، **الجهل المقدس**، ص 112.

(٢) المرجع نفسه، ص 177.

(٣) المرجع نفسه، ص 191.

(٤) المرجع نفسه، ص 192.

الأوروبية، يرضى ببقاء العلامات التفاضلية للمسيحية مثل: الصليب، الذي يحمل جسد المسيح، معروضا في الصفوف المدرسية والمحاكم^(١).

ومما يؤيد هذا الاستنتاج أن بندكت ذهب باتجاه الاندراج الثقافي-كما قال بذلك "بولس السادس" من قبل-أنّ الحالة الفعلية للكنيسة الكاثوليكية تشهد تراجعاً في أوروبا، بينما ينمو ثقل الكنيسة الكاثوليكية في الجنوب-الجنوب عكس الشمال الأوروبي-مما يهدد سيطرة الكنيسة الكاثوليكية الأوروبية^(٢)، ويزيد من أزمة الكنيسة الكاثوليكية أنّ هناك انقلاباً في الأمور والمسارات، التي سمحت بالانتقال من الوثنية إلى المسيحية، حيث تعمل تلك المسارات بصورة عكسية، أيّ الانتقال من المسيحية إلى الوثنية^(٣).

نخلص مما سبق إلى الاستنتاج أنّ الأزمة التي يعترف بها "بندكت"، ويحاول تسويقها، تعتبر أزمة وجودية، ليس للثقافة الأوروبية، بل للمسيحية الكاثوليكية، والفاتيكان تحديداً، لأنّ الانفصال بين الثقافة الأوروبية والكاثوليكية، حدّ كثيراً من انتشار المسيحية وتأثيرها حتّى في بلدانها الأصلية، لذلك يكون التبشير سعياً للاندرج الثقافي، وتكون التعددية الثقافية مرفوضة من الناحية الكاثوليكية، ليسهل بعد ذلك إدراج المسيحية الكاثوليكية في الثقافة الغربية، من دون أن يكون للمواطن الأوروبي أي خيار ثقافي آخر، سوى تقبل ثقافته المرفقة مع الكاثوليكية، وهذا ما ذهب إليه "بندكت" في وثيقة "المسيح المهيمن"، التي تمت صياغتها في عهده كمحافظ لكرسي الإيمان والعقيدة، الاسم الجديد لمحافظ محاكم التفتيش.

وخلاصة ما ذهب إليه بندكت في الوثيقة المذكورة، "أنّه لا دين حقّ إلا المسيحية وتحديداً في صورتها الكاثوليكية، ولا خلاص إلا من خلال المسيح الكاثوليكي"^(٤)، وهذا يتقاطع مع مواقف تيار اللاهوت الأصولي المتشدّد الذي صاغ مخرجات مجمع الفاتيكان الثاني، ويتقاطع موقف "بندكت" مع سياسة "بولس الثاني"، وتحديداً في رسالة "المسيح الفادي"، التي خلصت إلى ضرورة

(١) ينظر: أوليفيه روا، الجهل المقدس، ص 196.

(٢) المرجع نفسه، ص 210.

(٣) المرجع نفسه، ص 242.

(٤) ينظر: بندكت السادس عشر، وثيقة المسيح المهيمن. ملحق "1".

دخول جميع سكان الأرض في كنيسة المسيح بصورتها الكاثوليكية^(١)، فالأزمة وجودية بالنسبة للكنيسة أكثر منها للثقافة الأوروبية.

الموقف السابق "بندكت" وتياره، يقتضي رفض الأدوات التي تؤدي إلى التعددية الثقافية، وتحديد النسبية المعرفية، التي يتقاطع في رفضه لها مع "بيرا"، ويتعدى الأمر الإطار النظري الفلسفي حيث يصف "بيرا وبندكت" المهاجرين إلى أوروبا، بأنهم "شتلات مزروعة"، وأن على المهاجرين قبول الثقافة الأوروبية بأصلها المسيحي المرادف لها، حتى يتم اعتبار هؤلاء المهاجرين مواطنين أوروبيين ثقافياً وحضارياً، وهذا المطلوب يؤكد ما ذهبنا إليه بأن بندكت يقول بالاندراج الثقافي، فهو يرفض التعددية الثقافية، إن كانت الثقافة الأخرى ستبقى منفصلة عن السياق المسيحي الكاثوليكي، وإذا نجح "بندكت" في عملية الاندراج الثقافي، فإنه سيقبل التعددية الثقافية.

الإسلام والغرب:

عند حديث "بيرا" عن الإسلام، وهو الحديث الذي وافقه عليه "بندكت"، فإنه يبدأ بأخذ الإسلام كغرض لتطبيق فرضياته، حول رفض النسبية المعرفية، وكذلك رفضه لحالة السلام الدائم في أوروبا، فيقول: "سأعمد إلى تطبيق دقيق لخطابنا الجديد، على علاقتنا بالإسلام، منتقلاً من الموقف السياسي إلى السبب الثقافي" (النسبية)^(٢)، ويستمر "بيرا" في حديثه عن إمكانية تفضيل القيم الأوروبية على نظيرتها الإسلامية، دون محاربة الإسلام أو الدخول في صراع معه، بل يذهب بيرو خطوة إلى الأمام، فيرى أن رفض مشاركة الغرب من قبل الآخر -الإسلام- يعني وجوب إعلانه -الإسلام- عدواً للغرب، تجب مناكبته^(٣)، ويؤكد "بيرا" أن معيار التفاضل بين الثقافات لا يجب أن يكون ثابتاً.

ورفض المعيار الثابت في التفاضل بين الثقافات، موقف يصدر عن فيلسوف منطقي، وهذا أمر مستغرب لأنه يعارض مبادئ بدهية للفلسفة والمنطق، لأن المعيار يجب أن يكون ثابتاً وموحداً، لنعلم من خلاله مدى صدق الأمر من عدمه، وحتى تكون هناك ثقة متفق عليها في المعيار المقيس عليه.

(١) ينظر: يوحنا بولس الثاني، وثيقة المسيح الفادي.

(٢) ينظر: بندكت السادس عشر، بلا جذور، ص 46.

(٣) المرجع نفسه. ص 52.

فمثلاً لو أخذنا بما يقوله "بيرا"، وبصورة مبسطة، لكان هناك اختلاف في وزن الأشياء والسلع، فلو طلبت طناً من الحديد من الصين، فقد يصلك في بلدك ثمانمائة كيلوغراماً، أو طناً ومائتين كيلوغراماً، حسب معيار الوزن الذي اعتمده، مما يمنحك الأفضلية في تحديد معيار الوزن الذي تريد، وهنا إن كان معيارك هو الأفضل لك ويصبُّ في مصلحتك، فستختار معيارك والعكس صحيح، وبالتالي يكون ثبات المعيار هو المطلوب لتكون هناك عدالة في التفاضل، وتكون هناك ثقة بنتائج عملية التفاضل.

ونرى أنّ طلب "بيرا" عدم ثبات معيار التفاضل، مقصود لتكون اليد العليا للحضارة الغربية، وبالتالي تكون الثقافة المغايرة أدنى دوماً من الحضارة الغربية وتابعة لها، وهذا مطلب "بيرا" الأساس ومعه "بندكت"، وعندها يمكن القول بعالمية القيم الغربية وأفضليتها على قيم الحضارات الأخرى، وذلك في تجلٍّ واضح لثقافة التفوق الغربي، وفي تزامن مع رسالة الرجل الأبيض العنصرية.

أمّا عن سبب اختيار الإسلام لتطبيق الفرضيات التي يقول بها "بيرا" و"بندكت"، فإنّ هذا الاختيار يتوافق مع مواقف الغربيين بصورة عامة من الإسلام في العهد الحديث، وتحديدًا بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، كما ذهب إلى ذلك "إدوارد مورتيمر" و"أرنست هيلر"، حين قالوا: "لقد شعر الكثيرون بالحاجة إلى اكتشاف تهديد جديد، يحل محل التهديد السوفيتي، وبالنسبة لهذا الغرض كان الإسلام جاهزاً في المتناول، فالإسلام رافض لأي تمييز بين ما لله وما لقيصر، والإسلام لا يسمح لمعتنقيه أن يصبحوا مواطنين في دولة علمانية"⁽¹⁾.

وهذا يؤكد أنّ الحضارة الغربية لا يمكن أن توجد بصورتها الحالية-نسبياً-إلا من خلال كيان مضادّ لها، تصفه بكل الصفات السلبية المغايرة لقيمتها، لتكون الحضارة الغربية النموذج المثالي لما يجب أن تكون عليه الأمور عالمياً.

وهذا ليس الأمر الوحيد، بل هناك أمر آخر يوضح اتخاذ الإسلام كثقافة مضادة لنظيرتها الغربية، لأنّ عملية الإصلاح في العالم الإسلامي تتم من خلال الإيمان الديني، ممّا مكن الإسلام من الإفلات من المعضلة، التي جعلت مجتمعات أخرى ضحية للاضطراب والإذلال، بسبب إضفاء

(1) ينظر: محمد عمارة، الإسلام والغرب، ص 11.

الغرب الطابع المثالي على نموذجه في التحديث، وذلك جعل المجتمعات الأخرى-عدا الإسلام- تقف من الغرب موقف المحاكاة والتقليد^(١)، بل إن الثقافة الإسلامية تُعتبر الثقافة الوحيدة القادرة على تشكيل تحدّ فعلي وحقيقي للثقافة العلمانية الغربية^(٢).

ويذهب "هنتنغتون وفوكاياما" إلى القول الصريح بصعوبة اختراق الإسلام، لأنّه الحضارة الوحيدة في العالم التي لها مشاكل مع الحداثة الأمريكية المسيطرة في السياسة الدولية، ذلك أنّ الإسلام: "قد وُلد خلال الأعوام الأخيرة حركات أصولية، لا ترفض السياسات الغربية فقط، وإنما المبدأ الأكثر أساسية للحداثة، أيّ الدولة العلمانية"^(٣).

الموقف السابق من الإسلام ليس موقفاً نظرياً فقط، بل هو موقف ميداني وواقعي، فكل الحروب شنت وتشن على البلاد الإسلامية، بزعم مكافحة الإرهاب ونبذ الأصولية الإسلامية، دون أن يكون هناك تعريف واضح ومحدّد للإرهاب، أيّ أنّ معيار "بيرا وبنديكت" غير الثابت هو السائد في شتّى هذه الحروب، لأنّ الإرهاب ليس له تعريف واضح ولا ضوابط معلومة، فالموقف السياسي والثقافي والديني الغربي من الإسلام واحد وموحد، ويتمّ تصديره للعالم كموقف ثابت.

فمثلاً الموقف الفكري في إيطاليا يمثله "بيرا"، بينما كان "برلسكوني"^(٤) يمثّل الموقف السياسي، حيث يقول: "إنّ الحضارة الغربية أرقى من الحضارة الإسلامية، ولا بدّ من انتصار الحضارة الغربية على الإسلام، الذي يجب أن يُهزم، لأنّه لا يعرف الحرية ولا التعددية ولا حقوق الإنسان، وإنّ الغرب سيواصل تعميم حضارته وفرض نفسه على الشعوب"^(٥).

وبعد تقحيرات الحادي عشر من أيلول عام (2001م)، ظهرت تجليات التقدير السابق حول موقف الغرب بنخبه ومتدنييه من الإسلام، وهنا نسجل عدداً من التصريحات والمواقف التي ظهرت بعد التاريخ المذكور أعلاه، كالاتي:

(١) ينظر: محمد عمارة، الإسلام والغرب، ص 11.

(٢) المرجع نفسه، ص 11.

(٣) صامويل هنتنغتون، الغرب والإسلام، نيوزويك الأمريكية- العدد السنوي 2001/12-2002/2م.

(٤) سيليفيو برلسكوني: ولد عام 1936 في ميلانو- إيطاليا. كان رئيس وزراء إيطاليا ثلاث مرات.

(٥) جريدة الحياة. 2001/9/26م. لندن.

١. المستشرق الفرنسي "جاك بيرك"، يرى "أنّ الإسلام-رغم قربه من الغرب تاريخياً وجغرافياً- لا يزال يعتبر ابن العم المجهول، والأخ المرفوض، والمنكور الأبدي، والمبعد الأبدي، والمتهم الأبدي والمشتبه فيه الأبدي" (١). وهذا الموقف من "بيرك" يأتي بعد اعترافه أنّ الإسلام هو آخر الديانات السماوية الثلاث.
٢. وزير العدل الأمريكي الأسبق "جون أشكروفت"، علّق على أحداث الحادي عشر من أيلول، قائلاً: "إنّ المسيحية دين أرسل فيه الربّ ابنه ليموت من أجل الناس، أمّا الإسلام فهو دين يطلب الله من الشخص أن يرسل ابنه ليموت من أجل هذا الدين" (٢)، وكلام "أشكروفت" يأتي ضمن التأسيس والتأصيل للعدوان الأمريكي على أفغانستان، وكذلك يأتي هذا الموقف تسويقاً لمواقف اليمين المتطرّف، الذي كان يمثله صاحب أعلى منصب في الولايات المتحدة الأمريكية، "جورج بوش الابن"، الرئيس الأمريكي السابق (2000-2008م).
٣. جوزيف ليبرمان السناتور الأمريكي والمرشح لانتخابات الرئاسة الأمريكية عام (2000م)، قال: "لا حلّ مع الدول العربية والإسلامية إلا أن تفرض عليها أمريكا القيم والنظم التي تراها ضرورية" (٣)، وما يقوله ليبرمان كأنّه اقتباس من كلمات "جورج بوش الابن" التي قالها في لحظة إعلانه عدوان بلاده على أفغانستان، بحجة نشر الحرية وتحرير الإنسان المسلم المضطهد، وهذا الإعلان يتفاخر به "بيرا" ويوافقه عليه "بندكت"، ممّا يعني توافق المواقف السياسية والفكرية عند الغربيين من الإسلام، فما لا تقوله الألسن تقوله الآليات العسكرية المعتدية.
- بل إنّ الخطاب الغربي بعد تفجيرات الحادي عشر من أيلول، ذهب إلى تخصيص الحديث حول طبيعة الإسلام، وجعل الإسلام نفسه مشكلة من حيث الطرح، ومن حيث ما يدعو إليه.
٤. بات روبرتسون القس السابق والمرشح السابق لانتخابات الرئاسة الأمريكية عام (1988م) قال: "إنّ الدين الإسلامي دعا إلى العنف، وإنّه بالنظر إلى المعنى الحقيقي لآيات قرآنية، فإنّ أسامة بن لادن أكثر وفاء لدينه من آخرين" (٤).

(١) ينظر: العرب والإسلام في نظر المستشرق جاك بيرك، صحيفة الشرق الأوسط، لندن. 2001/11/1.

(٢) ينظر: تصريحات جون أشكروفت، الشرق الأوسط، 2002/2/21 م.

(٣) ينظر: تصريحات جوزيف ليبرمان، صحيفة الأهرام 2002/1/16م.

(٤) الشرق الأوسط، 2002/2/3 م.

ويقصد روبرتسون بقوله السابق أنّ العنف هو المبدأ السائد في الإسلام، ومن ينحى منحى العنف يعتبر الأكثر تقوى ووفاء لدينه، وهذه قراءة سطحية متحيّزة، تستغل الهالة الإعلامية حول شخص بعينه لإسقاط استنتاجات قشورية على الإسلام، بل إنّ "روبرتسون" يعتلي موجة التحريض العارمة ضدّ الإسلام، ويتماهى مع موقف "بوش الابن" الشموليّ ويقول: "إنّ أمريكا بحاجة إلى إنذار ضدّ خطر المسلمين، الذين يكرهون أمريكا ويحاولون تدمير إسرائيل، وإنّنا في هذه الحرب إنّما نُعلي كلمة الله الذي يقف معنا، مع الحق، في هذا الصراع الذي نخوضه، ويحيطنا الله بعنايته"^(١).

إنّ إسهام "روبرتسون" في سوق التحريض على الإسلام واضح، حيث يرى أنّ الخطر من كل المسلمين، وليس من بعضهم، ويغذي روبرتسون المشاعر الغربية المتأججة، حين يزعم أنّ الله تعالى معه في صراعه وحربه ضدّ الإسلام.

في الفترة ما بين (1991-2004 م) ، كان الخطاب الغربي عن العلاقة مع الإسلام، يدور حول الإرهاب والأصوليّة، فجاءت تطبيقات "بيرا" منسجمة مع الخطاب الغربي على العلاقة مع الإسلام وأيد "بيرا" تطبيقاته، بما قاله "أوليفر روي" عن الإسلام السياسيّ عام (1992م)، حول طبيعة الإسلام السياسيّ: "إنّ الإسلام السياسي لا يمكنه مقاومة استخدام القوة، فالأسلمة تحولت إلى أصوليّة جديدة، تهتم فقط بإعادة الحكم الإسلامي-الشرعية-دون اختراع أساليب جديدة"^(٢).

بناء على ذلك صاغ "بيرا" رأيه في الإسلام والإرهاب، حيث يقول: "إنّ هذا الخل-الأصولية- واستخدام القوة جزء من قائمة طويلة من العيوب والفشل في الإسلام، كدين ونهج حياة"^(٣)، كما أنّ "بيرا" يقول: "إنّ الإرهابيين -المسلمين- تؤويهم دول وقحة، وأنّه لا يستطيع أحد أن ينكر أنّ المسلمين قد أعلنوا حرباً ضد الغرب"، ويقول "بيرا": "إنّ الإسلام يقدم للغرب التهديدات-رسائل سوداء- فقط، والصمت عن هذه التهديدات سيؤدي للمزيد من هذه التهديدات"^(٤).

(١) الشرق الأوسط، 2002/2/3 م.

(٢) بندكت السادس عشر، بلا جذور، ص 49.

(٣) المرجع نفسه، ص 52.

(٤) المرجع نفسه، ص 85.

مفهوم الأصولية:

ولا بدّ من الحديث عن الأصولية التي يتحدث عنها بندكت وبيرا، وكون بييرا يرى عدم ضرورة ثبات معيار التفاضل بين الثقافات، وبالتالي عدم ثبات معيار الحكم على الاصطلاح، فإنّ هناك اختلافاً كبيراً حول ما تعنيه الأصولية في الغرب، وما تعنيه في الفهم الإسلامي، فمن ناحية الغرب المقصود بالأصولية، هو التطرف في الطرح والممارسة، وعليه تكون الأصولية هي الأساس الفعلي للإرهاب.

أما في التصور الإسلامي فإنّ الأصولية تعني عودة المرء في أفعاله وأقواله إلى الأصول المعتمدة في دينه، الكتاب والسنة، قال ﷺ: **تركْتُ فيكم شيئين، لن تضلوا بعدهما** : **كتاب الله، وسُنَّتي، ولن يفرِّقا حتى يردا عليّ الحوض** (١)، وهنا يكون مقياس "بيرا" و"بندكت"، مخالفاً لما عليه الأمر أصلاً، فهما يقيسان على فهمهما الثقافي والديني، دون مراعاة معنى الأصولية في السياق الإسلامي.

وتعريف "بندكت" و"بيرا" للأصولية يتوافق مع الموقف الغربي بعامّة، في تعريف الأصولية، فمثلاً يرى رئيس أمريكا الأسبق "ريتشارد نيكسون" أنّ الأصوليين هم: "المصمّمون على استرجاع الحضارة الإسلامية السابقة، عن طريق بعث الماضي، وكذلك الذين يهدفون إلى تطبيق الشريعة الإسلامية، والذين ينادون بأنّ الإسلام دين ودولة، والذين على رغم نظرهم للماضي - ليتخذوه هداية للمستقبل - ليسوا محافظين وإنّما ثوار" (٢).

بناءً على الرؤية السابقة، يكون الأخذ بالإسلام كمنهج حياة، ونهج للحكم، يُعتبر أصوليةً وتطرّفًا، حسب الذي يذهب إليه بييرا وبندكت وغيرهم من المفكرين الغربيين، في حين لا تعتبر مطالب "بندكت"، حول ضرورة الأخذ بالمسيحية كأصل وحيد للثقافة والحضارة الغربية أصولية، بل إنّ تعريف "بندكت" للأصولية لا ينسحب على أصوليته في وثيقة "المسيح المهيم"، و"وثيقة المسيح الفادي"، التي تطرح بصورة شمولية فردانية الكاثوليكية كدين، ووحداية المسيح المخلص والمنقذ الوحيد للبشرية، ويدخل في هذا السياق ما يطرحه "بندكت" من تعديلات - يراها ضرورية -

(١) ينظر: الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته، الحديث 2937.

(٢) ريتشارد نيكسون، الفرصة السانحة، ص 140.

لإدراجها في وثيقة الدستور الأوروبي، ومن هذه التعديلات عدم ظرفية القيم والحقوق بصورتها الغربية، وبذلك تأخذ صورتها العالمية، فتكون قيماً غربية محضة، مندرجة في الثقافات الأخرى لأنها عالمية، وكذلك من التعديلات التي يطالب بها بندكت المحافظة على الزواج بصورته الكاثوليكية الأصلية، مما يضمن بقاء سيطرة الكنيسة على الحياة المدنية الأوروبية، وهذا يشرح طلب بندكت الأخير من القائمين على تعديل وثيقة الدستور الأوروبي، المتمثل باعتماد المسيحية بصيغتها الكاثوليكية أصلاً للحضارة الأوروبية، وصفة لازمة تُميّز الأوروبي عن غيره^(١).

إنّ مطالب بندكت تؤكد انتماءه للتيار الأصولي المتطرّف داخل الفاتيكان، حيث يقمّ هذا التيار الكاثوليكية بصورة شمولية وفوقية، لا تعترف بالآخر، وتُصنّفه تبعاً لمعاييرها ومفاهيمها.

بل إنّ الحديث عن الأصولية الإسلامية-حسب التعريف الغربي- يأخذ منحاً واضحاً لتبرير للحرب على البلاد الإسلامية، ليس بحجة مكافحة الإرهاب، بل لمواجهة العقيدة الإسلامية، حسب قول "هنتغتون" و"فوكايام": "ومن ثم فإنّ الصراع الحالي ليس ببساطة معركة ضدّ الإرهاب، ولكنّه صراع ضدّ العقيدة الإسلامية، والأصولية-الفاشية-الإسلامية، التي ترفض الاستهلاكية الغربية، والحدائث الغربية، والعلمانية الغربية، والمبدأ المسيحي (دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله) أي مبدأ فصل الدين عن الدولة"^(٢).

إنّ القول السابق يُبيّن أنّ الأمر ليس صراعاً فكرياً، أو سجالاتاً نظرياً، فالإسلام يُعتبر هدفاً مشروعاً لمغامرات الغرب، لمجرّد أنّ المسلمين رفضوا العلمانية والحدائث والثقافة الاستهلاكية الغربية، بمعنى أنّ الطرح الشمولي الغربي بعد انهيار الاتحاد السوفيتي هو: من ليس معي-تبع لي-فهو ضديّ.

والأصولية الغربية ضدّ الإسلام، كانت أفعالاً ومخططات قيد التنفيذ، فأما في الأفعال فنكتفي بما فعله "كليبر"^(٣)، عندما عهد إلى "يعقوب اللعين" أن يفعل بالمسلمين ما يشاء، حتى تناول هو وأنصاره على المسلمين بالسبّ والضرب، ونالوا منهم أغراضهم، وأظهروا حقدهم، ولم يُبقوا

(١) ينظر: بندكت السادس عشر، بلا جنور، ص 101.

(٢) مجلة نيوزويك الأمريكية. العدد السنوي. 2001/12-2002/2 م.

(٣) كليبر هو: جان بابست كليبر (1753-1800 م) جنرال فرنسي، كان مساعداً لنابليون بونابرت في احتلاله مصر، واستخلفه نابليون على مصر حتى تمّ اغتياله على يد سلمان الحلبي عام 1800 م.

للصلح مكاناً، وصرّحوا بانقضاء ملّة المسلمين والموحّدين، كما قال الجبرتي (١)، وهذا غييض من فييض، فلو أسهبنا في ذكر أفعال الغرب الاستعماريّة، وممارساته الأصوليّة لطال المقام، ولخرجنا عن المراد.

أمّا من ناحية المخططات التي تُعنى بحال الإسلام وبلدانه فنورد نصّاً، من وثائق مؤتمر كولورادو(٢)، حيث يرد فيه الآتي: "إنّ الإسلام هو الدين الوحيد، الذي تتناقض مصادره الأصليّة وأسس النصرانيّة، والنظام الإسلاميّ هو أكثر النظم الدينيّة المتناسقة، اجتماعياً وسياسياً ونحن بحاجة إلى مئات المراكز، لفهم الإسلام واختراقه في صدق ودهاء، لذلك لا يوجد لدينا أمر أكثر أهميّة وأولوية من تنصير المسلمين"(٣).

فالحرب التي يشنّها الغرب من خلال منظرية تأتي في سياق التناقض الأساسي بين العقيدة الإسلاميّة والعقيدة المسيحيّة الكاثوليكيّة، وربما يكون الخلاف الذي يتحدّث عنه منظرو الغرب، هو قول العقيدة الإسلاميّة، ببشرية المسيح، عليه السلام، وبالتالي تفقد الكنيسة أساسها المتين، والذي تُروجه في نشر رؤيتها الدينيّة في العالم، وهذا الأساس هو أنّ المسيح، عليه السلام، هو ابن الربّ، وكذلك هو مدخل الخلاص الوحيد للبشريّة جمعاء، ممّا يُفسّر عداء تيار اللاهوت الأصوليّ للإسلام، وعلى رأس هذا التيار بندكت نفسه.

أثناء كتابتي هذه الرسالة تبين لي أنّ رأي "بندكت"، الذي يقول فيه بأنّ "الإسلام عاد للظهور في هذا العصر بفضل الثروات النفطية والماديّة التي ظهرت في بلدانه، وكذلك بسبب اعتقاد المسلمين أنّ الإسلام صالح لأن يكون نهج حياة"(٤)، وتبين لي أنّ رأي بندكت ليس بدعاً من القول، ولم ينفرد به بندكت، بل يوافقه في ذلك مفكرون غربيون كُثُر، منهم "بول برنار"، الذي يقول: "إنّ الإسلام يشكّل تحدياً بالنسبة لأوروبا، والغرب عموماً، وإنّ العالم الإسلامي قد بدأ

(١) ينظر: الجبرتي، عجائب الآثار، 136/5.

(٢) مؤتمر كولورادو: عقد عام 1978م في ولاية كولورادو الأمريكيّة تحت مسمّى "مؤتمر أمريكا الشماليّة لتنصير المسلمين".

(٣) ينظر: محمد عمارة، إستراتيجية التنصير في العالم الإسلامي. ص 51.

(٤) ينظر: بندكت السادس عشر، بلا جذور، ص 124.

يبسط سيطرته بفضل دولارات النفط، وهو يبني المساجد والمراكز الثقافية للمسلمين المهاجرين في الدول المسيحية، فكيف يمكننا ألا نرى في ذلك برنامجاً للتوسع، وفتحاً جديداً^(١).

وهذا الطرح من "بندكت" وغيره، يلزم من قناة الإسلام، وي طرح أن الإسلام دين لا يملك قيماً ولا ثقافة، تنتشر دون مال يدعمها، بل إن المال مهم لانتشار الإسلام، وهذا يعني أن الإسلام كدين وثقافة تابع لتوافر المال في أيدي مردييه.

إن الخطاب الغربي عن الإسلام، وأمته وحضارته، ليس مجرد مقولات نظرية، ولا تعبيرات عن صور ذهنية مجردة، وإنما يُعتبر هذا الخطاب بناءً فكرياً مركباً، نما عبر الاحتكاك العنيف بين الشرق والغرب^(٢)، والخطاب الغربي صادر عن نزعة الغرب المركزية، التي تلعب دوراً محورياً وكبيراً في تراكم هذا الخطاب عن الآخر الإسلامي^(٣)، وخالصة هذه النزعة "أن الغرب يعتقد أنه مركز الحضارات ورائدها في شتى المجالات، مع تغييب للآخر، وتصنيف لهذا الآخر عبر تقنيات نمطية، تجعل الكل دون الغرب في أي مجال، سواء دينياً أم ثقافياً وكذلك سياسياً.

مرتكزات العصر الحديث:

يعتمد "بندكت" في مواقفه على نقاط تحول في العصر الحديث، يرى أنها زادت من عالمية الثقافة والحضارة الغربية ومركزيتها، ومن نقاط التحول هذه فتح القسطنطينية عام (1453 م)، وكذلك الثورة الفرنسية واكتشاف أمريكا^(٤).

ويرى "بندكت" أن فتح القسطنطينية وإنهاء الدولة الرومانية الشرقية، كانا عبارة عن إنهاء لمنارة علم وثقافة، انهارت مع رحيل آخر مواطنيها إلى الغرب الأوروبي^(٥)، وهو يقول إن نهاية الدولة الرومانية الشرقية كانت عملية نقل تاريخ لقرون السابقة والعلوم إلى الغرب الأوروبي، ولا أحد يعلم هذه العلوم إلا المجاورون للغرب، وهؤلاء لا يتم النقاش معهم - كما يقول بندكت - إلا كمسألة حياة

(١) ليفغاروا. الشرق الأوسط. 1999/1/13 م.

(٢) ينظر: جمال الدين الأفغاني، الأعمال الكاملة، ص 195-197.

(٣) ينظر: محمد عمارة، الإسلام والغرب، ص 51.

(٤) ينظر: بندكت السادس عشر، بلا جذور. ص 116

(٥) المرجع نفسه، ص 117.

أو موت، مؤكداً (بندكت) أن ما يعنيه بالمجاورين هو العالم الإسلامي^(١)، ولتأكيد ما يقوله بندكت فإنه يقتبس مقولة "لأوتو هتلبيرنر"، حول رحيل آخر مواطن بيزنطي، يقول فيها: "هاجر آخر الناس المتعلمين، إلى إيطاليا، ونقلوا معارفهم من النصوص الإغريقية القديمة، إلى الإنسانية الناهضة، وكان الشرق يعيش اللاكيان"^(٢). وهذا الموقف من الشرق ليس له بُعد جغرافي، بل المقصود هو العالم الإسلامي، كحضارة والإسلام كدين، وهذا القول تعميم لا أساس له، فكيف يكون الشرق لاكياناً، وهو يستولي على ممتلكات الدولة البيزنطية وينهي وجودها؟

المهاجرون وأوروبا:

يرى "بندكت" و"بيرا" أن الفراغ الديموغرافي في أوروبا، قد تمّ ملؤه من خلال جماعات مزروعة، والمقصود هنا المهاجرين إلى أوروبا، ويرى "بندكت" أن هذه الجماعات من شأنها محو الهوية الأوروبية القومية والدينية، لذلك يطرح بندكت حلاً مفاده: أن يتم العمل على دمج المهاجرين في الثقافة والحضارة الأوروبية، وانسلاخ المهاجرين من أديانهم وثقافتهم السابقة، فيما يرى "بيرا" أن مبدأ حسن الضيافة الذي يعتمده الغرب قد يكون من أسباب زيادة الهجرة إلى أوروبا، مما يؤدي إلى تغييرات جارفة فيها، تمحو هويتها وتغير من طبيعتها، مؤكداً أن النسبية المعرفية قد جعلت من قيمة حسن الضيافة، أمراً إيجابياً للمهاجر، وسلبياً لأوروبا المستضيفة، حيث ترفض النسبية المعرفية ضرورة اندماج المهاجر في المجتمع الأوروبي، وكذلك ترفض النسبية المعرفية فرض قيم الغرب على مهاجر من ثقافة أخرى ودين آخر^(٣).

وهذا الموقف من المهاجرين المسلمين تحديداً، يأتي ضمن جملة المواقف الغربية المعادية للإسلام بصورة عامة، ويؤكد ذلك موقف "الأب جادو" الذي يقتبس "بيرا" كلامه، ويوافقه عليه بندكت، حيث يقول "جادو": "ولا في أي دولة مسلمة يتمتع المسيحيون بحرية مطلقة، كما يتمتع بها المسلمون في الغرب، فعلى المسلمين أن يمتحنوا وجدانهم، بالنسبة لتصرفهم الشمولي، والخرق المتعمد لحقوق الإنسان، وممارستهم للإرهاب، والتصرفات المجحفة بحق النساء

(١) ينظر: بندكت السادس عشر، بلا جذور، ص 117

(٢) المرجع نفسه. ص 117.

(٣) المرجع نفسه. ص 98.

والأطفال، ونقص الديمقراطية، ورسميتهم الدينية والاجتماعية التي تسحق الفرد، وللأسف فإن المسلمين لا يبحثون عن أرواحهم ويرفضون تبادل قيمنا" (١)،

الموقف السابق، يُلخّص الموقف الغربي من الإسلام بصورة مانعة وجامعة، مع أنّ هناك كثير من الأمور المخالفة للواقع فيه، والتي تقتضي ردّاً يجمل المواقف والممارسات الإسلامية، التي تثبت عكس ما استدل به "بيرا" وبنديكت".

أمّا بالنسبة للحرية، والتي يُقصد بها الإباحة التي تُمكن الإنسان من الفعل المعبر عن إرادته في أي ميدان من ميادين الفعل، وبأي لون من ألوان التعبير (٢)، فالحرية كانت في الفهم الغربي عبارة عن مفهوم عقلائي نظري بحت، ينتهي البحث فيه دوماً إلى اعتبار الحرية وهما محضاً (٣)، بينما كان الموقف الإسلامي واضحاً من اللحظات الأولى للرسالة، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ (٤)، ونما موقف الإسلام من الإنسان وتطوّر عقلاً وممارسة، حتى اعتبرت الحرية بكلّ حقوقها وأنواعها حقّاً للعباد، لأنّه حقٌّ وهبه الله تعالى لهم، ولأنّ الشريعة منحته للعباد، وسمحت لهم به، فوصف الأحيوية والقدسية للحيات، إنّما يثبت عند المسلمين بإثبات الله تعالى له (٥).

وقد فرق الإسلام بين نوعين من الحرية، فهناك حرية دينية وأخرى دنيوية، ففي مجال الحرية الدنيوية أثبت الإسلام الحريات لكلّ مواطني الدولة على اختلاف أديانهم، وأمّا في البعد الديني فإنّ الإسلام قد صرّح منذ بداية وجوده، أنّه لا يمكن أن يُكره أحدٌ على دين بعينه، أو معتقد بذاته، لأنّه ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۚ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (٦)، فحرية الاعتقاد هي أول حقوق الإنسان التي يثبت له بها وصف إنسان، فالذي يسلب إنساناً حرية الاعتقاد إنّما سلبه إنسانيته

(١) ينظر: بندكت السادس عشر، بلا جذور، ص 100.

(٢) ينظر: محمد عبد الجواد، قصة الحرية في الحضارة الإسلامية، ص 9.

(٣) المرجع نفسه. ص 51.

(٤) سورة الإسراء. 70/17.

(٥) ينظر: سلطان العميري، فضاءات الحرية، ص 61.

(٦) سورة البقرة. 256/2.

ابتداء^(١)، والقيود التي وضعها الإسلام على بعض الحريات، إنّما تهدف الارتقاء بالإنسان في حياته لإسعاده، وتحقيق أهداف وجوده^(٢).

بناء على ما سبق، يمكن القول أنّ الحرية في الإسلام ليست حقًا قابلاً للتصرف من قبل رئيس أو مرؤوس، بل تثبت الحرية للناس-كلّ الناس-ابتداءً لبشريتهم وكرامتهم الإنسانية.

وكون الطرح عن مفهوم الحرية في الإسلام يأتي من وجهة نظر غربية، فإنّ الأولى-في رأيي-أن يكون الردّ من نفس الجهة-وجهة النظر الغربية. فهذا "توماس أرنولد" يقول: "إنّ القوة لم تكن عاملاً حاسماً في تحويل الناس إلى الإسلام، فمحمد ﷺ نفسه عقد حلفاً مع القبائل المسيحية، وأخذ على عاتقه حمايتهم ومنحهم الحرية في إقامة شعائرهم الدينية، كما أتاح لرجال الكنيسة أن يتنعموا بحقوقهم ونفوذهم القديم"^(٣)، فلم يبق الأمر عند حدود الممارسة الدينية الحرّة، بل تعدّاه إلى أنّ النبي ﷺ عقد حلفاً وعهداً مع النصارى، وأعاد لهم حقوقهم التي سلبتهم إيّاها الكنيسة المركزية، عندما حاربتهم وطاردتهم، كما حدث مع الأقباط في مصر قبل الفتح الإسلامي.

وشهادة أخرى هي شهادة المؤرخ "ويل ديورانت"، التي يقول فيها: "لقد كان أهل الذمة، المسيحيون والزرادشتيون^(٤) واليهود والصابئون^(٥)، يستمتعون في عهد الخلافة الأموية بدرجة من التسامح، لا تجد لها نظيراً في البلاد المسيحية في هذه الأيام، فلقد كانوا أحراراً في ممارستهم شعائر دينهم، واحتفظوا بكنائسهم ومعابدهم"^(٦). وهذه الشهادة أضافت شيئاً جديداً، فديورانت

(١) ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، 291/1.

(٢) ينظر: محمد عبد الجواد، قصة الحرية في الحضارة الإسلامية، ص 81.

(٣) ينظر: توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص 65.

(٤) الزرادشتية: هي إحدى أديان المجوسية ولم يبق غيرها، وهي ديانة إيرانية قديمة وفلسفة دينية آسيوية، كانت الدين الرسمي للإمبراطوريات الأخمينية والبارثية والساسانية، وهي واحدة من أقدم الأديان في العالم والتي لم تنتقع ممارستها. ينظر: فراس السواح، موسوعة تاريخ الأديان، ص 7.

(٥) الصابئة: هي أحد الأديان الإبراهيمية وأتباعها من الصابئة يتبعون أنبياء الله آدم، شيث، ادريس، نوح، سام بن نوح، يحيى بن زكريا وقد كانوا منتشرين في بلاد الرافدين وفلسطين، ولا يزال بعض من أتباعها موجودين في العراق، ينظر: بشير يوسف، الصابئة المندائيون بين الإنصاف والإجحاف، ص 22.

(٦) ينظر: ويل ديورانت، قصة الحضارة، 130/1.

يقارن حال المسيحيين وغيرهم في الواقع الأوروبي والغربي هذه الأيام، وما كانت عليه الأمور في عهد الدولة الأموية قبل قرون عديدة، بمعنى أنّ الحرية الدينية في الحضارة الغربية في هذا العصر، ليست إلاّ تنظيراً ليس له رصيد على أرض الواقع.

والقول بمحاربة الإسلام للحرية لدى الناس، يفضي إلى التحدّث عن شبهة أخرى تتعلّق بالحرّيات، وتحديدًا حرية الاعتقاد، وهي شبهة نشر الإسلام بحدّ السيف أو القوّة، واستحضر هنا شهادة "غوستاف لوبون" الذي يقول: "القوّة لم تكن عاملاً حاسماً في انتشار القرآن، فقد ترك العرب المغلوبين أحراراً"^(١). ويرى "توماس كارليل" أنّ القول بنشر الإسلام بالقوّة أو بحدّ السيف، يُعتبر سخفاً، حيث يقول: "إنّ اتهامه-أي الرسول ﷺ بالتعويل على السيف في حمل الناس على الاستجابة لدعوته، سخر غير مقبول، إذ ليس ممّا يجوز في الفهم أن يشهر رجل فردّ سيفه، ليقتل الناس أو يستجيبوا له، فإذا آمن به من لا يقدر على حرب خصومهم، فقد آمنوا طائعين مصدقين، وتعرّضوا للحرب من غيرهم قبل أن يقدروا عليها"^(٢).

والكلام السابق عن نفي شبهة نشر الإسلام بحدّ السيف، وكذلك عن أجواء الحرية التي يضمنها الإسلام لا يعني أنّ غير المسلمين كانوا يعاملون معاملة وردية عادلة كل الأوقات، فلا ينكر المسلمون أنّ هناك تصرفات وقرارات حدثت ضدّ أهل الذمّة، ولكنّها لم تأخذ طابع القرار العامّ، أو الموقف العامّ من قبل المسلمين، بل كانت أحداثاً محدودة من حيث الوقوع ومن حيث التأثير.

ويُجمل "جورج قرم"، أسباب التوتر الطائفي، في عدّة أمور، منها: المزاج الشخصي العام المختل لحكام اضطهدوا الأغلبية مع الأقليات، و الظلم والاستعلاء الذي مارسه القيادات النصرانية واليهودية، التي تولّت الوزارة وقبضت على جهاز الدولة المالي والإداري، واستجابة قطاعات محددة من أبناء الأقليات الدينية لغوايات المستعمرين والغزاة لبلاد المسلمين^(٣)، وأكّد توماس أرنولد، "أنّ دوام بقاء الطوائف المسيحية في وسط إسلامي، يُعتبر كدليل على أنّ

(١) ينظر: جوستاف لوبون، حضارة العرب، ص 127.

(٢) توماس كارليل، الأبطال، ص 71

(٣) ينظر: جورج قرم، تعدّد الأديان ونظم الحكم، ص 211-224.

الاضطهادات التي قاست منها بين الحين والآخر (الأقليات المسيحية)، كانت من صنع ظروف محلية، أكثر ما كانت عاقبة مبادئ التعصب وعدم التسامح^(١).

وفي المقابل، فإنّ الآخر غير مقبول في الغرب، سواءً أكان من نفس الملة الدينية أم من دين آخر، والحروب الدينية بين البروتستانت والكاثوليك خير شاهد، حتّى إنّ "فولتير" يذهب إلى القول بأنّ (40%) من سكان أوروبا قد أبدووا، وكان عدد الضحايا تقريبا عشرة ملايين إنسان^(٢)، والكنيسة في العصر الحديث تسلب الحرية الدينية، والحكام يسلبون الحريات العامة، وما يتحدثون عنه من حرية دينية في الغرب، يعتبر نتيجة لأحداث تاريخية معينة^(٣).

فلو أخذنا بالاندراج الثقافي وهو المقصد الأسمى لمطلب اندماج المهاجرين، سنجد أنّ الحريات التي يقدمها الغرب في مجال التدين لا ترقى لمثيلاتها في الدين الإسلامي، وهناك تفصل (انفصال) بين الثقافة الغربية والدين المسيحي، ولم تتجح محاولات إدراج المسيحية كأصل مهم للثقافة الأوروبية، بل يرى "بندكت" أنّ المسيحية لم تعد مقنعة لأتباعها، لأنّها كانت تُهاجم بصورة خاطئة، ولم تواكب العلم وجعلته يتفوق عليها^(٤). وعليه تكون المسيحية غير واردة كخيار ديني أمام المهاجرين، وهذا يفسّر عداً بندكت الشديد للإسلام، فهو يدرك جيدا أن نقاط القوة في الإسلام كثيرة جدا، ممّا يجعل الإسلام قادراً على التفوق على الكاثوليكية في عقر دارها، من خلال تزايد عدد المهاجرين، وزيادة عدد معتقي الإسلام من المسيحيين.

وهنا لا بدّ من تسجيل ملاحظة مهمة، مفادها أنّ بندكت يطالب المهاجر غير المسيحي إلى أوروبا بالأخذ بالقيم الكاثوليكية، في حين يُقرّر "بندكت" أنّ المسيحية لم تعد مقنعة لأتباعها، ألاّ يعتبر ذلك تناقضا من رجل لاهوت يدّعي الإنصاف ونشر المحبة والعدل؟

(١) ينظر: توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص 24.

(٢) ينظر: توفيق الطويل، قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام، ص 50.

(٣) ينظر: عبد المجيد النجار، الحرية الدينية في الشريعة الإسلامية، ص 28.

(٤) ينظر: بندكت السادس عشر، بلا جذور، ص 115.

-حلّ الأزمة الأوروبية:

بعد وصف دقيق وطويل لأزمة أوروبا، يخلص "بندكت" إلى الموافقة على حل تجاوزي، وصاحب هذا الحلّ هو "بيرا"، ويكمن الحلّ في إنشاء دين مدني، يجمع بين المتدين والعلماني، رغم أنّ العلمانية تناصب التدين المسيحي العداً، وتُقصيه في مجال الحياة العامّة، وتجعل العلمانية التدين مسألة شعائرية وضميرية، وتأتي موافقة بندكت على هذا الحلّ نتيجة لإعجابه بالتجربة الكاثوليكية الأمريكية، حيث لا سلطة للدولة على الكنيسة، رغم أنّ الكنيسة تأخذ شكلاً قومياً.

ويرى بندكت أنّ الكاثوليكية الأمريكية قد كانت درعاً ضدّ العلمانية، وهو هنا يدعو لإنشاء كنيسة تتجاوز الحدود السياسية، ولا تتماهى مع أي دولة أو مجتمع (١). والدين المدني المطروح كحلّ لأزمة أوروبا، يقوم حسب "بندكت" و"بيرا" على أتباع مؤمنين وغير مؤمنين، ويعلن "بندكت" أنّ العلمانيين لم يكونوا يوماً طائفة منغلقة، بل لم يشكّلوا يوماً طائفة ضدّ التدين (٢)، مع أنّ "جونفريد كونزلن" يخالف "بندكت" في موقفه حول العلمانية، حيث يقول: "لقد مثّلت العلمانية تراجعاً للسلطة المسيحية، وضياح أهميتها الدينية، وتحوّلت معتقدات المسيحية إلى مفاهيم دنيوية، والفصل النهائي بين المعتقدات الدينية والحقوق المدنية، وسيادة مبدأ: دين بلا سياسة وسياسة بلا دين (٣).

ويؤكد "كونزلن" أنّ العلمانية قدّمت الحداثة، باعتبارها ديناً حلّ محلّ الدين المسيحي، يفهم الوجود بقوى دنيوية هي العقل والعلم، وعلى الجانب الآخر يعترف "كونزلن" بأنّ الإسلام يحقق نشاطاً متزايداً في المجتمعات الغربية (٤)، ممّا يعني أنّ موقف بندكت من العلمانية هو موقف دبلوماسي لحظي، الهدف منه إخراج أوروبا من أزمتها، وإنقاذها من النجاح الذي يحقّقه الإسلام على أراضيها.

(١) ينظر: بندكت السادس عشر، بلا جنور. ص 95

(٢) المرجع نفسه. ص 96

(٣) ينظر: جونفريد كونزلن، مأزق المسيحية والعلمانية في أوروبا، ص 22-36.

(٤) ينظر: بندكت السادس عشر، بلا جنور، ص 117.

تتبنى فكرة الدين المدني على الأقليات المبدعة، المؤصل لها في حركة الأديرة الرهبانية، التي أنشأها بندكت النيرسي، والذي اختار بندكت السادس عشر اسمه للتدليل على نيته، وأهدافه أثناء توليه منصب البابوية، فبندكت يرى أنّ الأديرة كانت ملاذاً للمسيحية دوماً، وأنها كانت صاحبة الدور الكبير في نشر المسيحية في أوروبا.

يطالب بندكت المسيحيين أنّ يروا أنفسهم أقليات مبدعة، وأن يأخذوا بقيم مماثلة لقيم الثورة الفرنسية، لأنه يرى أنّ قيم الثورة الفرنسية مأخوذة من الإنجيل، ويُطالب بإنشاء قيم جديدة توافق الروح المسيحية، لأنّ القيم القديمة تتصادم مع التاريخ المسيحي.

غير أنّ بندكت يضع شروطاً للدين المدني المقترح، يراها أسساً صالحة له، ومن شروطه لهذا الدين أن يكون هذا الدين قوة أخلاقية تحمي الناس وتحافظ عليهم، بمعنى أنّ هذا الدين سيكون أكثر قابلية للاندراج الثقافي، أكثر من المسيحية الكاثوليكية في صورتها الحالية، ويشترط بندكت أن يكون الدين المدني قادراً على الإقناع، وذلك ليتجاوز استنتاج بندكت حول عدم قدرة الكاثوليكية على إقناع الفرد الغربي، شرط آخر لبندكت حول طبيعة الدين المدني المقترح، وهو أن تكون الأقليات المبدعة المنشئة للدين المدني مستقلة، على نمط الكنائس الأمريكية، وتجمع تلك الأقليات المبدعة بين المؤمنين وغير المؤمنين، والهدف من هذا الدين هو إظهار نموذج مسيحي للحياة، يكون قابلاً للانتشار والتقليد.

المبحث الأول-مواقف بندكت من الإسلام خلال مسيرته الكنسيّة.

يُعتبر بندكت السادس عشر من المسيحيين المحافظين الأصوليين، الذين يقولون : إنَّ الكنيسة الكاثوليكية هي طريق الخلاص الوحيد في هذه الحياة الدّنيا، ويظهر ذلك في: كتاباته، وتصريحاته لوسائل الإعلام، وفي المواعظ الخطابيات الدّينيّة، وفي المنشورات التي كان مشاركًا في كتابتها، أو مشرفًا عليها.

يرى بندكت السادس عشر أنّ النسبيّة المعرفيّة تجعل من المسيح ، عليه السلام، واحدًا من منقّدين متعدّدين، وعليه فإنّ مواقفه من الإسلام مبنوثة في كتبه التي تناولت علاقة الكنيسة الكاثوليكيّة بالأديان الأخرى.

موقفه من الإسلام

1- لا يرى بندكت السادس عشر الإسلام كتلة واحدة، أو دينًا واحدًا مُتجانسًا بل يقسّم الإسلام إلى قسمين هي: معتدل، ومتطرّف إرهابي. يقول في كتابه "ملح الأرض": "أعتقد أنّ الإسلام ليس كلاً مُتجانسًا وموحدًا، وأنّ الحوار معه حوار مع فرق مُتعدّدة ؛ فالمتغيّرات كثيرة والانشقاق ظاهر بين السّنة والشّيعية، وهناك إسلام معتدل، وإسلام متطرّف إرهابي؛ فلا يجوز أن نساوي بين الاثنين وإلّا وقع الظلم"^(١).

٢ يرى بندكت السادس عشر صعوبة في الحوار مع الإسلام، كون تصوّر الإسلام للحياة العصريّة يتعارض مع نظرة الكنيسة والغرب بشكل عام، حيث يقول: "إنّ للإسلام تصوّرًا مختلفًا لنظام الحياة، ويشمل الجميع، وتختلف قوانينه عن قوانيننا، ولا سيّما في تبعيّة المرأة للرجل، والقانون الجزائي، والشؤون الحياتيّة، وكلّها من صُلب تعاليمه، وهي تتعارض وتصورنا للمجتمع العصريّ، وما ينبغي فهمه أنّ الإسلام ليس عقيدة فحسب، يتمّ تطبيقها في مجتمع تعدّدي، وفي هذا السياق يبدو الحوار معه أكثر تعقيدًا من أيّ حوار يجري داخل المسيحية"^(٢).

(١) ينظر: الكاردينال جوزيف راتزينجر، ملح الأرض، ص 190

(٢) المرجع نفسه، ص 191.

بناء على ما سبق تتبع صعوبة الحوار مع الإسلام-حسب وجهة نظر بندكت-من عدّة أمور هي: نظامه المبني على تصور مختلف للحياة، وتطبيقاته الواقعية في حياة أتباعه، وهذا التصرّو النمطي يتوافق مع فكر وعقيدة بندكت، إذ هو من رجال الدّين المسيحيين الشّموليين الحصريين، ومعنى شمولي أي أنّه لا يرى دينًا حقًّا سوى الكاثوليكيّة التي ينتمي هو إليها، ومعنى حصري هو: أنّه يعتقد جازمًا أن لا خلاص إلّا من خلال المسيح، عليه السلام.

٣ في حديثه عن انتشار الإسلام يرى بندكت أنّ انتشار الإسلام له وجوه عديدة، منها: "توفر القدرات المالية في بعض البلدان العربيّة، وهو هنا يقصد الثروة النفطية في بعض البلدان العربيّة، ويرى أنّ النهضة الاقتصادية أدت إلى استعادة الإسلام وعيه بذاته، وأيقظت روحه، وبالتالي يرى أنّ على المسيحية والغرب مُجابهة ومُحاورة قوة الإسلام الداخلية التي تفتن الأوساط الجامعيّة"^(١).

٤ يرى بندكت السادس أنّ هناك ما يقال حول عالميّة الإسلام، والطرح الإسلامي-حسب بندكت-هو أنّه الدّين الخاتم، ما يعني أنّ الإسلام دين يتجاوز المسيحيّة واليهوديّة، وكذلك يتجاوز الإسلام المسيحيّة في مسألة الإيمان بإله واحد مُختلف عن المسيح، وإله الثالث المسيحيّ، وهذا أمرٌ يراه بندكت مدعاة لفهم الطرح الإسلاميّ للردّ على هذا الطرح.^(٢)

٥ ويرى بندكت أنّ الإسلام دين غير مُتزن؛ فيقول: "رغم العظمة التي يمثّلها الإسلام، فهو دومًا في خطر فقدان التوازن ما يسمح بظهور العنف، ويجعل الإسلام يتتخّى جانبًا في دور المراقب الغارق في الطُّقوس الشعائريّة."^(٣)

٦ يرى بندكت أنّ انتصار الإسلام على الإمبراطوريات التي كانت موجودة في القرنين السابع والثامن الميلاديين، كان السبب المباشر في تقسيم قارة أوروبا إلى ثلاث قارات متفرّقة، هي: أوروبا، وآسيا، وإفريقيا^(٤). وينفي أن تكون نهضة الإسلام الجديدة مُعتمدة فقط على النهضة الاقتصاديّة وحدها، بل يؤكد أنّ هناك دافعًا آخر لنهضة الإسلام، وهو وعي الإسلام بقدرته

(١) ينظر: الكاردينال جوزيف راتزينجر، ملح الأرض. ص 191.

(٢) ينظر: جوزيف راتزينجر، الإيمان والتقبّل، ص 84.

(٣) المرجع نفسه، ص 204.

(٤) يقصد بندكت هنا أنّ العالم القديم كان معظمه أوروبا، وذلك من باب القياس على امتداد الإمبراطورية الرومانيّة الغربيّة.

على تقديم قيم روحية صالحة لجميع الناس ، ويرى أنّ تلك القيم الروحية كانت ملكاً ا في الأساس لأوروبا القديمة ، ثمّ انزلت من يدها إلى الإسلام ^(١). ويضيف: "إنّ قيم الإسلام الخاصة بحقوق الإنسان مختلفة ومُتعارضة مع مثلتها الغربية"^(٢).

ويدعم المواقف السابقة لبندكت من الإسلام ما ورد في "وثيقة المسيح المهيمن" التي تمّت صياغتها ونشرها في أثناء عمل بندكت السادس عشر محافظاً لـ "مجمع الإيمان والعقيدة"، حيث تحتّ الوثيقة المسيحيين على التبشير بدين المسيح لكلّ البشر في كلّ أنحاء العالم، وذلك يشرح سبب اهتمام الكنيسة الكاثوليكية بالتبشير في القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين ، حيث يتم استحضار الأدلة التي تقول بأنّ المسيح قدّم الفداء عن كل العالم بجميع طوائفه؛ لذلك وجب على جميع البشر الدخول في دين الكنيسة الكاثوليكية، الوريث الوحيد والشّرعيّ للمسيح، عليه السلام، قال: "وأعلنوا البشارة على الخلق أجمعين، الذي يؤمن ويُعمّد يُخلص، مَنْ لا يؤمن يدين" ^(٣). فأتباع الأديان الأخرى وإن لم يُنصّ ا عواً للمسيحية الكاثوليكية، فإنّ أديانهم ليست سوى جزء من شعاع حقيقة المسيح، عليه السلام.

(١) ينظر: جوزيف راتزينجر، أوروبا اليوم وغدا، ص 2 و ص 18.

(٢) المرجع نفسه، ص 25.

(٣) إنجيل مرقص، 16.

المبحث الثاني-مواقف بندقك من الإسلام من خلال كتابه "بلا جذور".

1-تعريف بالكتاب:

الكتاب عبارة عن محاضرتين ورسالتين لكلّ من مارسيلو بيرا، وبندقك السّادس عشر؛ المحاضرتان كانتا في نفس الفترة الزمنية، وفيهما عالج كلاهما مشكلة أوروبا الراهنة، من خلال وجهات نظر مختلفة، غير أنّ الحلّول التي طرحها في المحاضرتين، كانت متوافقة، وتفصيل ذلك على النحو الآتي:

المحاضرتان:

تناولت في الحديث عنهما، تعريف بكلّ واحدة وأهمّ القضايا التي تناولتها، كما يلي:

المحاضرة الأولى-مارسيلو بيرا:

ألّفها بيرا يوم 2004/5/12 م، في جامعة لاتيرانوم بإيطاليا، وعنوانها "النسبيّة والمسيحيّة والإسلام"، وقد تناول فيها خمس قضايا مهمّة، هي:

١. النسبيّة المعرفيّة وتأثيرها على أوروبا:

وقف "بيرا" من النسبيّة المعرفيّة (١) موقفاً رافضاً ومعادياً لها، لأنّها تساوي بين الثقافات والحضارات البشريّة المختلفة، وتجعلها كلها على قياس واحد، وبالتالي فلا مجال لأن تكون القيم الأوروبية المسيحيّة الكاثوليكيّة عالميّة بصورة منفردة.

٢. الاستعمار قوّة حاسمة في العصر الحديث:

رأى أن الاستعمار الأوروبيّ لدول كثيرة في العالم أدّى إلى تعرّض القيم الثقافات المغايرة للثقافة الأوروبية، للعنف وإجبارها على حمل القيم الأوروبية، كما أنّه لم توجد محاولات جدّية لبيان مساهمة المسيحيّة في صياغة أوروبا، ويوافقه في هذا الرأي بندقك السّادس عشر، الذي عمل سنة (2004م)، على تضمين الدستور الأوروبيّ الجديد، مواد تعريفية تؤكد على الجذور المسيحية

(١) النسبيّة المعرفيّة: ويقصد بها أنّ كل نمط ثقافي يجب النظر إليه بعين الاعتبار، مثل بقية الأنماط الثقافية، أي دون إصدار حكم تقييمي. ينظر: سمير الخليل، دليل مصطلحات الدراسات الثقافية، ص 292.

لأوروبا، وأنّ وجود أوروبا مرتبط بالمسيحية التي أسهمت في صياغتها، ولم يتمكّن بندق من فرض ذلك في الدستور الأوروبي.

٣. أوروبا المعاصرة:

رأى بيرا أن تمسك أوروبا بحالة الانضباط السياسي، أدى إلى تراجع دورها في العالم، وهذا التراجع وذلك بسبب حالة السلام طويل الأمد الذي تحياه أوروبا منذ نهاية الحرب العالمية الثانية.

٤. عواقب النسبية المعرفية على أوروبا:

رأى بيرا أنّ للنسبية المعرفية عواقب وخيمة على أوروبا، منها:

- أ. تساوي القيم الأوروبية مع قيم الحضارات الأخرى في العالم.
- ب. المساواة في القيم أفقدت القيم الأوروبية عالميتها، لأنها أصبحت خياراً من متعدّد.
- ت. دخول النسبية المعرفية اللاهوت المسيحي، جعله يفقد قيمه المطلقة، وحصريّة بعض معتقداته، ومن أمثلة ذلك القول بنسبية المسيح، عليه السلام؛ يؤدي إلى القول بوجود مشابهيين وربما متفوقين عليه، وبذلك أصبح المسيح خياراً من متعدّد.

٥. المواقف من الإسلام:

بنى موقفه من الإسلام على الآتي:

- أ. عدم دخول الغرب في حال مفاضلة مع الإسلام جعله يعيش في حالة من الشلل.
 - ب. المفاضلة هي نشوب حرب بين الغرب والإسلام.
 - ت. رفض الحوار مع الإسلام، لأنّ الحوار يعني البحث عن قواسم وقيم مشتركة بين المتحاورين، وهذا مرفوض لأربعة أسباب هي:
١. لا توجد قيم وقواسم مشتركة بين المسيحية والإسلام.
 ٢. القيم المسيحية الأوروبية قيم حصريّة خاصة، لا يشابهها فيها الإسلام أو غيره.
 ٣. الحوار مرفوض لأنّ "الإسلام السياسي" يشنّ حرباً غير معلنة على الغرب.
 ٤. حسن ضيافة الغرب للمهاجرين والمسلمين منهم بشكل خاصّ، يفرض عليهم الاندماج في المجتمعات الغربية بقيمتها كلّها، وهذا يوجب عليهم ترك قيمهم القديمة وثقافتهم السابقة.

ث. يكمن حلّ مشكلة أوروبا في خلق دين مدني، يجمع بين المؤمنين وغيرهم، كما هو الحال في الولايات المتحدة الأمريكية.^(١)

المحاضرة الثانية:

ألقاها بندكت السادس عشر ، بتاريخ (2004/5/13 م)، أمام مجلس الشيوخ الإيطالي، بعنوان: "الجزور الروحية لأوروبا: الأمس، اليوم، الغد"، وناقش فيها ثلاث قضايا مهمّة وهي:

١. ظهور أوروبا في التاريخ العالمي:

رأى بندكت أنّ المسيحية الكاثوليكية هي التي أوجدت أوروبا الغربية المتحضّرة، وجعلت من قيمها الأخلاقية والعلمية والإنسانية قيماً عالمية، حيث قال: "إنّ المسيحية هي التي أوجدت أوروبا المتحضّرة، وجعلت من قيم أوروبا الأخلاقية والعلمية والإنسانية قيماً عالمية"^(٢).

٢. خطر زوال أوروبا:

رأى بندكت أنّ أوروبا معرّضة للانقراض، والزوال من خريطة العالم إذا واصلت تتكرّرها لجزورها المسيحية الكاثوليكية، حيث رأى بندكت أنّ المسيحية الكاثوليكية هي المكوّن الأساس للهوية الأوروبية، وإنكار هذا المكوّن يعني أنّه لا وجود لأوروبا.

٣. آلية حلّ مشاكل أوروبا:

اقترح بندكت آلية خاصة يمكن أن تحلّ مشاكل أوروبا، وتقضي على المخاطر التي تهدّد وجودها، وهي إيجاد أقليّات مبدعة، تكون مهمتها محصورة في إعادة أوروبا إلى مكانتها العالمية، والأقليّات المبدعة يجب أن تكون على مثال "أديرة الرهبان" التي نشرت المسيحية بشكل شامل في العصور الوسطى^(٣).

(١) ينظر: بندكت السادس عشر، بلا جزور، ص 132.

(٢) المرجع نفسه، ص 120.

(٣) المرجع نفسه، ص 121.

ويرى بندكت في محاضرتة أنّ الحلّ لمشاكل أوروبا يكمن في إيجاد أقليات مبدعة، تأخذ على عاتقها مهمة إعادة أوروبا إلى مكانتها العالمية، على غرار أديرة الرهبان التي نشرت المسيحية بصورة كبيرة في أوروبا في العصور الوسطى".^(١)

الرسالتان:

هما رسالتان كتبهما بيرا وبندكت كلٌّ للأخر، حول رؤية كلّ منهما للعناصر المشتركة بين محاضرتيهما، التوافق الذي بينهما في المحاضرتين، وأكّد كلّ واحد منهما في رسالته أنّ محاضرتة مستقلة عن محاضرة زميله، وأنّه يوافق على مضمونها، وقد تناولتهما على النحو الآتي:

الرسالة الأولى:

من بيرا إلى بندكت، بعد لقاء جمعهما لمناقشة محاضرتيهما، وقد ضمّن بيرا الرسالة في كتاب "بلا جذور" دون أن يذكر التاريخ المحدّد لكتابة الرسالة، ولم يعطها عنواناً محدّداً، وتناول بيرا في رسالته قضيتين مهمّتين هما:

1. موافقته وقبوله ما ورد في محاضرة بندكت، وبخاصّة أنّ إقصاء أوروبا المسيحية عن حياتها العامّة أفقدها هويتها المسيحية، وقادها إلى كره الذات، وأنّ الدستور الأوروبي لا يُعرّف مكونات الهوية الأوروبية، ولا يُحدّدها، وهو بذلك يؤيّد ويدعم مطالبة بندكت بتضمين الدستور الأوروبي، ما يؤكّد أنّ المسيحية هي المؤسس الحقيقي للحضارة الأوروبية.

2. أنّ الحرب مع الإسلام واقعة لا محالة، بحجّة زعمه أنّ المسلمين قد أعلنوا الحرب على أوروبا اليهود-مسيحية^(٢).

الرسالة الثانية:

من "بندكت" إلى "بيرا"، ولم يضع تاريخ كتابتها، ولم يعطها عنواناً محدّداً، وقد ضمّن بندكت هذه الرسالة موقفاً واحداً، يعلن فيها موافقته وقبوله لفكرة الدين المدني التي طرحها بيرا في

(١) ينظر: بندكت السادس عشر، بلا جذور، ص 125.

(٢) المرجع نفسه، ص 112.

محاضرته، وتأسيس هذا الدين يكون من خلال الأقليات المبدعة، بشرط أن يكون الدين المدنيّ ذا قوة أخلاقية أصيلة، وقادر على الإقناع.^(١)

من خلال دراستي كتاب بلا جذور، تبين لي أنّ مواقف بندكت من الإسلام، كانت تتمثّل في أمرين، الأوّل: المواقف من الإسلام الواردة في محاضرته، والوجه الثاني: المواقف التي وردت في محاضرة بييرا ووافق عليها بندكت في رسالته الموجهة إلى بييرا.

1-مواقف بندكت من الإسلام كما ورد في محاضرته بعنوان "الجذور الروحيّة لأوروبا":

تحت عنوان "نقطة التحوّل في العصر الحديث"، وضّح راتزينجر موقفه من الإسلام والمسلمين وذلك على النحو الآتي:

1-إنّ فتح(غزو) القسطنطينية على يد الأتراك منع بقاء أوروبا الشّرقية كمنارة للعلم والتقدم (٢)، وهو يقصد بالأتراك المسلمين وليس العرق التركيّ.

2-إنّ ظهور مصطلح أوروبا مرّة أخرى في التاريخ جاء نتيجةً للخطر الإسلاميّ (التركيّ) حيث كانت أوروبا في مرحلة جديدة من تعريف الذات.

3-إنّ الشّرق كان يعيش بلا ثقافة أو حضارة، وإنّ الحوار مع العالم الإسلاميّ هو مسألة حياة أو موت، قال: "التّقاش مع المجاورين مسألة حياة أو موت، والذي أعنيه هو العالم الإسلاميّ"^(٣).

4-إنّ نهضة الإسلام في العصر الحديث، ناتجة عن أمرين: الثروة الماديّة، والاعتقاد بأنّ الدين الإسلاميّ صالح للحياة^(٤).

5- أنّ الأديان في آسيا وإفريقيا-ومنها الإسلام-تمرّ بأزمة، وليس لديها ما تقدّمه للعالم.^(٥)

(١) ينظر: بندكت السادس عشر، بلا جذور، ص 128 .

(٢) المرجع نفسه، ص 88 .

(٣) المصدر نفسه. ص 89.

(٤) المصدر نفسه. ص 90.

(٥) المصدر نفسه. ص 92.

6- أن الإسلام يتبنّى مواقف جديدة، وقيماً جديدة ليحلّ محلّ الحضارة الغربية التي وصلت ذروتها، ولم يعد لديها ما تُقدّمه للعالم.^(١)

7- المهاجرون المسلمون عبارة عن شتلات مغروسة في الغرب، يسعون إلى محو هوية أوروبا.^(٢)

8- هناك هامش كبير من الحرية في الغرب يتمّ منحه للمسلمين، ويحرم منه الغربيون أنفسهم.^(٣)

2- مواقف بندكت من الإسلام كما وردت في رسالته إلى "مارسيلو بيررا":

تحدّث بيررا في مقدمة كتاب "بلا جذور" عن نقاشات ولقاءات، تمّت بينه وبين بندكت، حول محاضراته ومحاضرة بندكت، وقال إنّه وافق على ما ورد محاضرة صاحبه^(٤).

وقد تمثلت مواقف بندكت من الإسلام كما وردت في رسالته إلى "مارسيلو بيررا"، في الآتي:

1- لا يمكن تصدير الديمقراطية إلى الشرق الأوسط، كون بلاده لا تزال متخلّفة في جميع المجالات.^(٥)

2- المتطرّفون الإسلاميون أعلنوا حرباً على الغرب، والإسلام السياسي لا يمكنه مقاومة استخدام القوة، وهو الأصوليّة الجديدة لإعادة الحكم بالشريعة الإسلاميّة.^(٦)

3- الإسلام لم ينتج أنموذجه السياسيّ أو الاقتصاديّ أو حتى مؤسساته العامة المستقلة.^(٧)

4- المعتدّ الإسلامي مغلق، ومحصور في فكرة الثورة والدولة الإسلاميّة.^(٨)

5- تفضيل القيم الغربيّة على القيم الإسلاميّة سيؤدي إلى الاصطدام مع الإسلام.^(٩)

(١) ينظر: بندكت السادس عشر، بلا جذور، ص 95.

(٢) المصدر نفسه، ص 97.

(٣) المصدر نفسه، ص 101.

(٤) المصدر نفسه، ص 128.

(٥) المصدر نفسه، ص 129.

(٦) المصدر نفسه، ص 130.

(٧) المصدر نفسه، ص 131.

(٨) المصدر نفسه، ص 131.

6-الهجرة من البلاد الإسلاميّة إلى الغرب تعني أنّ الحضارة الغربية أفضل من الإسلام.(١)

7-الإسلام يزدي القيم الغربية والعولمة لأنّها لا دينية.(٢)

8-المسلمون لا يبحثون عن خلاص أرواحهم، ولا يحترمون المسيحيين في بلادهم، ويمنعونهم من ممارسة دينهم بحريّة.(٣)

9-تحليل وفهم أوروبا للإرهاب الإسلامي كان خاطئاً، وكان عليها اعتماد الطريقة الأمريكية (٤) في مكافحة الإرهاب الإسلامي.(٥)

10-المتعصبون الإسلاميون أعلنوا حرباً مقدّسة على الغرب، ولذلك فإنّ الحرب على التطرّف الإسلامي أصبحت ضرورة ملحة.(٦)

11-الحوار مع الآخر (الإسلام) مضيعة للوقت وبخاصّة أنّه أعلن الحرب على أوروبا.

12-الاستسلام للرسالة السوداء (التهديد الإسلامي) يعني تلقّي المزيد منها.(٧)

(١) ينظر: بندكت السادس عشر، بلا جذور، ص 132.

(٢) المصدر نفسه، ص 62.

(٣) المصدر نفسه، ص 134.

(٤) المصدر نفسه، ص 137.

(٥) المقصود بالطريقة الأمريكيّة في مواجهة الإرهاب، الذهاب لحرب شاملة في البلدان التي خرج منها، والتعامل بقسوة مع كلّ من يهدّد الأمن الأمريكي. ينظر: مايكل ناغاتا، تقييم الجهود الأمريكيّة لمكافحة الإرهاب منذ أحداث 11 سبتمبر، المعهد الأمريكي لسياسات الشرق الأدنى، 2018/6/10م. الرابط:

<https://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/tqyym-aljhdw-alamrykyt-lmkafht-alarhab-mndh-ahdath-11-sbtmbr>

(٦) ينظر: بندكت السادس عشر، بلا جذور، ص 55.

(٧) المصدر نفسه، ص 58.

(٨) المصدر نفسه، ص 61.

المبحث الثالث-مواقف بندكت من الإسلام من خلال محاضراته في جامعة ريجنسبرغ.

1-تعريف بالمحاضرة

هذه المحاضرة جاءت بعنوان: "الإيمان والعقل وذكريات الجامعة وتأمّلاتها"، وقد ألقاها بتاريخ (2006/9/12 م) في جامعة ريجنسبرغ^(١) بللمانيا عندما كان في زيارة رسمية لها. وقد أحدثت المحاضرة صدىً واسعاً من الاحتجاجات كون بندكت السادس عشر قد أساء للإسلام في شخص نبيه ﷺ وكذلك في التصور الإسلامي للذات الإلهية، ما أحدث موجة عارمة من الاستنكار والغضب بين صفوف المسلمين في كل أنحاء العالم.

2-مواقف بندكت من الإسلام من خلال محاضرة الإيمان والعقل.

1-بدأ بندكت السادس عشر توضيح موقفه من الإسلام باستحضار مناقشة جرت بين الإمبراطور البيزنطي "مانويل الثاني"^(٢)، وفارس مسلم لم يذكر بندكت اسمه، حيث رأى بندكت أن هذا النقاش مهم جداً لفهم الفرق بين الطرح المسيحي والطرح الإسلامي في مسألة توافق العقل مع الإيمان.

وبعد أن سرد النقاش كاملاً قال: "إنّ ما لفت انتباهه هو نقطة هامشية تصلح للانطلاق في الفهم"^(٣). وهذه النقطة الهامشية هي الحوار حول طبيعة الرب، وطبيعة الإنسان في الدين، وموقف الإسلام في هاتين المسألتين.

2-إنّ الآية الكريمة ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾^(٤) إنّما نزلت على الرسول الكريم ﷺ وهو في حالة ضعف وعجز، فقال "إنّما نزلت عندما كان مجد لا يزال عاجزاً مهتدداً"^(٥)، ثم رأى أنّ هناك تعديلات حدثت على النص القرآني بعد تلاشي حالة الضعف.

(١) جامعة ريجنسبرغ: جامعة ألمانية تأسست عام 1962 م، وهي جامعة حكومية، تصنيفها 32 بين الجامعات الألمانية، و 492 على مستوى العالم. ينظر: الموقع الرسمي لجامعة ريجنسبرغ.

(٢) مانويل الثاني: هو الإمبراطور البيزنطي مانويل بن جون الخامس، ولد في القسطنطينية 1350/6/27 م. وتوفي عام 1450 م، اشتهر بمناظراته مع المسلمين وإليه تنسب الكثير من الشبهات التي تثيرها الكنيسة حول الإسلام. ينظر: جورج دينيس، رسائل مانويل الثاني بالايولوجس، ص 14.

(٣) ينظر: يوسف القرضاوي، البابا والإسلام، ص 13. وكذلك ملحق "1" محاضرة الإيمان والعقل.

3- يرى بندكت أنّ السؤال المركزي في النقاش، يدور حول العلاقة بين العنف والدين، ويورد قول "مانويل الثاني للفارس المسلم: "قل لي: ما هو الجديد الذي أتى به محمد ﷺ؟، إنك لن تجد سوى أشياء شريرة ولا إنسانية، مثل: الأمر بنشر الدين الذي بشر به بحدّ السيف". (٣)

4- ويرى بندكت أنّ نشر الدين بالعنف لا يتوافق مع طبيعة الله.

5- يورد بندكت تأكيداً على القول السابق بشبهة نشر الدين الإسلامي بحدّ السيف، حيث يقول: "إنّ مَنْ يريه قيادة شخص للإيمان عليه أن يتحدث معه بصورة منطقيّة، وأن يستخدم الكلام الحسن بدل العنف والتّهديد". (٤)

6- يقارن بندكت بين صورة الله، تعالى، في الإسلام ونظيرتها في المسيحيّة، حيث يورد كلاماً ينسبه إلى "ابن حزم الأندلسي" (٥)، يقول فيه: "إنّ الله، تعالى، مُتسام عن خلقه، ولا شيء يُلزم تعالى، بكلامه أو كشف الحقيقة لنا، وأنّه لو أراد الله، تعالى، لنا عبادة الأصنام لكان علينا فعل ذلك" (٦).

7- يرى بندكت أنّ الربّ الذي يتحدث عنه ابن حزم أصبحت إمكاناته، وقدراته العميقة بعيدة المنال إلى الأبد، ومخفية وراء قراراته (أيّ الله تعالى) الفعلية، وأنّ الربّ الذي يتحدث عنه ابن حزم لم يعد مرآة للشعور بالحقّ والخير، ويصف إله ابن حزم "بأنّه ربّ مُتقلّب، وغير مرتبط بالحقّ والصّلاح". (٧)

(١) سورة البقرة 2/256.

(٢) ينظر: جمال البناء، الردّ على البابا، ص 7.

(٣) المصدر نفسه، ص 7.

(٤) المصدر نفسه، ص 8.

(٥) ابن حزم الأندلسي: هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، ولد سنة 384 هجري في قرطبة بالأندلس، وتوفي سنة 456 هجرية، وهو رائد مذهب أهل الظاهر، اشتهر بمناقشته للمعتقدات المسيحية والرد عليها. ينظر: إبراهيم أحمد الديوب، ابن حزم الأندلسي رائد الدراسات النقدية للتوراة، ص 451.

(٦) ينظر: جمال البناء، الردّ على البابا، ص 7.

(٧) ينظر: محمد عمارة، الفاتيكان والإسلام، ص 115.

4- تحليل مواقف بندكت من الإسلام كما وردت في محاضرة "الإيمان والعقل":

لا يمكن أن نعزو ما ورد على لسان بندكت في محاضرتة، إلى مجرد الصدفة، أو الانغماس في سياق الحديث دون وعي، فالرجل أكاديمي نال أعلى الدرجات العلميّة، ويمثل أعلى سلطة في الكنيسة الكاثوليكيّة في العالم، فهو يُعدّ معصوماً فيما يفعل أو يقول (١)، ولا يمكن لمعصوم-وفق اعتقاد النصارى-أن يطلق الكلام على عواهنه، وهذا من بدهيات إدعاء العصمة.

هناك عدّة أمور يمكن القول إنّها كانت الدافع الرئيس، وراء أقوال بندكت، منها:

١. أنه يريد-من خلال مهاجمة الإسلام عقيدة وممارسة- أن يُعمّي العيون عن انتمائه للشباب النازي عام(1940 م)، وهي حركة معادية للسامية حسب القوانين الغربيّة، وكذلك معادية للوجود الصهيوني(٢)، فهو يقصد من خلال كلامه تحسين علاقته بالصهيونيّة في استمرار لنهج "يوحنا بولس الثاني"، الذي كان وراء إعفاء اليهود من دم المسيح، حسب المعتقد المسيحي، بل تعدّى الأمر ذلك، فقد اعتذرت الكاثوليكية عمّا لحق باليهود من أذى، عبر تاريخ العلاقة بين الطرفين.
٢. يأتي كلام بندكت في باب مجاملة الولايات المتحدة الأمريكيّة، محاولة منه لإخراج المجتمع الكاثوليكيّ هناك من أزمته، التي كان يغرق فيها، و تخفيف وطأة الخلاف على المجتمع الكاثوليكي في أمريكا، بل ونزع فتيل ذلك الخلاف.(٣)
٣. خوف بندكت كرأس الكنيسة الكاثوليكيّة، من توسّع الوجود الإسلامي في أوروبا، حيث يرى خلال كتاباته ومنشوراته، أنّ هذا الوجود له مصير حتمي، وهو التوسّع والازدياد بقوة.(٤)

(١) العصمة البابويّة: عقيدة كاثوليكية تم إقرارها في المجمع الفاتيكاني الأول عام 1870م في زمن حبريّة بابا روما بيوس التاسع. تقر هذه العقيدة بأنّ بابا روما له سلطة شرعية على الكنيسة الكاثوليكية كلها، لذلك وتحت شروط محددة فهو منزّه عن الخطأ من قبل الله فيما يخص قضايا تعليم الإيمان والأخلاقيات التي أرادها الله للكنيسة. ينظر: جورج حصر، المسيحيون العرب، ص 181.

(٢) ينظر: يوسف القرضاوي، البابا والإسلام، ص 28.

(٣) المرجع نفسه.ص.28.

(٤) المرجع نفسه.ص.28.

٤. انتمائه لتيار متطرف من اللاهوتيين الكاثوليك، حيث يرى هذا التيار أنه لا دين صحيح، سوى المعتقد الكاثوليكي، وأنه لا مخلص إلا المسيح، عليه السلام، ويمكن الوقوف على ذلك من خلال مطالعة وثيقة "المسيح المهيم"، التي صيغت في أثناء تولي بندكت منصب "محافظ العقيدة والإيمان"، وقد مهر تلك الوثيقة بتوقيعه، ويعتبر منصبه كمحافظ للعقيدة والإيمان استمراراً لمنصب مسؤول محاكم التفتيش، المعروفة الأثر والفعل خلال القرون الماضية^(١).

الحوار بين الإمبراطور مانويل الثاني والفرانس المسلم:

هذا الحوار يعود إلى عام (1391 م)، كما يقول بندكت، وتمت كتابته لاحقاً من قبل الإمبراطور، أثناء حصار القسطنطينية ما بين عامي (1394-1402 م)^(٢)، وهو حوار متعلق بمجال التحريفات في الأديان السماوية الثلاث، وتحديدًا صورة الإنسان وصورة الرب^(٣).

ومن المهم ذكر ما قاله بندكت حول هذا الحوار، فهو يقول: "إنه سيعمد إلى مسألة هامشية في الحوار بين الإمبراطور والفرانس، ويجعلها منطلقاً لتأملاته في كلامه عن العقل والإيمان"^(٤)، وهذا الكلام من بندكت يؤكد نيته المتعمدة لاجتزاء ما يريد قوله، من كلام الإمبراطور، أيّ إنه ليس مقتبساً بصورة عامّة، بل هو مقتبس يعرف ما يريد، ويقصد ما يقول، حتّى أنّه يصف كلام الإمبراطور حول ما جاء به النبي ﷺ، بقوله: "إنّ الإسلام فيه ما يُخالف طبيعة الربّ، ولا يقبله العقل"، ويصف بندكت كلام الإمبراطور السابق، "بأنّها مسألة هامشية خلّبت لبّه"^(٥).

وعليه فإنّ بندكت كان متعمداً فيما يقول، وقاصداً لكلّ حرف اقتبسه، وأنّ اعتذاره عن الإساءة لمشاعر المسلمين كان ذرّاً للرماد في العيون، وتعمية لهم عن مراميه التي تترس وراءها من خلال مسيرته الكهنوتية، ومعتقداته المتشدّدة والمعادية للإسلام.

(١) ينظر: يوسف القرضاوي، البابا والإسلام، ص 28.

(٢) المرجع نفسه، ص 13.

(٣) المرجع نفسه، ص 13.

(٤) المرجع نفسه، ص 14.

(٥) المرجع نفسه، ص 14.

تساؤلات حول الحوار:

لا بدّ من وقفة مع الإمبراطور، وحواره مع الفارس، فهناك تساؤلات: لا يمكن إغفالها، أو

المرور عنها مرور الكرام:

١. الحديث هنا عن إمبراطور معروف الاسم والحالة، ولكنّ محاوره لا يُعرف عنه إلاّ أنّه فارس مسلم فارسي، فالفارس مجهول الهوية والحال، ومجهول المستوى العلميّ والثقافيّ، فمن المعروف بدهاة في التاريخ، أنّ الحرب كانت بين الدولة البيزنطية والدولة العلية العثمانية، وأنّ من حاصر القسطنطينية وفتحها هم العثمانيون، لذلك ليس من المقبول عقلاً ولا تاريخياً أن يكون محاور الإمبراطور فارسياً، ذلك أنّ الفرس كانوا على عداء شديد مع العثمانيين، ولم يكن وصولهم إلى أراضي الدولة العلية ممكناً، فكيف يكونون في ميدان المعركة؟ بل كيف ينتدب العثمانيون من يحاور عنهم الإمبراطور، وهو من قوم يناصرونهم العداء؟
٢. نجد الكلام الموثّق هو نصف الحوار الذي كان بين الإمبراطور والفارس، ومن بدهيات العلم والمعرفة، أنّ الحوار يكون عادة بين طرفين، والموثّق من الحوار هو تساؤلات الإمبراطور وتعليقاته لوحده، دون أن يكون هناك حرف واحد يمكن تسميته جواباً من الفارس، وهذا التجاهل للفارس، وجوابه، وحاله يعتبر إهانة متعمّدة، وهمزاً لقدرة المسلمين على الردّ على تساؤلات الإمبراطور، وهذا لم نقف عليه-فيما نعلم-إلاّ في هذه الحالة، فرستم القائد الفارسي على عنجهيته وصلفه، ورغم حربه للمسلمين، أثبتت كلماته جنبا إلى جنب مع القائد المسلم ربعي بن عامر، رضي الله عنه^(١)، وكذلك حوار كلّ فرسان المسلمين مع قادة المناطق التي فتحوها، فيها تمثيل حقيقي لاحترام الإسلام للرأي والرأي الآخر، وفي تجلّ واضح وبين لدقّة المسلمين، في توثيق ما يمرّ بهم من أحداث، وما يتعرّضون له من مواقف ونقاشات، حتى ولو نال المحاور منهم كمسلمين أو عرب، أو حتى لو تجاوز محاورهم ما يقدسونه، ونال من عقيدتهم ورسولهم ﷺ.
٣. ما سبق يردّ أيضاً على تعليقات ثيودور الخوري^(٢)، الذي علّق على كلمات الإمبراطور، وعلى طريقة حوار، مؤكداً أنّها نابغة من البيئة التي نشأ فيها الإمبراطور، حين يقول: "الإمبراطور

(١) ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 519/3.

(٢) ثيودور الخوري (1930م) عالم عقيدة ومترجم ألماني-لبناني.

البيزنطي، نما في بيئة الفلسفة اليونانية" (١). وحديث خوري عن الإمبراطور الذي يؤيده بندكت، يُخالف الفلسفة اليونانية نفسها، حيث نجد الفيلسوف سقراط (٢) يناقش غيره من الفلاسفة، ويعارضهم ويفحهم بأسلوبه في النقاش حول جمهورية أفلاطون، دون أن يجعل الكلام له وحده، بل يُثبت كلامه وكلام معارضيه (٣)، فإن كان الإمبراطور نشأ-كما يزعم خوري-على أدبيات هذه الفلسفة، ويرى أنه ذو كعب عال في هذه الفلسفة والثقافة اليونانية، فكيف له أن يسجل ويوثق الجزء الخاص به من الحوار، دون أن يسجل ردود واعتراضات محاوره؟ ألا يعدّ ذلك تشويهاً من الإمبراطور لأصل ثقافته، ومخالفة لها؟.

٤. إنَّ خوري وبندكت يؤكدان أن الإمبراطور وثّق هذا الحوار، بعد أعوام من وقوعه، في الفترة ما بين (1394-1402م) خلال حصار القسطنطينية من العثمانيين (٤)، وهذا الوصف يضع القصة كلّها موضع الشكّ، فالمُحاصر يكون مشغولاً بتدبير أموره، والحفاظ على المكان الذي يعتصم به، فكيف إن كان المسؤول الأول عن شعبه؟ وقائد الجيش الذي يدافع عن المدينة؟ فمن أين له الوقت، أو حتّى الفكر الخالي ليكتب، ويوثق حواراً حدث قبل أعوام عديدة؟

تحليل أسئلة الإمبراطور للفارس:

بما أنّ الإمبراطور وثّق الجزء الخاص به من المحاوره مع الفارس المسلم، فإنّ ذلك يعني بصورة ما، أنّ الفارس المجهول قد أعياه الجواب، أو أنّ جوابه لم يكن مقنعاً للإمبراطور حتى يوثقه، لذلك سنعرض فيما يلي لأسئلة الإمبراطور، ونحاول الإجابة عليها، وهي:

(١) ينظر: يوسف القرضاوي، البابا والإسلام، ص 16.
(٢) سقراط (470-399 ق.م) فيلسوف وحكيم يوناني كلاسيكي. يعتبر أحد مؤسسي الفلسفة الغربية، لم يترك سقراط كتابات، وجل ما نعرفه عنه مستقى من خلال روايات تلامذته عنه. ومن بين ما تبقى لنا من العصور القديمة، تعتبر حوارات "أفلاطون" من أكثر الروايات شموليةً وإماماً بشخصية "سقراط". ينظر: فاروق عبد المعطي، سقراط رائد فلاسفة اليونان، ص 10.

(٣) ينظر: أفلاطون، المحاورات الكاملة (الجمهورية)، ص 51.

(٤) ينظر: يوسف القرضاوي، البابا والإسلام، ص 30.

سؤال الإمبراطور: "أرني الجديد الذي أتى به محمد ﷺ؟"، وسترى أنه لم يأتِ إلا بكل ما هو شرّ، وغير إنسانيّ، ومثال ذلك: أنه يوجب نشر العقيدة التي يُبشّر بها بحدّ السيف؟" (١).

وهنا نلاحظ أنّ الإمبراطور يسأل ويجيب ويضرب مثلاً، بمعنى أنه يملك فكرة مسبقة، ورأياً مخبوءاً في صدره، وكذلك يستند في كلامه على معرفته ورأيه الخاص، فلا يرى أنّ النبي ﷺ، جاء بشيء جديد، إلا ما كان شرّاً وغير إنسانيّ.

أمّا سؤاله عن الجديد الذي أتى به النبي ﷺ، فإنّ ذلك يعني أنه (النبي ﷺ) لم يُضف شيئاً جديداً لما يعرفه الإمبراطور، من تديّن، وعبادة، ومعاملة، حيث إنّ طلب الجديد يعني وجود أمر سائد قبل الإسلام، لا يختلف عمّا جاء به الإسلام.

الجديد الذي جاء به النبي ﷺ:

بما أنّ الإسلام خاتم الأديان، والرسالة التي جاءت في نهاية الوحي للأرض، فلا بدّ أنّه جاء بأشياء جديدة، فهو يُقرّ ما كان موجوداً في الأديان السابقة من أمور صحيحة، وكذلك لا بدّ أن يجيء الإسلام بما يُعدّل الانحرافات التي وقعت فيها الأديان السابقة له، ومنها المسيحيّة، والمقصود هنا-كون الإمبراطور مسيحياً-أن نرى الجديد الذي جاء به النبي ﷺ مخالفاً للمسيحيّة، بحيث نجيب على سؤال الإمبراطور، ومن هذا الجديد:

1- الجديد في مجال العقيدة:

جاء الإسلام بعقيدة التوحيد الخالص، بمعنى إفراد الله، تعالى، بالإنهية، وأنّه تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (٢)، وأنّ الله، تعالى، ليس له صاحبة ولا ولد ولا نداء ولا مثل ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (٣)، ولم يكتف القرآن بهذا القدر من توضيح وحدانيّة الله، تعالى، بل تعرّض القرآن الكريم للعقيدة المسيحيّة، ورفض أن يكون لله، تعالى، ولد، قال تعالى ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ

(١) ينظر: يوسف القرضاوي، البابا والإسلام، ص 15.

(٢) سورة الشورى، 11/42.

(٣) سورة الإخلاص، 112.

مَرْيَمَ ﴿١﴾، كما أنّ القرآن الكريم تحدّث مباشرة عن عقيدة الثالوث المسيحيّة، وحكم بكفر من يقول بهذه العقيدة، وتوعدهم بعذاب أليم، قال تعالى ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿٢﴾، ويقرّر القرآن الكريم أنّ المسيح عيسى، عليه السلام، عبدٌ لله ورسوله إلى قومه، مصدّقاً لما بين يديه من التوراة، حيث جاءت رسالة المسيح، عليه السلام، تعديلاً لما وقع في الديانة اليهوديّة من تحريف، قال تعالى ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ ﴿٣﴾.

مما سبق يتبيّن أنّ عقيدة التوحيد الإسلاميّة، تُعَدّ كلّ ما يعتقده المسيحيون حول بنوة المسيح، عليه السلام، لله تعالى، كما تنفي عقيدة التوحيد أن يكون المسيح، عليه السلام، إلهاً، أو حتّى جزءاً من ثالوث إلهي، وقد حكم الإسلام بكفر من يعتقد هذه العقيدة، لذلك كان على الإمبراطور معاندة الحقّ، وأن يرى في عقيدة التوحيد الإسلاميّة سبباً لسلبه ملكه ومكانته الدينيّة، لأنّه يحكم باسم المسيح، وبندكتك أتى على طبيعة الحكم في القسطنطينيّة؛ لأنّه كان حُكْمَ باسم الدين ﴿٤﴾، ولا غرو أنّ المرء يرى ما ينزعه عن ملكه، ويزيله عن مكانته، شراً محضاً، ومن هنا جاء موقف الإمبراطور ضدّ الإسلام ونبيّ الإسلام.

2- الجديد في مجال النبوة والعبادات:

النبويّ في المعتقد الإسلاميّ معصوم، وليست العصمة لأحد غيره، حتى وإن كان من المقربين له، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ ﴿٥﴾، وكون المسيحيّة جاءت تعديلاً على اليهوديّة، فإنّ الإمبراطور لا يعتقد بعصمة الأنبياء، فالأنبياء في التوراة ليسوا معصومين، فمنهم من زنى، ومنهم من خالف أوامر ربّه وعصاه، ومنهم من صارع الربّ فصرعه ﴿٦﴾، فالجديد الذي جاء به الإسلام

(١) سورة المائدة، 72/5.

(٢) سورة المائدة، 73/5.

(٣) سورة المائدة، 75/5.

(٤) ينظر: بندكتك السادس عشر، بلا جذور. ص 63.

(٥) سورة المائدة، 67/5.

(٦) ينظر: م. ريجسكي، أنبياء التوراة والنبوءات التوراتيّة، ص 27.

في هذا المجال، هو أنه نزه الأنبياء عن ذنوب وهفوات العباد غير المعصومين، وهذا يناقض عقيدة الإمبراطور التي يعتقدها، مما يعني أنه سيرى كل جديد في هذا المجال شراً.

أما في مجال العبادات، فإن الإسلام يُعدّ ثورة فعلية على الممارسات والعبادات، التي عقدها أتباع الديانات السابقة، فقد جعل الإسلام العبادة صلة مباشرة بين العبد وربّه، دون وسيط أو شفيع، وحدّ الإسلام فروضاً في العبادة يمكن اعتبارها الحد الأدنى للتعبّد، ثم ترك الإسلام المجال مفتوحاً أمام العبد، ليزيد في عبادته ما يشاء وما يقدر عليه، من دون حدّ أعلى لتلك العبادة.

والعبادة في الديانة المسيحية تحمل نوعاً من التعقيد، حيث لا بدّ من وسيط يقوم بطقوس العبادة للناس، ويؤذّنهم بعد ذلك بالغفران، فلا يمكن للفرد المسيحي القيام بتلك الطقوس بصورة فردية، أو حتى مع مجموعة من الناس، دون أن يكون راهباً أو قساً أو شماساً، والطقوس الجماعية تتم من خلال الوسيط المسيحي فقط، بصفته نائب عن المسيح، مثل طقوس المناولة والاعتراف، وغيرها.

وهنا يكون الإسلام-بما جاء به من تعديلات للدين المسيحي، وإلغاء كثير من عقائده وعبادته- ثورة فعلية على ممارسات الإمبراطور بصفته رأس الكنيسة في مذهبه، ممّا يعني تعطيل جزء كبير من سلطاته، وهيبته، فيرى الإمبراطور في الدين الذي ينزع عنه صفة الوسيط بين الناس والربّ تعالى، يراه شراً محضاً، وهنا يكون موقف الإمبراطور ليس دفاعاً عن دينه، بل خوفٌ على مصالحه ومكانته وملكه.

3- الجديد في مجال الغيبات والشفاعة:

ينقسم العالم المخلوق حسب المعتقد الإسلامي إلى: غيب وشهادة، فكثير من أركان الإيمان هي غيبات لم يقف أحدٌ على كُنْهها، ولا يوجد مَنْ يعلم هذا الغيب إلا الله، تعالى، قال تعالى ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾^(١)، ولا يوجد أحدٌ من المخلوقين يعلم ذلك الغيب، ومن ذلك الغيب مغفرة الله، تعالى، لعباده وتجاوزه عنهم، قال تعالى ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾^(٢)، وهذا يعني أنه

(١) سورة النمل، 65/27.

(٢) سورة آل عمران، 128/3.

لا شفيع من العباد في مسألة المغفرة من عدمها، فلا يوجد إنسان مُخَوَّل أن يمنح المغفرة أو يمنعها، وبالتالي تصبح صكوك الغفران احتيالياً على الناس، وإدعاءً لشفاعة لا يملكها رجل الدين المسيحي، قال تعالى ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾^(١)، والشفاعة التي يؤمن بها المسلمون أخروية خالصة، وخاصة بالنبي ﷺ عن أبي موسى الأشعري : خُيِّرْتُ بَيْنَ الشَّفَاعَةِ، وَبَيْنَ أَنْ يَدْخُلَ نِصْفُ أُمَّتِي الْجَنَّةَ، فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ، لِأَنَّهَا أَعْمُ وَأَكْفَى، أَتُرَوْنَهَا لِلْمُتَّقِينَ؟ لا، وَلِكِنَّهَا لِلْمُذْنِبِينَ، الْخَطَّائِينَ الْمُتَلَوِّثِينَ^(٢).

بناء على ما سبق فإنَّ المعتقد الإسلامي، ينزع عن الإمبراطور ومن هم على شاكلته، ويحملون نفس معتقده، ينزع عنهم هالة الشفيع، الذي لا تكون مغفرة الربِّ إلا من خلاله وعلى يده، لأنَّ الاستغفار في المعتقد الإسلامي عبادة فردية وهي علاقة محضة بين العبد وربِّه. يظهر من المجالات الثلاثة السابقة التي ذكرناها، في معرض الردِّ على تساؤلات الإمبراطور أنَّ عداؤه للإسلام، وعداؤه لنبيِّ الإسلام-ووصفه للجديد الذي أتى به النبي ﷺ بالشر-يأتي على وجهين:

١. الوجه الأول: هذا العدا من الإمبراطور للإسلام، لأنَّ الإسلام بمعتقداته وممارساته الجديدة-والتي هي في متناول جميع الناس-يقوِّض كثيراً مما تقوم عليه الكنائس المسيحية، بل يُوجد الإسلام بديلاً سهلاً وسلساً لا تمكن مقاومته.
٢. الوجه الثاني: أنَّ هذه الأمور، التي جاء بها الإسلام، وبصورة ما تنزع كلَّ ما يدور حول الإمبراطور من قداسة، وممارسات باسم الربِّ والمسيح، فيكون أسَّ رفض الإمبراطور للإسلام ولنبي الإسلام مزدوجاً، من ناحية دينية ومن ناحية دنيوية، تتعلق بمنصبه وممارساته.

(١) سورة البقرة، 255/2.

(٢) مصباح الزجاجة، 260/4. بإسناد صحيح.

-شبهة نشر الإسلام بحدّ السيف:

يُكمل الإمبراطور كلامه، الذي يوجهه للفارس المجهول، فيقول: "وسترى أنّه-النبى ﷺ- لم يأتِ إلّا بكلّ ما هو شرير وغير إنساني، مثل: أنّه-النبى-يوجب نشر العقيدة التي يُبشّر بها بحدّ السيف"^(١).

إنّ شبهة نشر الإسلام بحدّ السيف، قديمة قدم العلاقة بين الإسلام والمسيحيّة، وهي شبهة كثر الكلام حولها، وكثرت الردود عليها، وكما كثرت المقارنات التي أُجريت بين كَيْفِيّة انتشار الإسلام وانتشار المسيحيّة. وكوننا نناقش ونحلل محاضرة بنديكت حول الإيمان والعقل، فلا بدّ من استخدام بعضها لإيضاح المغالطات التي وقع بندكت فيها، ومن هذه المغالطات:

١. أنّه قال في بداية حديثه عن محاورة الإمبراطور والفارس المجهول: "فالقِصر كان يعلم(بكلّ يقين) أنّ الآية (256) من البقرة، تقضي بأنّه لا إكراه في الدين، وهي آية من السور الأولى التي نزلت، لما كان محمد ﷺ -كما قال لنا العارفون- لا يزال عديم القوة، وواقعاً تحت التهديد"^(٢).

إذاً،فبنديكت والإمبراطور يعلمان يقيناً أنّ هناك نصاً في القرآن، يقضي بأنّه لا يمكن إكراه أحد على الدين، فالإسلام يقبل أن يدخله المرء طائعا مختاراً، ولا يقبل أن يدخله المرء مُكرهاً، وعلى الرغم من تأويلهما الفاسد والخطئ لسبب نزول الآية ووقت نزولها، فإنّ كلاهما يثبت أنّ هذا النص في قرآن المسلمين، بمعنى أنّ هذا النص ليس هناك ما يخالفه في الشرع الإسلامي، إلّا إذا كان هناك نسخٌ للآية، لا يعلمه إلّا الإمبراطور و بنديكت، وعليه يبقى شعار الإسلام قائماً، أنّه لا إكراه في الدين، سواء كان الإسلام ضعيفاً أم قوياً.

٢. هناك نصوص كثيرة في الدين الإسلامي ترى أنّ اللين والرّحمة، مُقدّمان على القتال، منها قوله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾^(٣)، وقوله ﷺ: **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ**

(١) ينظر: يوسف القرضاوي، البابا والإسلام، ص 15.

(٢) المرجع نفسه. ص 14.

(٣) سورة الأنبياء، 107/21.

كَلِّهِ (١)، وقوله ﷺ في الحديث المتفق عليه: لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَإِذَا لَقِيتُمْهُمْ فاصبروا (٢)،

فالقتال في الإسلام ليس غاية بحدّ ذاته ولا مطلباً بعينه، حتّى أنّ الله، تعالى، تحدّث عن كره النفوس لهذا القتال فقال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٣)، وقد عدّ الله، تعالى، انصراف العدو عن المسلمين في غزوة الخندق نعمةً ومنّةً على عباده، قال تعالى ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ (٤)، وكذلك سمّى الله تعالى صلح الحديبية عام (7 هـ)، فتحاً مبيناً، رغم أنّه، تعالى، لم يسمّ المعارك التي سبقت هذا الصلح بالفتح المبين، قال تعالى ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ (٥)، وشروط الصلح كانت حسب رأي بعض الصحابة، رضوان الله عليهم، دنيّة في الدين، ونزولاً عند شروط المشركين، وتنازلاً عن الحقوق المعنوية والأدبية للمسلمين. (٦)

٣. وقضية السلم تتجاوز كلّ ما سبق، حيث يعتبر الإسلام أنّ من الواجب على المسلمين تلبية طلب السلام من غيرهم، إن كفّوا أيديهم، وأوقفوا عداؤهم للإسلام، قال تعالى ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۗ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٧).

٤. ولو كان الإسلام دين قتال بصورة مطلقة، لما أقرّ الشّرع الإسلاميّ ما كان معمولاً به عند العرب قبل الإسلام، حيث حرّم الإسلام القتال في أربعة أشهر من كلّ عام، قال تعالى ﴿إِنْ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ۗ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَدِيمُ ۗ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ۗ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ۗ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (٨).

٥. النصوص السابقة تدلّ بصورة قاطعة على موقف الإسلام من القتال، فلا يمكن لأحد الادعاء أنّ القتال في الإسلام مطلوب لذاته، أو أنّ القتال غاية الإسلام، بل القتال وسيلة من

(١) متفق عليه، صحيح مسلم، 2165. وصحيح البخاري/6927.

(٢) متفق عليه، صحيح مسلم/1741، وصحيح البخاري/3026.

(٣) سورة البقرة، 216/2.

(٤) سورة الأحزاب، 25/33.

(٥) سورة الفتح، 1/48.

(٦) ينظر: علي الصلابي، السيرة النبوية، 305/2.

(٧) سورة الأنفال، 61/8.

(٨) سورة التوبة، 36/9.

وسائل كثيرة يستخدمها الإسلام، ويقدم الإسلام كل الوسائل الأخرى على القتال، ومع ذلك لا يستثني الإسلام القتال بصورة مطلقة، حتى وإن كان القتال الخيار الأخير، فمن يعتدي على حرمان المسلمين، وينتهك حقوقهم، ولا يرتدع بغير قتال فلا بدّ من قتاله، وهذا الحق لم يكن إسلامياً بصورة محضة، بل إنّ الشرائع والقوانين في العالم تعدّه واجباً وتشرّعه، حين يكون العدو مُصرّاً على غيّه وعدوانه.

6. ولو كان الأمر كما قال الإمبراطور وأيّده في ذلك بندكت، لما كان مسيحيّ واحد في بلد من البلدان التي فتحها الإسلام، ولما بقيت كنيسة في أرض المسلمين، فهل يُقرّ بندكت بذلك؟ فالإسلام أوصى بأهل الذمّة من النصارى وغيرهم خيراً، ورأى أنّ التعدي عليهم خفراً لذمة الله ورسوله، قال ﷺ: "مَنْ قَتَلَ مُعَاهِداً لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَاماً"^(١)، وقال ﷺ: " إِذَا فُتِحَتْ مِصْرُ فَاسْتَوْصُوا بِالْقَبِيطِ خَيْرًا، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحْمًا"^(٢)، ويأتي هذا الحديث عندما كانت الكنيسة الكاثوليكية تُناصب القبط العداء المطلق، وتمنعهم من ممارسة دينهم، وتعدّ مذهبهم هرطقة مخالفة للمسيحية التي أقرتها المجامع المسكونية.

القتال في التوراة والإنجيل أمرٌ إلهي:

وكوننا قد شرعنا في الردّ على تساؤلات الإمبراطور -أو بعضها- فإننا سنكتفي بإيراد نصوص من العهد القديم، لكيفية فتح المدن التي لا تخضع للمقاتلين طواعية، حيث تفرّق التوراة بن نوعين من المدن: فهناك المدن البعيدة النائية والمدن الموجودة في أرض كنعان (فلسطين).

أمّا فيما يتعلق بالمدن البعيدة والنائية، فننقل نصاً من سفر تثنية الاشرع، تحت عنوان "شرائع حصار وفتح المدن البعيدة"، قال: "وحين تتقدمون لمحاربة مدينة، فادعوها للصلح أولاً، فإن أجابتم إلى الصلح واستسلمت لكم، فكلّ الشعب الساكنين فيها يصبح عبيداً لكم، وإن أبت الصلح وحاربتم فحاصروها، فإن أسقطها الربّ إلهكم في أيديكم، فاقتلوا جميع ذكورها بحدّ السيف، وأمّا النساء والأطفال والبهائم، وكلّ ما في المدينة من أسلاب فاغتنموها لأنفسكم،

(١) صحيح البخاري، الحديث 3166.

(٢) الألباني، صحيح الجامع، الحديث 698.

وتمتّعوا بغنائم أعدائكم التي وهبها الربّ إلهكم لكم، هكذا تفعلون بكلّ المدن النائية عنكم، التي ليست من مدن الأمم القاطنة هنا-يقصد أرض كنعان-(^١).

هذا النص يتحدّث عن المدن غير تلك التي في أرض كنعان-فلسطين-ونحن نرى ما يطلبه النص من قتل للذكور، وسبي النساء والأطفال والبهائم، فإمّا صلح واستسلام، وإمّا قتل وسبي وغنائم، فهل يعلم بندكت والإمبراطور هذه الشريعة يقيناً، كما يعلمان آية لا إكراه في الدين؟

أمّا المدن التي ليست ببعيدة ولا نائية، والتي يعدّها النصارى واليهود أرضاً للميعاد، وميراثاً خالصاً لهم، فالأمر جدّ مختلف، حيث يرد في التوراة، سفر تثنية الاشتراع، القول: "أمّا مدن الشعوب التي يهبها الربّ إلهكم لكم ميراثاً، فلا تستبقوا فيها نسمة حيّة، ودمروها عن بكرة أبيها، كمدن الحِيثيين، والأموريين، والكنعانيين، والفرزيين، والحويين، واليبوسيين، كما أمركم الربّ إلهكم، لكي لا يُعلموكم رجاستهم، التي مارسوها في عبادة آلهتهم، فنغفوا وراءهم، وتخطنوا إلى الربّ إلهكم"(^٢).

النص السابق، دليل قاطع على كميّة انتشار المسيحيّة واليهوديّة من قبلها، فنجد هنا أنّ القتل الذريع لكلّ نسمة حيّة هو المطلوب، كأنّ النسمة هنا اسم جنس لكلّ حيّ، فلا يسلم بشر، ولا بهيمة من القتل، بحجّة أنّ هذه المدن ميراث من الربّ لأتباع التوراة والإنجيل، بل إنّ الدمار يلحق الجماد، فلا بقاء للمدينة من أصلها، والمطلوب تدميرها عن بكرة أبيها، وهذا النص وحده يدحض ما ذهب إليه الإمبراطور من إثارة لشبهة انتشار الإسلام بحدّ السيف، وإكراه الناس على الدخول فيه وحمل عقيدته.

الله تعالى والقوة:

في هذا المجال يكمل الإمبراطور حديثه حول طبيعة الربّ، تعالى، فيقول: "إنّ الربّ لا يحب الدم، ولا يلائم العقل أن يعمل الإنسان عملاً يعارض جوهر الربّ"(^٣) ، والإمبراطور يخالف نصوصاً من كتبه المقدّسة، قبل أن يخالف طبيعة الربّ الفعلية، وقد مرّت بنا النصوص التي

(^١) التوراة، سفر تثنية الاشتراع، الإصحاح 20. ص 391.

(^٢) التوراة، سفر تثنية الاشتراع، الإصحاح 20(1-18). ص 392-393.

(^٣) ينظر: يوسف، القرضاوي، البابا والإسلام، ص 15.

تدعو إلى القتل والسبي والتدمير، فالإمبراطور يسوق أنّ الربّ الذي يعبده، لا يقوم بمعاينة عباده العاصين، ولا يقسو عليهم، بل الربّ محبة كما يقول بندكت، ولو سألتنا الإمبراطور وبندكت، عن مصير الأقوام التي سبقت رسالتي موسى والمسيح-عليهما السلام- فهل سينكران ما حلّ بقوم نوح ولوط، عليهما السلام؟، فإنّ عاندا في ذلك فهما يُخالفان كتبهما المقدّسة، وينكران ما ورد فيها.

وفي حديث الإمبراطور عن جوهر الربّ وطبيعته وملائمة العقل لهذه الطبيعة، فإنّ الإمبراطور يجعل الربّ، تعالى، مُدركاً للعقل، أي أنّ العقل يمكنه إدراك ذات الربّ وماهيته، ومن المعلوم بدهشة أنّ الله، تعالى، فوق العقل، ويتجاوز حدود العقل البشري القاصر (١)، وربما لو قال الإمبراطور إنّ ما يفعله المرء لا يلائم العقل، وبالتالي لا يلائم ما يريده الربّ لكان-حتى وهو مخطئ-قريباً مما يمكن أن يتناوله العقل البشري القاصر.

ولأنّ ثيودور خوري يتفاخر بثقافة الإمبراطور اليونانية، فلا بدّ أنّ الإمبراطور في حديثه عن طبيعة الربّ، تعالى، فإنّه يتماشى مع مذهب أرسطو (٢) في المسألة، ويتطرّق لذلك "ويل ديورانت" (٣)، في كتابه "مباهج الفلسفة"، عندما يقول: "يا لإله أرسطو المسكين، إنّه مثل ملك الإنجليز، يملك ولا يحكم، لأنّه لا يدبّر في هذا العالم أمراً، وإله أرسطو لا يعلم شيئاً إلا لذاته، وأشدّ من ذلك بؤساً إله أفلوطين (٤)، الذي قال: إنّ الإله لا يعلم شيئاً حتى ذاته" (٥)، فإن سلمنا

(١) ينظر: يوسف القرضاوي، الباطن والإسلام، ص 57.

(٢) أرسطو (384-322 ق.م) أو أرسطوطاليس أو أرسطاطاليس المعلم الأول هو فيلسوف يوناني وتلميذ أفلاطون ومعلم الإسكندر الأكبر. وهو مؤسس مدرسة ليسيوم ومدرسة الفلسفة المشائية والتقاليد الأرسطية. ينظر: جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، ص 52.

(٣) وليام جيمس ديورانت (1885-1981 م)، ولد في الولايات المتحدة الأمريكية، وهو فيلسوف ومؤرخ، ومن أشهر مؤلفاته كتاب قصة الحضارة. ينظر: من هو ويل ديورانت؟ موقع أراجيك، الرابط:

<https://www.arageek.com/bio/will-durant>

(٤) أفلوطين (توفي 270 م) ولد في مصر. وهو فيلسوف يوناني، يُعتبر أبرز ممثلي الأفلاطونية المُحدثة. يُعرف في المصادر العربية بـ «الشيخ اليوناني». جميع المعلومات المتوفرة عن الفيلسوف أفلوطين أتت من تلميذه فرفيوس ودونها في مقدمة كتاب التاسوعات، ينظر: جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، ص 76.

(٥) ينظر: ويل ديورانت، مباهج الفلسفة، ص 291.

لقول ثيودور خوري حول ثقافة الإمبراطور، فلا ضير أن يكون معتقده في ربه على هذه الشاكلة، أي أن يعتقد أن الرب-حسب وجهة نظره-قابلٌ لإدراك العقل البشري القاصر، غير أن الله تعالى في العقيدة الإسلامية منزّه عن الإدراك العقلي البشري القاصر، لأنّ العقل البشري محدود فيما يدركه، ومحصور في تصوراتهِ، فالعقل في الإسلام أساس النقل، وهو كذلك مناط التكليف^(١).

والعقل مشتقٌّ من مادة (ع ق ل) والأصل فيه المنع، وإنّما سُمي بذلك لأنّه يمنع صاحبه من ممارسة فعل أو قول مما لا يليق^(٢)، والعقل عند المسلمين: "هو ما يقابل الغريزة التي لا اختيار لها، وما يكون به الاستدلال والتفكير، وتركيب التصورات والتصديقات، وما به يتميّز الحسن من القبيح، والخير من الشرّ، والحقّ من الباطل"^(٣).

فالمرء يُسمّى عاقلاً لأنّه يدرك ما يجوز وما لا يجوز، ويدرك كلّ ذو لبّ (عقل) أنّ الله تعالى، منزّه عن الإدراك البشريّ، قال تعالى ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾^(٤)، وقال تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ يَدْرَهُ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٥)، والمسلم منهيّ عن التفكير في ذات الله تعالى، لأنّه لن يقدر الله تعالى حقّ قدره، قال ﷺ: "تفكّروا في خلق الله، ولا تفكّروا في الله"^(٦).

وعلى الرغم من هذا الفهم في العقيدة الإسلامية للعقل البشري، فإنّ العقل البشري فيها هو مناط التكليف، بمعنى أنّ المكلف يجب أن يكون مدركاً عاقلاً، حتى يفهم ما يؤمر به، ويدرك ما يصدر عنه من أفعال، فيكون مسؤولاً عنها، قال ﷺ: "رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الْمُبْتَلَى حَتَّى يَبْرَأَ وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَعْقِلَ"^(٧).

(١) ينظر: يوسف القرضاوي، موقف الإسلام من العقل والعلم، ص 35.

(٢) القاموس المحيط، 1033.

(٣) المعجم الوسيط، 640/2.

(٤) سورة البقرة، 255/2.

(٥) سورة الشورى، 11/42.

(٦) الألباني، صحيح الجامع، 2976.

(٧) البخاري، العلل الكبير، 225.

وقد اختلف المفكرون المسلمون حول مكانة العقل في التشريع، فمنهم مَنْ قال إِنَّ العقل مُقدّم، لأنّه أداة الإدراك، و به يتمّ فهم الأمر والنهي، ومنهم مَنْ قدّم العقل على النص، ومنهم مَنْ وُفق بين العقل والنقل فقال إِنَّ صحيح المنقول لا يعارض صريح المعقول، وفي القرآن الكريم آيات تحثّ على إعمال العقل، كما أنّ تذييل كثير من الآيات ينتهي بقوله تعالى ﴿أفلا يعقلون﴾ و ﴿أفلا يتفكرون﴾ و ﴿أفلا يتذكرون﴾، والذي ذكرته سابقاً، على قلّته، دليل على مكانة العقل في الإسلام.

الكلمة الطيبة بين الإسلام والمسيحيّة:

يكمل الإمبراطور تعليقه على ما يلائم طبيعة الربّ، وما لا يلائم الربّ، فيقول: "فالعقيدة ثمرة النفوس، وليست نتاج الأبدان، لذلك فمن أراد أن يدعو إنساناً، ليقوده إلى الإيمان، لا بد من أن يكون قادراً على الكلمة الطيبة، والفكر الصحيح، لا على العنف والتهديد، والإنسان لا يحتاج ليقنع نفساً عاقلة إلى يده، ولا إلى أدوات الضرب، أو إلى أي أداة يستطيع أن يهدده بالقتل بواسطتها"^(١).

هذا الغمز في قناة الإسلام ورسالته من الإمبراطور، مُخالف للواقع، ومُناف للحقيقة، ذلك أنّ الدعوة في الإسلام مقيّدة بنصوص قطعيّة لا مجال لمخالفتها، يقول تعالى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۚ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾^(٢)، فالدعوة في الإسلام لا يمكن أن تكون صحيحة، إلّا إذا تمّ طرحها وبسطها بحكمة وبما يُناسب المخاطب، وإن حدث جدال فإنّه يكون بالتي هي أحسن، فلا مجال للجدال العقيم غير المثمر، حتّى وإن كان المُخالف على مستوى كبير من المعاندة، يقول تعالى ﴿وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ۚ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْنَا وَاللَّهُنَّ وَاللَّهُمُّ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(٣) .

وبينما يقوم الإسلام على الدعوة بالتي هي أحسن، فلا يمكن قول ذلك عن نشر المسيحيّة، سواء بصورتها الأولى، أم بصورتها الحاليّة، فمنّ يتبع مسيرة التبشير النصرانيّة، يرى الفرق الواضح بين الإسلام والمسيحيّة، فالتبشير كان طليعة حركة الاستعمار، وكان بعد ذلك ناشراً لدين

(١) ينظر: يوسف القرضاوي، موقف الإسلام من العقل والعلم، ص 15.

(٢) سورة النحل، 125/16.

(٣) سورة العنكبوت، 46/29.

المسيح من خلال استغلال عوز الناس وفاقتهم، بل واستعبادهم، كما أن المبشرين وكنيستهم الكاثوليكية لم تجعل من يدخل المسيحية من الأعراق المختلفة في مرتبة الأبيض الأوروبي، ودليل ذلك العبودية التي استمرت حتى وقت قريب، والاستغلال الذي تمارسه الدول الأوروبية لمسيحيي إفريقيا وآسيا، من غير الأبيض الأوروبي.

الله تعالى بين الإسلام والمسيحية:

ينقل بندكت تعليق ثيودور خوري، على كلمات الإمبراطور، حيث يقول: "أما بالنسبة للعقيدة الإسلامية فإن الله مطلق التعالي، وإرادته في حل من كل مقولاتنا، حتى لو بلغ الأمر إلى مقولات المعقولية"^(١).

إن الله تعالى في العقيدة الإسلامية، فوق كل مخلوقاته، ليس تعالياً، بل لأن نقصهم لا يقابل كماله، وعلوه هذا ليس انقطاعاً عن مخلوقاته، وتركاً لهم دون رقابة أو حساب، قال تعالى ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾^(٢)، وقال تعالى ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾^(٣)، فالله تعالى قريب من عباده، يسمع سرهم ونجواهم، ويحيب دعاءهم، قال تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾^(٤)، بل إن الله، تعالى، حث عباده على سؤاله والطلب منه، قال ﷺ: "يُنزَلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيهِ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟"^(٥)، فالله تعالى في العقيدة الإسلامية، ليس متعالياً عن خلقه، ولا تاركاً لهم، بل هو قريب لهم في كل حالاتهم.

أما عن إرادة الله تعالى، فهي مطلقة ولا يكون إلا ما يُريد"^(٦)، قال تعالى ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾^(٧)، وقال تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾^(٨) ومشية الله تعالى شاملة لجميع الحوادث

(١) ينظر: يوسف القرضاوي، موقف الإسلام من العقل والعلم، ص 16.

(٢) سورة القيامة. 36/75.

(٣) سورة المؤمنون، 115/23.

(٤) سورة البقرة، 186/2.

(٥) صحيح البخاري. 1145.

(٦) ينظر: أبو العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، ص 63.

والمخلوقات، قال تعالى ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّما يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٣)، وهناك فرق بين إرادة المرید أن يفعل وإرادته من غيره أن يفعل (٤)، بمعنى أن إرادة الله، تعالى، فيما يُريد مُطلقة، ولكنها تختلف عن إرادة المكلف، فالمكلف مُخیر في اختياره، لأنه سيحاسب عليه، قال تعالى ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (٥)، فالله، تعالى، أمر خلقه على لسان رسله، ونهاهم عما يضرهم، فمن أراد من خلقه أن يفعل، خلق الله، تعالى، له فعله، ويكون المخلوق هو الفاعل المحاسب (٦)، فمثلاً عندما طلب مؤمن آل فرعون من موسى عليه السلام الخروج، لم يُرد منه أن يفعل، بل أراد من كلامه نُصح موسى عليه السلام ﴿فَأَخْرَجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ (٧)، ولو أعان مؤمن آل فرعون موسى، عليه السلام، على الخروج، لضره قومه، وعذبه، وربما قتلوه (٨).

والتسليم بوجود خالق لهذا الكون، يوجب أن تكون له إرادة فاعلة دوماً في الكون (٩)، فالإنسان خاضع للقهر و لقوانين الخلق الرباني، إلا أن الله، تعالى، الحكيم، ترك للإنسان جانباً من الحرية والاختيار في إرادته وأفعاله الجسميّة والنفسيّة، وذلك ليختبر فيه الإرادة وليلقي عليه مسؤولية هذا التشريف، بهذه المنحة العالية الغالية (١٠)، أي أن عدل الله، تعالى، يقتضي أن المرء مُختاراً فيما يفعل، ليكون مسؤولاً عن ذلك ومحاسباً عليه.

وتبقى إرادة الله، تعالى، كأنها الإطار العام الذي يحكم حياة الإنسان ومصيره، ولقد أسلفت الحديث عن مكانة العقل في الإسلام، وقدره ونسبيّة ذلك أمام كمال الله، تعالى، وقصور العقل

(١) سورة البقرة. 253/2.

(٢) سورة هود، 107/11.

(٣) سورة الأنعام، 125/6.

(٤) ينظر: أبو العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، ص 64.

(٥) سورة الإنسان، 3/76.

(٦) ينظر: أبو العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، ص 64.

(٧) سورة القصص، 20/28.

(٨) ينظر: أبو العز الحنفي شرح العقيدة الطحاوية، ص 64.

(٩) ينظر: عبد الرحمن الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها، ص 146.

(١٠) المرجع نفسه، ص 226.

البشري عن إدراكه، سبحانه وتعالى، ومع ذلك فإنّ التصرّو المسيحي لله، سبحانه وتعالى، يجعل إرادته ومشيبته متفرقة بين الأقانيم الثلاثة، وذلك تحدّ للمنطق الفطري البشري العام، بحيث يتوزع الربّ على ثلاثة أقانيم، ومن ثمّ يعتبرونه واحداً، ولقد نشأت الفرق المسيحية المتناحرة، من الخلاف حول طبيعة الربّ وطبيعة المسيح، عليه السلام، ولمن منهما تكون المشيئة، ونتائج مجمع نيقية المسكوني سنة (325 م) ومجمع القسطنطينية سنة (328 م)، تُثبت ذلك، فاعتبار الربّ واحداً يتألف من ثلاثة أقانيم تمّ بقرار بشري، بهدف جمع أكبر قدر من الأتباع، طوعاً أو كرهاً، ولم يُنزه المجمعان الربّ، سبحانه، عن الشريك أو الولد، بل جعلوا من المسيح نفسه إلهاً.

الفصل الثالث: مناقشة آراء بابا روما بندكت السادس عشر وتحليلها.

المبحث الأول: تصوّره للذات الإلهية.

المبحث الثاني: تصوّره لشخص النبي الكريم ﷺ.

المبحث الثالث: رأي بندكت في القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة.

المبحث الرابع: تصوّره لبعض علماء المسلمين (ابن حزم الأندلسي نموذجاً)

المبحث الأول: تصوّره للذات الإلهية.

1- الله تعالى في المعتقد المسيحي:

يؤمن المسيحيون أنّ الله، تعالى، هو عبارة عن ثلاثة أقانيم^(١)، وهذه تُسمّى عقيدة الثالوث، وأنّ المسيح، عليه السلام، هو ابن الربّ الذي تجسّد في صورة بشرية، ليقدّم نفسه على مذبح الفداء من أجل البشرية جمعاء.

وتنصّ عقيدة الثالوث على أنّ الإله يتمثّل في ثلاثة أشخاص، يُقال إنّ كلّاً منهم لا بداية له، وله وجود أزليّ، وأنّ كلّاً يُعتبر إلهاً على كلّ شيءٍ قدير، ولا يقلّ ولا يزيد عظمة عن الآخرين، ويُقال أنّ كلّاً منهم إلهٌ كامل، بمعنى الكلمة، ويتصّف بكلّ صفات الإلهية، وأنّهم متساوون في الزمان والمكان والقوة والمعرفة، وتمثّل هذه العقيدة ركناً أساسياً في العقيدة المسيحية، التي تعتقها تقريباً كلّ الطوائف المسيحية.^(٢)

فالعقيدة المسيحية بشكل عامّ تؤمن بثلاثة أرباب، كلّ منهم له إرادته ومشيتته الخاصة به، من دون أن يكون هناك تعارضٌ بين هؤلاء الأرباب، ومن خلال هذا الإيمان تحكم الكنيسة الكاثوليكية على الربّ، تعالى، في معتقدات الآخرين، على الرغم من أنّ التصرّ الكاثوليكي لله، تعالى، يوجب نقصاً في كماله، والكامل لا يحتاج لغيره، وتثبت النصوص الموجودة في الأناجيل المعتمدة عند الكنيسة الكاثوليكية، أنّ المسيح، عليه السلام، أكل، وشرب، وصام، وجاع، وتعرّض للأذى على يد غيره من البشر، ومن ثمّ صُلب ودُفن، وهذه الحوادث لا تقع في حقّ الكامل بدهامة، إذ أنّ المتغلّب على الكامل يكون أقوى منه، وعليه يكون المتغلّب أحقّ بالربوبية من غيره ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴾^(٣).

(١) جمع أقنوم، ويعني الدال على الوجود بالذات، أي الذي قوته خاصة له. ينظر: بولس الخوري، اصطلاحات فلسفية، ص 50.

(٢) ينظر: م. أي. كيف، عقيدة الثالوث، ص 25.

(٣) سورة المؤمنون، 91/23.

وعقيدة الثالوث ليست عقيدة أصيلة في المسيحية، أيّ لم تكن هذه العقيدة موجودة في القرون الأولى من تاريخ المسيحية^(١)، حسب شهادة المسيحيين أنفسهم، بل تمّ اعتمادها كعقيدة رسمية بعد مجمع القسطنطينية الأول^(٢) عام (381 م)، حيث تدلّ النصوص الموجودة في الأناجيل على أنّ عقيدة الثالوث لم تكن موجودة قبل مجمع القسطنطينية الأول، مثل: "الربُّ إلهنا ربُّ واحد"^(٣)، و"اسمعوا أيّها الرجال الإسرائيليون، اسمعوا هذه الأقوال: يسوع الناصري رجلٌ، قد تبرهن لكم من قبل بقوات وعجائب، وآيات صنعها الله بيده في وسطكم، كما أيضاً أنتم تعلمون"^(٤).

2- تصوّر بندكت السادس عشر لله تعالى في المعتقد الإسلامي:

ورد رأي بندكت في الله، تعالى، حسب المعتقد الإسلاميّ في محاضراته "الإيمان والعقل"، حيث قارن بين صورة الله تعالى في المعتقد المسيحيّ، ونظيرتها في المعتقد الإسلاميّ، حسب ما ورد عند ابن حزم الأندلسيّ، وقد أجمله في الآتي:

1- إنّ الفعل بصورة مجافية للعقل يناقض طبيعة الله.^(٥)

2- أمّا في التعليم الإسلاميّ فإنّ الله مُتعال فوق البشر، بصورة مُطلقة، وإرادة الله، تعالى، ليست مقيدة بأيّ من مقولاتنا، بما فيها مقولة العقل.^(٦)

3- ابن حزم وصل إلى درجة القول إنّ الله، تعالى، ليس مقيداً حتى بكلماته ذاتها، وأنّ شيئاً لا يلزمه بأن يكشف لنا الحقيقة، ولو شاء الله، تعالى، فسيكون علينا حتّى أن نعبد الأصنام.^(٧)

(١) ينظر: م. أي. كيف، عقيدة الثالوث ، ص 31.

(٢) مجمع القسطنطينية الأول: عقد عام 381 م، بهدف مناقشة بعض الآراء المخالفة لمجمع نيقية عام 325 م، ومن أهمّ قرارات هذا المجمع اعتماد الروح القدس كإله في العقيدة النصرانية. ينظر: محمد الفاضل بن علي اللاتي، مقدمة منهجية في تاريخ الأديان المقارنة، ص 50 .

(٣) إنجيل مرقس 12:29

(٤) الإنجيل، أعمال الرسل 2:22

(٥) ينظر: جمال البناء، الرد على البابله ص 7.

(٦) المصدر نفسه، ص 8.

(٧) المصدر نفسه. ص 9.

4- ويرى بندكت أنّ الله، تعالى، يعمل حسب كلمته التي كانت وبما يوافق العقل.^(١)

5- حسب مواقف ابن حزم فإنّ الله، تعالى، نزقّ ومتقلّب، وغير مرتبط بالحقيقة والطبيعة.^(٢)

6- إنّ الله، تعالى، لا يصبح أكثر ألوهة حينما ندفعه بعيدا عبر إرادة محضة لا يمكن لنا اكتناهاها.^(٣)

7- الله، تعالى، السماوي حقاً هو الله الذي ظهر لنا عبر الكلمة وبصفته كلمة فقد تصرّف دائماً وما زال يتصرّف بحبّ تجاهنا.^(٤)

3- مناقشة آراء بندكت حول الذات الإلهية في المعتقد الإسلامي:

1- "التصرّف بصورة مجافية للعقل يخالف طبيعة الله"، هل هذه النتيجة صحيحة؟

خُصّ بندكت إلى أنّ التصرف بصورة مجافية للعقل يتناقض مع طبيعة الله، تعالى، و بعد تعليقه على جواب "الإمبراطور مانويل الرابع" للفارس المسلم، حيث سجّل "مانويل الرابع" هذه الملاحظة، في احتجاجه على شبهة نشر الدين الإسلامي بالعنف، حيث قال "مانويل" إنّ الربّ لا يقبل إراقة الدماء، وأنّ التصرف بصورة مجافية للعقل يخالف طبيعة الربّ.^(٥)

وفي المعتقد الإسلامي فإنّ العقل البشري يبقى قاصراً عن إدراك ماهية الربّ تعالى ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾^(٦)، قوله تعالى ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٧)، والنزعة العقلانية المادية الحديثة، تُطالب أن يكون الفعل الصادر عن الإنسان موافقاً للعقل، وما دام العقل البشري قاصراً عن درجة الكمال فإنّه غير قابل لأن يكون معياراً مطلقاً في الحكم على الأشياء.

(١) ينظر: جمال البناء، الرد على البابله ص 9.

(٢) المصدر نفسه. ص 9.

(٣) المصدر نفسه. ص 9.

(٤) المصدر نفسه. ص 10.

(٥) المصدر نفسه، ص 9.

(٦) سورة الزمر، 67/39.

(٧) سورة الإسراء، 85/17.

هناك كثير من الممارسات والطقوس التي تمارسها الكنيسة، تُخالف التوجّه العقليّ الذي يُطالب به بندكت، فمثلاً تقول العقيدة المسيحيّة الكاثوليكيّة، إنّ من تناول الخبز وشرب النبيذ في طقس تناول المقدّس-الإفخارستيا-يصبح متوحّداً مع جسد المسيح، عليه السلام، والمسيح في المعتقد الكاثوليكيّ هو الربّ، وهذا لا يقبله العقل الماديّ الذي يتحدّث عنه بندكت، فكيف يُعقل أنّ تناول طعام وشراب بعد وفاة المسيح، عليه السلام، يجعل المرء متوحّداً معه في الجسد، وكذلك كثير من الممارسات والطقوس التي لا يوجد لها تفسير منطقيّ، مثل مسحة المرضى بالزيت وتلاوة الإنجيل عليهم طلباً للشفاء^(١).

هذا الاستنتاج من قبل بندكت، بضرورة أن تكون الأفعال البشريّة موافقة للعقل، لتتوافق مع طبيعة الربّ، يقتضي معرفة تفصيلية بطبيعة الربّ، تعالى، وهذا لم تقل به أيّ ديانة، ففي المعتقد الإسلامي أنّ الله، تعالى، لا تدركه الأوهام ولا تبلغه الأفهام^(٢)، فإن كان العقل البشريّ قاصراً إدراك كنه الذات الإلهيّة، فلا يمكن لهذا العقل أن يعلم ما يتوافق مع الطبيعة الإلهيّة، إلّا في الحدود التي رسمتها الشريعة التي يتبع لها العقل. وعليه ليس مطلوباً من البشر أن يكونوا عقلايين في تدينهم بصورة مطلقة، لأنّ هناك طقوساً وشعائر يمارسها المؤمن ولا يدرك العقل حكمتها، وعلى الرغم من ذلك يمارسها الإنسان وهو يقبلها بصورة مطلقة.

2-مناقشة قوله: أمّا في التعليم الإسلامي فإنّ الله متعال فوق البشر، بصورة مطلقة، وإرادة الله ليست مقيدة بأيّ من مقولاتنا، بما فيها مقولة العقل:

إنّ الله، تعالى، غنيّ عن مخلوقاته بصورة مطلقة، بمعنى أنّه لا يحتاجهم في شيء ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾^(٣)، ولو كان غير ذلك لما كان الله تعالى مستحقاً للعبادة، لأنّه كامل ولا يحتاج إلى غيره في شيء ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾^(٤) والعلو تعني ارتفاع المنزلة، والعلي من أسماء التنزيه، فالله تعالى عليّ عن كلّ صفة لا تليق به، والعليّ هو الذي علا، فلا تُدرك ذاته،

(١) ينظر: القس فكري أنطونيوس، الأسرار الكنسية السبعة، ص 58.

(٢) ينظر: أبو العزّ الدمشقي، شرح العقيدة الطحاوية. ص 84/1.

(٣) سورة فاطر، 15/35.

(٤) سورة الحج، 62/22.

ولا تُتصوّر صفاته، وهو الذي عجزت العقول أن تدرك كماله^(١)، والمتعالي هو الذي جلّ عن إفك الأفاكين، وافتراء المفترين، وتوهم المتوهمين، وعن وصف الجاهلين^(٢).

فالله، تعالى، في المعتقد الإسلاميّ متعال عن عباده، ليس بالمعنى الذي ذهب إليه بندكت، بل هو متعال تنزيهاً له عن حاجته لعباده، أو كونه يشبه تصوّراً قاصراً في عقول البشر، وهذا من لبّ العقيدة الإسلاميّة التي ترى أنّ الله، تعالى، مُنرّة عن كلّ عيب ونقيصة، وأنّه، تعالى، فوق تصوّر البشر مهما بلغوا من العلم، ومع ذلك فهو قريب من عباده، يسمع دعاءهم، ويقضي حوائجهم، ولا يغيب عنه شيءٌ من أمورهم.

وكون بندكت تحدث عن إله ابن حزم الأندلسيّ في محاضرتة، واصفاً الله، تعالى، بالتعالي حسب العقيدة الإسلاميّة، فالذي يعنيه من قوله السابق أنّ الله، تعالى، متعال عن عباده، بمعنى أنّه لا يهتم بشؤونهم، وأنّه غير حاضر في حياتهم اليوميّة، وهذا الفهم يتطابق مع طرح الفلسفة الإغريقية التي تحدّث عنها بندكت في محاضرتة، إنّها أقرب للكاثوليكيّة من غيرها في التصوّر الإلهي^(٣)، وذلك على الرغم من أنّ هذه الفلسفة وصفت الله، تعالى، بالحياديّة المطلقة، وأنّه قد خلق العالم ثم أدار ظهره له^(٤). وعليه يصبح الإله حسب وصف الفلسفة الإغريقية التي يدعمها بندكت متعالياً عن عباده ولا يتدخّل في شؤونهم، وهذا الوصف أطلقه على الله تعالى في عقيدة المسلمين، مما يثبت عدم تثبته من كلامه.

وأما عن إرادة الله المطلقة، فقد شكّلت مسألة الإرادة والمشيئة جوهر الخلاف بين الفرق المسيحيّة، كون المسيحيّة تعبد ربّاً في ثلاثة أقانيم متساوية في كلّ شيء، وكان الخلاف حول هل الإرادة واحدة للأقانيم الثلاثة أم لا؟ وشمل هذا الخلاف معظم فرق المسيحيّة، حيث حدثت الانقسامات داخل الكنيسة عبر التاريخ نتيجة لعدم الاتفاق على طبيعة المسيح، عليه السلام، وما تقتضيه الطبيعة التي تعتقدها الكنيسة من وجود إرادة أو اثنتين للمسيح^(٥).

(١) محمد راتب النابلسي، موسوعة أسماء الله الحسنى، ص 729.

(٢) المصدر نفسه، ص 732.

(٣) ينظر: جوزيف راتزنجر، العقل والإيمان. ملحق "1".

(٤) ينظر: خالد علّال، جنيات أرسطو في حقّ العقل والعلم، ص 8.

(٥) ينظر: عبد الوهاب الشايع، تاريخ النصرانية. ص 217.

وإرادة الله في المعتقد الإسلامي إرادة مطلقة، بمعنى أنّ الله، تعالى، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾^(١)، وإرادة الله، تعالى، مطلقة، وهو مُتَفَرِّدٌ بالحكم وقتما يريد، وليس هناك من يريد معه، ولا من يحكم بعده، ولا رادّ لما يحكم به^(٢)، يقول تعالى ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ ۗ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^(٣).

مما سبق، يظهر جلياً أنّ بندكتك قد حكم على التصوّر الإسلامي للذات الإلهية، من خلال اللاهوت الكاثوليكي، وهو هنا يخالف معلوماً من العلم بالضرورة، حيث لا يُمكن الحكم على الأفكار والمعتقدات إلا في سياقها المتعارف عليه، وهو لا يقبل النسبية المعرفية-الثقافية-كونها تساوي بين المسيحية وغيرها من الأديان حسب معتقده، مما يعني أنّ الحصر الموجود في القيم الغربية سيتعرض للتلاشي، ولا يصبح هناك معنى لعالمية القيم والأخلاق الغربية كونها خياراً من متعدّد، عندما تتساوى مع القيم والأخلاق في الحضارات الأخرى.

ينسحب ما سبق على المعتقد الإسلامي في الذات الإلهية، فالتصوّر الإسلامي لله، تعالى، يجعل الله تعالى، قريباً من عباده، يستجيب لهم حين يدعونه، ويغفر لهم حين يستغفرونه، ولكن من دون وساطة بشر، فالاعتراف بالذنب يكون بين العبد وربّه، والله، تعالى، أن يغفر أو أن يعذب، دون أن يتدخل أحدٌ في إرادته، مما يعني أنّه لا صكوك غفران، ولا اعتراف أمام كاهن، وهذا يتناقض مع المعتقد الكنسي الكاثوليكي، فالربّ تعرّض للتعذيب، والجوع، والصلب، عندما كان في صورته البشرية، وهذا اعتقاد لا تقبله العقيدة الإسلامية، لأنّه يوجب نقصاً لا يتوافق مع طبيعة الله، تعالى، الكاملة، والتي لا يعترتها نقص، وهي طبيعة لا تدركها عقول البشر، ولا تبلغ كنهها.

(١) سورة المائدة، 1/5.

(٢) ينظر: الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير. ج 29/2.

(٣) سورة الرعد، 41/13.

المبحث الثاني: تصوّر لشخص النبي الكريم ﷺ

1- صورة الرسول ﷺ في الفكر الغربي بصورة عامة:

تُشكّل فترة القرون الوسطى (١) في التاريخ المسيحي والغربي حجر الارتكاز في تكوين الصورة النمطية للنبي محمد ﷺ في الفكر الغربي، وذلك لأنّ الكنيسة الكاثوليكية كانت المسؤولة عن تشكيل صورة المخالفين لها في أذهان أتباعها، وكانت الكنيسة تسيطر على كلّ مجريات الحياة العلمية، والثقافية، والشعبية في الغرب، وكانت تمنع مناقشة ما يُخالف طريقتها في التفكير والطرح، وذلك خوفاً من مناقشة عقائدها، ممّا يولّد تعقيداً أكثر في لاهوتها العصي على الفهم أصلاً. (٢)

لذلك من الصواب اعتبار الكنيسة هي المسؤولة عن الصورة المشوّهة للنبي ﷺ، فقد كانت هناك صور عديدة للنبي ﷺ في المخيال الغربي، منها أنّه كاردينال كاثوليكيّ، لم تعجبه نتائج انتخاب بابا الكنيسة حينها، فانشق عن الكنيسة وأسس ديناً وثنياً مخالفاً لما تعتقده الكنيسة، لذلك يُعتبر -حسب الكنيسة- مُهرطقاً أسلم نفسه للشيطان. (٣)

يقول توما الإكويني (٤): "لقد أغوى محمد ﷺ الشعوب، من خلال وعوده لها بالمتع الشهوانية، وحزّف جميع الأدلة الواردة في التوراة والأنجيل، من خلال الأساطير والخرافات التي كان يتلوها على أصحابه، ولم يؤمن برسالته إلاّ المتوحشون من البشر، الذين كانوا يعيشون في البادية" (٥).

(١) القرون الوسطى: مصطلح أوروبي يعني الفترة من القرن الخامس إلى الخامس عشر ميلادي، حيث كانت الكنيسة تسيطر على أوروبا الغارقة في الجهل، والتخلف، ولا يجوز إطلاق هذا المصطلح على التاريخ الإسلامي. ينظر: عبدالله إبراهيم، عالم القرون الوسطى في أعين المسلمين، ص 8.

(٢) ينظر: أحمد عجيبة، أثر الكنيسة على الفكر الأوروبي، ص 5.

(٣) ينظر: محمد عمارة، الإسلام والغرب، ص 26.

(٤) توما الإكويني: ولد عام 1225 م في إيطاليا، يعتبر من أهم اللاهوتيين الكاثوليك، لأنّه ادخل فلسفة أرسطو في اللاهوت الكنسي، وهو كذلك من خريجي الرهبانية البندكتية ذات الأثر الكبير في نشر المسيحية بصورة كبيرة في أرجاء أوروبا، توفي عام 1274 م. ويلقب بالمعلم الكبير والمعلم الملائكي. ينظر: جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، ص 241.

(٥) محمد عمارة، الإسلام والغرب، ص 29

وموقف الإكوييني ليس موقفاً عادياً، فهو لاهوتي كبير وله احترامه في الكنيسة الكاثوليكية، والرأي الذي يحمله في النبي ﷺ، يمثل الرأي الكنسي في عهده، وما يعتقده كل من يخضع للكنيسة.

وكانت هناك كثير من المعتقدات الغربية حول شخص النبي ﷺ في القرون الوسطى، مثل اتهامه ﷺ بأنه كان مخادعاً ذكياً، وصاحب طموح كبير قام بتمدين شعبه، وأنشأ لهم ديناً عقلائياً مخالفاً للكنيسة، وكذلك اتهامه بالسحر، والتعصب والتضليل الديني، وأنه ﷺ كان ضحية للشيطان، وكان إنساناً هستيرياً أصابه مس من الشيطان، وأنه كان مُنغمساً في الشهوات والملذات والخديعة (١). بل لقد تعدى البعض من الغربيين هذا الحد من التشويه، فقالوا إن النبي ﷺ لم يكن بشراً بل صنماً يعبدده السراسنة (٢)، وسمّوا هذا الصنم "ماحوميت" (٣)، وهو عبارة عن صنم من ثلاثية أصنام يعبدها العرب، حسب ما كانت تنشره الكنيسة الكاثوليكية في القرون الوسطى، حتى أن "مارتن لوثر" (٤)، زعيم التيار الإصلاحى المنشق عن الكنيسة الكاثوليكية، قال عن النبي ﷺ: "إن محمداً هو خادم العاهرات وصائد المومسات" (٥)، في حين كانت الكنيسة الكاثوليكية تتهم "مارتن لوثر" بأنه يتبع المسلمين في محاربتهم للكنيسة، وكأن لوثر أراد إثبات ولائه لدينه من خلال شتم النبي ﷺ بطريقة تفوق طريقة الكنيسة التي ثار ضد فسادها.

إذاً، فالنبي ﷺ في الفكر الأوروبي، عبارة عن مهرطق (مفتري أو مدّعي) انشق عن الكنيسة الكاثوليكية، لأنه لم تعجبه نتائج انتخابات بابا الكنيسة، فأسس ديناً جديداً، يعبد أتباعه في هذا الدين شخصه، وهو يُغريهم بالملذات والشهوات والإباحية، وفي أحسن الحالات فهو حكيم فذ، ذو عبقرية طموحة، باع نفسه للشيطان، ممّا أدى إلى خروج الكثيرين من الديانة المسيحية ودخول

(١) ينظر: محمود زقروق، الإسلام في تصورات الغرب، ص 84-96.

(٢) سراسنة: في الأصل كلمة يونانية بمعنى البدو من الشرق، أو البدو السواركة، تم تحريفها لاحقاً على أيدي سكان الأديرة في جنوب فلسطين ليصبح معناها تحقيراً، أي البدو الهمج. ينظر: حسام عيتاني، الفتوحات العربية في روايات المغلوبين، ص 6.

(٣) ماحوميت أو ماوميت، بمعنى محمد. ينظر: المرجع نفسه، ص 25.

(٤) مارتن لوثر: (1486-1543م)، ولد في ألمانيا، ودرس اللاهوت، ثار على الكنيسة الكاثوليكية، ويعتبر المؤسس للبروتستانتية، حيث رفض صكوك الغفران، وقال إن المسيحي لا يحتاج لوساطة رجال الدين بينه وبين ربه. ينظر: جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، ص 547.

(٥) محمد عمارة، الإسلام والغرب، ص 29.

الإسلام، وهذا التصور يعكس حقيقة موقف الكنيسة من الإسلام بشكل عام، فهي لا تعتبره ديناً سماوياً، بل تعتبره ديناً وثنياً نتج عن صراع داخل المسيحية على مناصب كهنوتية.

2- موقف بندكت السادس عشر من الرسول صلى الله عليه وسلم.

ورد موقف بندكت من الرسول ﷺ في محاضرة "الإيمان والعقل"، تحديداً في التضمين الذي أورده على لسان الإمبراطور مانويل الثاني، عندما قال للفارس المسلم: "ارني الذي جاء به محمد، إنك لن تجد سوى أشياء شريرة ولا إنسانية، مثل الأمر بنشر الدين الذي بشر به بحدّ السيف" (١)، وكذلك في حديثه عن مفهوم الجهاد في الإسلام، وتحديداً عند تعليقه على الآية ﴿لا إكراه في الدين﴾ (٢)، حيث كان استنتاجه أنّ هذه الآية كانت مقبولة عندما كان النبي ﷺ ضعيفاً ومهدداً، ثمّ بعد ذلك تمّ تعديل هذه الآية (٣).

3- مناقشة موقف بندكت من الرسول ﷺ.

لم يخرج بندكت في موقفه من الرسول ﷺ عن الصورة النمطية التي كانت تنتشرها الكنيسة بين أتباعها في القرون السابقة، وحتى بعد الاحتجاجات في البلاد الإسلامية، كان ردّ بندكت عبر الناطق الرسمي للفاتيكان، ليس إلاّ توضيحاً لا يحمل في طياته أي صيغة من صيغ الاعتذار، وكان بيان الفاتيكان أوضح أنّ كلام بابا روما قد تمّ تفسيره بصورة خاطئة، وأنّ التضمين الذي أورده بندكت في محاضرتة، كان بهدف أكاديمي بحت (٤).

وقد قال بندكت، في الصيغة النهائية من محاضرتة، في تعليقه على التضمين الذي أورده "وفي العالم الإسلامي، أخذ هذا الاقتباس للأسف على أنه تعبير عن موقف شخصي، مما أثار سخطاً مفهوماً، أمل أن يرى قارئ نصي على الفور أنّ هذه الجملة لا تعبر عن وجهة نظري الشخصية للقرآن، والتي أحترمها بسبب كونه الكتاب المقدس لدين عظيم، وفي اقتباس نص

(١) جمال البناء، الرد على البابا، ص 7.

(٢) سورة البقرة، 256/2.

(٣) ينظر: جمال البناء، الرد على البابا، ص 7.

(٤) ينظر: بندكت السادس عشر. رحلة رسولية إلى ميونيخ وألينغ وريغنسبورغ. الجمهور العام. 2006/9/20. مكتبة الفاتيكان.

الإمبراطور مانويل الثاني، كنت أنوي فقط استخلاص العلاقة الجوهرية بين الإيمان والعقل ، وأنا أتفق مع مانويل الثاني بشأن هذه النقطة، لكن دون أن أؤيد جداله" (١).

وللتوضيح فلا بدّ من تبيان أهميّة التضمين في البحث العلمي، فالتضمين نقل حرفي للنص من مصدره، بهدف تعزيز الرأي الذي يريده الباحث، والتضمين عدّة أنواع، الحرفي، والتلخيصي، والتضمين بهدف الشرح والتحليل، والنوع الأخير هو التضمين الجامع بين جميع الأنواع السابقة، والتضمين الحرفي له أهميّة خاصّة؛ حيث يدلّ على سعة إطلاع الباحث على المصادر التي تخدم بحثه، ويؤدي التضمين المباشر الهدف الذي يريده الباحث أو المتحدث بدقّة ووضوح، ممّا يُعزّز رأي المُضمّن (٢).

والتضمين الذي استشهد به بندكت في محاضرتة، تضمينٌ مباشرٌ وحرفيٌّ، ممّا يعني أنّه مقتنع بما قال، وتوضيحه بقوله إنّ كلمات بندكت وُضعت في غير موضعها، وتمّ تفسيرها تفسيراً خاطئاً، وأنّ استدلاله بالنص المضمّن كان لهدف أكاديميٍّ بحت، وهو توضيحٌ بعيدٌ جداً عن صيغ الاعتذار المعروفة للبشر جميعهم، وهذا يدلّ على أنّ بندكت قد استمرّ على رأيه الذي أورده في محاضرتة، ولم يعتذر البتة عمّا ورد في محاضرتة.

ووصف بندكت ما جاء به النبي ﷺ بالشرّ، يتوافق مع الصورة النمطيّة التي تسود الغرب حول الرسول ﷺ والإسلام، فكون التراث الغربي يعرض صورة النبي ﷺ كمنشقّ عن الكنيسة، أسّس ديناً مناقضاً للكنيسة، وتبعه الملاحدة الوثنيون، كما أوردت في بداية هذا المبحث، ووصف الإسلام وما جاء به النبي ﷺ بالشرّ، يأتي من طبيعة رؤية الكنيسة الكاثوليكيّة لنفسها، فهي ترى نفسها الحقّ المطلق والخير المطلق، وكلّ من يخالفها محروم من الخلاص على يد المسيح، عليه السلام.

(١) ينظر: ملحق "1": الإيمان والعقل.

(٢) ينظر: عبد الرحمن الربيعة، البحث العلمي، 310-305/1.

وفي تعليقه على ما ورد على لسان الإمبراطور مانويل الثاني حول آية ﴿لا إكراه في الدين﴾، يؤكد علم مانويل الثاني بأن هذه الآية نزلت والنبي ﷺ في فترة ضعف وتهديد، ومن ثم تمّ تعديل هذه الآية لاحقاً بما يخدم مفهوم الحرب المقدسة (١).

وفي تعليقه المذكور يؤكد بندكت على موقفه الحقيقي من الإسلام ورسوله، حيث يجعل آيات القرآن قابلة للتعديل، تبعاً لحالة النبي ﷺ والمسلمين من الضعف والقوة، ولا يهّمه خلال حديثه إن كان دقيقاً أم لا، فتفسير الآية على وجوهها المختلفة لا يحتمل ما ذهب إليه بندكت، ففي قوله: "إنّها نزلت عندما كان النبي ﷺ ضعيفاً ومهدّداً" (٢)، إشارة إلى أنّ هذه الآية نزلت في المرحلة المكّية، وهذا غير صحيح فالآية نزلت في المدينة المنورة، حيث ورد في أسباب نزولها وجهان، الأول: أنّها نزلت في أبناء الأنصار الذين كانوا في عهدة اليهود ليقوموا بتربيتهم، والوجه الثاني: أنّها نزلت في أهل الكتاب الذين يدفعون الجزية (٣). وفي كلا الحالتين لا يمكن القول إنّ الإسلام كان ضعيفاً أو مهدّداً، فكيف يكون ضعيفاً وهو يأخذ الجزية ممّن لم يؤمن من أهل الكتاب؟ وكيف يُخيّر أبناء الأنصار الذين في عهدة اليهود، واليهود حينها ذوو قوة ومنعة؟

مما سبق يتّضح أنّ بندكت في محاضراته تجاوز القواعد العلميّة في نقله ونقده، حيث نقل عن الإمبراطور مانويل الثاني ما يخدم روايته المبنية في الأساس على صورة نمطيّة للنبي ﷺ وهذه الصورة مأخوذة من التراث الغربي في العصور الوسطى، وهذا التراث كانت الكنيسة الكاثوليكية صاحبة إسهام ضخم في تشكيله ونشره، وبالتالي يكون نقله متعمّداً وإن قال إنّ الغرض أكاديمي بحت.

وكذلك لم يُكفّ بندكت نفسه عناء الفحص، إن كانت آية ﴿لا إكراه في الدين﴾ (٤) مكّية أم مدنيّة، وهذا من أساسيات العمل الأكاديمي والعلمي، ممّا يؤكد أنّه ينهل من تراث الكنيسة دون الاهتمام بدقّة وصحة ما ينهله، وهذا لا يتوافق مع الصورة التي نشرها عن نفسه أنّه أكاديمي عقلاني ولاهوتي عميق.

(١) ينظر: محمد مبروك، الردّ على بابا الفاتيكان، ص 14.

(٢) ينظر: بندكت السادس عشر، الإيمان والعقل، ملحق "1".

(٣) ينظر: الطبري، جامع البيان، 2/ 132-134.

(٤) سورة البقرة، 256/2.

المبحث الثالث: رأي بندكت في القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة.

1- القرآن الكريم والحديث الشريف في الفكر الغربي بصورة عامة.

أولاً: الموقف من القرآن الكريم:

تعرّض القرآن الكريم للتشويه والهجوم من الغرب، منذ اللحظات الأولى لظهور الإسلام، وتوافق الموقف الغربي من القرآن الكريم مع الموقف الغربي من شخص الرسول الكريم ﷺ، فقد ورد في التشويه لشخص النبي الكريم، أنه قام بتعديل النصوص القرآنية، تبعاً للضعف والقوة التي كان يمز بها^(١)، لذلك تعتبر الصورة النمطية المشوهة للقرآن في الفكر الغربي نابعة من الموقف الغربي من شخص الرسول الكريم ﷺ.

وحتى محاولات الترجمة الأولى للقرآن الكريم، كانت بهدف محاولة تعزيز الصورة النمطية المشوهة للإسلام في الفكر الغربي، يقول مارتن لوثر: "أيّ كتاب بغيض وفضيح وملعون هذا القرآن، مليء بالأكاذيب والخرافات والفظائع، وإنّ إزعاج محمد ﷺ والإضرار بالمسلمين، يجب أن يكون هو المقصد من وراء ترجمة القرآن، وتعرّف المسيحيين عليه"^(٢).

وهذا الموقف من مارتن لوثر يعكس الموقف المسيحي العامّ من القرآن الكريم، كونه زعيم التيار الإصلاحى المنشقّ عن الكنيسة الكاثوليكية، وكان انشقاقه رفضاً لما تمارسه الكنيسة باسم الدين المسيحيّ، ولكنّه انشقاق إصلاحى لا يلغى الموقف الفعلي للمسيحية من الإسلام والقرآن، ويظهر من حديثه أنّ الهدف من ترجمة القرآن الكريم، ليس التعرّف على حقيقة القرآن، بل الهدف تعزيز الصورة المشوهة للإسلام والقرآن في الفكر المسيحيّ، وإلحاق الأذى بالمسلمين.

(١) ينظر: محمد عمارة، الإسلام والغرب، ص 32.

(٢) المصدر نفسه، ص 32.

فحتّى أولئك المسيحيّون الذين أنصفوا الإسلام نوعاً ما، فقد فصلوا بين شخص النبي ﷺ،
والقرآن الكريم، يقول توماس كارليل (١): "إنّ محمّداً شيء، والقرآن شيء آخر، فالقرآن هو خليط
طويل ومملّ ومشوش، وجاف وغلبيظ، باختصار هو غباء لا يُحتمل" (٢).

وهذا الوصف من كارليل للقرآن الكريم، يعني أنّه ينظر إليه ككتاب من تأليف بشري، قابل
للنقد بهذه الصورة الفجّة، فلو كان من المنصفين لما وصف كتاباً سماوياً بأنّه غباء لا يُحتمل.

وقد وصف توما الإكويني القرآن الكريم، بأنّه "تحريف للتوراة والإنجيل، ومجموعة من
الأساطير والخرافات التي كان يتلوها الرسول ﷺ على أصحابه المتوحشين الذي آمنوا به" (٣)،
وهذا القول من الإكويني يعني أن القرآن الكريم عبارة عن عمل بشري بحت، تمّ تجميعه من
تحريفات للتوراة والإنجيل، وكذلك من الخرافات والأساطير التي كانت في عصر النبي ﷺ.

إذاً، يمكن القول إنّ للقرآن الكريم صورة مشوّهة في الفكر والتراث الغربي، وهذه الصورة
المشوّهة نابعة من الموقف الغربي والمسيحي العامّ من الإسلام بعامّة، والصورة المشوّهة للقرآن
في الفكر الغربي تنفي عنه صفة الكتاب السماوي، وصفة الكتاب الذي لا يمكن تحريفه أو
التلاعب بآياته وسوره، ممّا يُعزّز الصورة النمطية التي يحملها الغرب المسيحيّ من الإسلام،
والتي مفادها أنّ النبي ﷺ ليس نبياً، بل شخصٌ متمرّد على الكنيسة الكاثوليكيّة، وفي أحسن
الحالات هو حكيم فذّ، وذو طموح كبير، أسّس ديناً مناقضاً للكنيسة، وبالتالي ألف كتاباً من
تحريفه للتوراة والإنجيل، وكذلك من الخرافات والأساطير التي جمّعها، وكان يتلوها على أصحابه
المتوحشين الذين اتبعوه.

(١) توماس كارليل: ولد عام 1795 م في اسكتلندا، وتعلم في مدارسها، ثم عمل مدرسا للرياضة وترك التعليم
ساخطاً على هذه المهنة، وتعلم الألمانية ليكمل تخصصه في هندسة المعادن، وكتب في الفلسفة والتاريخ، من
كتبه مجد المثل الأعلى. توفي عام 1871م . ينظر: توماس كارليل، مجد المثل الأعلى، ص 23.

(٢) ينظر: مجد عمارة، الإسلام والغرب، ص 33.

(٣) المرجع نفسه، ص 29

ثانياً: الموقف الغربي من الحديث الشريف بصورة عامة.

لا يخرج موقف الغرب من الحديث الشريف عن السياق التشويهي السائد للإسلام في الفكر الغربي، فإن كان الغرب يتهم النبي ﷺ بوضع القرآن من عنده، من خلال تحريف التوراة والإنجيل، وإضافة الأساطير والخرافات، فإن هذه الفرية تتسحب على الحديث النبوي الشريف، دون أن يخبرنا التراث الغربي، عن السبب من عدم اعتماد الأحاديث كنص قرآني، كون المصدر للقرآن والحديث هو النبي ﷺ.

2- موقف بندكت من الحديث الشريف

إن قول بندكت أن هناك تعديلاً حدث على القرآن أو جزء منه، يعني أن القرآن ليس كتاباً سماوياً، ولا وحياً من رب العالمين، ينسحب على الموقف من الحديث النبوي الشريف، فقد تبين موقف بندكت من شخص النبي ﷺ والقرآن الكريم، فإن كان يرفض نبوة محمد ﷺ ويرى أن القرآن الكريم عبارة تلفيق وتجميع من التوراة والإنجيل والأساطير القديمة، فهو حتما يرفض الحديث النبوي الشريف، وهذا يتطابق تماماً مع الموقف الفعلي للمسيحية الكاثوليكية من الإسلام، حيث لا تعتبر الإسلام ديناً سماوياً، وهذا ما حدث فعلاً عندما رفض مندوب الفاتيكان التوقيع على البيان الختامي لمؤتمر الحوار الإسلامي المسيحي، في القاهرة عام (2001م)، مُعللاً رفضه بأنهم -المسيحيين- لا يعترفون بالإسلام ديناً سماوياً، ولا يعترفون بأن قيم الإسلام قيم ربانية (١).

هذا الموقف حدث عندما كان بندكت لا يزال محافظ مجمع الإيمان والعقيدة، وكان قد حوّل اسم لجنة الحوار بين الأديان التابعة للمجمع إلى لجنة الحوار بين الثقافات (٢)، مما يعني أن رفض مندوب الفاتيكان التوقيع على البيان الختامي للمؤتمر يأتي بالتوافق مع الموقف الفعلي لبندكت والفاتيكان من الإسلام والقرآن والحديث النبوي الشريف.

لم يخرج بندكت في موقفه من القرآن الكريم والحديث الشريف، عن الصورة النمطية التي صاغتها الكنيسة في القرون السابقة حول الإسلام بكل أركانه، وحتى عندما أصدر الفاتيكان بياناً

(١) ينظر: محمد عمارة، الفاتيكان والإسلام، ص 16.

(٢) المصدر نفسه، ص 14.

توضيحاً حول محاضرة بندكت المسيئة، لم يرد هناك اعتذار عن هذه الإساءة، بل كان بيان الفاتيكان واضحاً، حيث تمّ التأكيد على أنّ أقوال بندكت قد تعرضت للتأويل الخاطئ من المسلمين، وأنّ استدلال بندكت كان لغرض أكاديميّ بحت، وفي كلمة بندكت للجمهور العام(2006/9/20 م)، أكدّ أنّ كلماته قد تمّ تأويلها بصورة خاطئة (١)، مما يعني أنّه لم يتراجع عن موقفه وإنّما يتهم المسلمين في العالم بالخطأ في تأويل أقواله، وهذا يؤكد على القول بأنّ بندكت كان متعمداً في أقواله، ومُصرّاً على موقف الكنيسة والغرب الفعلي من الإسلام.

(١) ينظر: بندكت السادس عشر، رحلة رسولية إلى ميونيخ وألينغ وريغسبورغ. ملحق "1"

المبحث الرابع: تصوّر بندكت لبعض علماء المسلمين (ابن حزم الأندلسي نموذجاً)

1- موقف الغرب من العلماء المسلمين بشكل عام.

يُنكر الغرب بشكل عام فضل العلماء المسلمين على الحضارة الإنسانية، والحضارة الغربية بصورة خاصّة، ويراهم في أحسن الحالات سُعاة بريد، نقلوا التراث اليونانيّ القديم إلى الغرب، دون أن يكون لدى العلماء المسلمين القدرة على التعامل مع هذا التراث، والغربيون بصورة عامّة لديهم معرفة ضئيلة بمدى تأثير العلماء المسلمين على حضارتهم وثقافتهم^(١).

والحقيقة هي أنّ العلماء المسلمين كانوا الفاعلين المؤثرين على مسرح الحضارة العالمية، لمدة سبعة قرون ونصف بشهادة المنصفين من علماء الغرب، ومع ذلك لا يُذكر فضلهم في الكتب الغربيّة، كون الغرب كتب تاريخه بمشاعره وعواطفه، بعيداً عن الإنصاف والدقة والأمانة العلميّة، وذلك نتاجاً للعلاقة المتوترة على مدى التاريخ بين الإسلام والغرب^(٢)، لذلك لن تجد ذكراً للعلماء المسلمين في كتب التاريخ الغربيّ إلا على شكل معلومات مقتضبة، وحتى العلماء المسلمين الذين يتم ذكرهم، فإنهم ينسبون إلى قومياتهم الأصليّة، وكأنّ الهدف نزع صفة الإسلام عنهم.

2- موقف بندكت من ابن حزم الأندلسي.

في البداية لا بدّ من تعريف موجز بالإمام ابن حزم الأندلسي، حتى نستطيع الوقوف على الدوافع التي جعلت بندكت يذكره من دون غيره من علماء المسلمين، ذلك أنّ جلّ علماء المسلمين كتبوا عن العقائد النصرانية، إن كان في تفسير الآيات التي تتحدث عن النصرانية في القرآن الكريم، وتحديد ما ينسبه النصارى لعيسى بن مريم، عليهما السلام، من إلهيّة، ومن ثم يزعمون أنّه ابنٌ لله تعالى.

(١) ينظر: زيغريد هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب، ص 7.

(٢) المصدر نفسه، ص 12.

-من هو ابن حزم؟

اسمه: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد^(١)

ولادته: ولد عام(384 هـ/994 م) في قرطبة بالأندلس.

فقهه: كان في بداية أمره فقيهاً على المذهب المالكي، وهو مذهب أهل الأندلس والمغرب العربي، ومن بعد توجه للمذهب الشافعي، وأخيراً توجه للمذهب الظاهري، حتى صار يُعرف به.^(٢)
علمه: يعتبر ابن حزم عالماً موسوعياً، فقد كان مفسراً، ومؤرخاً، وفقهياً، ومحدثاً، وعالماً في الفرق و الأديان، وأديباً مبدعاً.^(٣)

مؤلفاته:

هناك كثير من التضارب حول عدد مؤلفات ابن حزم، ولكنّ يجمع الباحثون على أنّ ما وصلنا من مؤلفات ابن حزم لا يمكن اعتبارها كلّ تراث ابن حزم، بل هناك كثير من تراثه مفقود.^(٤) وأشهر مؤلفاته هي:

- الإحكام في أصول الأحكام، مطبوع، دار الآفاق، بيروت(1979م).
- الإيصال إلى فهم كتاب الخصال الجامعة لجمال شرائع الإسلام في الواجب والحلال والحرام والسنة والإجماع. مطبوع ضمن رسائل ابن حزم الأندلسي، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، بيروت،(1980 م).
- رسالة في الردّ على ابن النغريلة اليهودي: يردّ فيه ابن حزم على مطاعن ابن النغريلة في القرآن الكريم^(١)، مطبوع ضمن رسائل ابن حزم الأندلسي، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، (1980 م).

(١) ينظر: محمد عبدالله أبوصعيليك، الإمام ابن حزم الأندلسي، ص 15.

(٢) المرجع نفسه، ص 35.

(٣) المرجع نفسه، ص 41.

(٤) المرجع نفسه، ص 29.

- القراءات المشهورة في الأمصار الآتية مجيء التواتر. مطبوع ضمن رسائل ابن حزم الأندلسي، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، (1980 م).
 - جمهرة أنساب العرب. مطبوع، دار الكتب العلميّة، بيروت. (1983 م).
 - أصحاب الفتيا من الصحابة ومن بعدهم على مراتبهم في كثرة الفتيا، مطبوع، دار الكتب العلميّة، بيروت (1995 م).
 - الفصل في الملل والنحل. مطبوع، دار الجيل، بيروت. (1996 م).
 - جوامع السيرة النبويّة. مطبوع، دار الكتب العلميّة، بيروت، (2003 م).
 - التقريب لحدّ المنطق والمدخل إليه بألفاظ عاميّة. مطبوع، دار ابن حزم، بيروت (2007 م).
 - الأخلاق والسير في مداواة النفوس. مطبوع، دار ابن الجوزي، الدمام، (1434 هـ).
 - الأصول والفروع. مطبوع، دار ابن حزم، بيروت، (2011 م).
 - طوق الحمامة في الألفة والألاف. مطبوع، مؤسسة هنداوي، القاهرة. (2014 م).
 - المحلّى بالآثار، شرح المجلى باختصار. مطبوع، دار ابن حزم، بيروت. (2016 م).
 - الردّ على أناجيل النصارى. مفقود.
 - الفضائح. مفقود^(٢)
 - إظهار تبديل اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل وبيان تناقض ما بأيديهم من ذلك مما لا يحمل التأويل، مفقود.
 - اليقين في نقض تمويه المعتزّين عن إبليس وسائر المشركين. (٣). د. ت.
 - تسمية شيوخ مالك. مفقود.
 - حجة الوداع. مكتبة صنعاء الأثريّة. صنعاء، د. ت.
- وفاته: (456 هـ/1064 م).

(١) ينظر: عدنان المقراني، نقد الأديان عند ابن حزم، ص 61.

(٢) ينظر: محمد أبو صعبيليك، الإمام ابن حزم الأندلسي. ص 137.

(٣) المرجع نفسه، ص 31.

-نهج ابن حزم في نقد النصرانية:

يتحدث ابن حزم عن النصرانية، حديث العالم المطلع، وقد نقدها نقداً دقيقاً، وجعل نقده للنصرانية في ثلاثة محاور هي:

١. الحديث عن الأناجيل، ونقد ما ورد فيها من نصوص.
٢. الحديث عن الفرق النصرانية، ويورد عقائد كل فرقة، ومناقشة التعارض بين عقائد الفرق.
٣. مناقشة عقائد النصارى الأساسية، وهي: عقيدة التثليث، وعقيدة الاتحاد والحلول^(١).

وقد رأيت عرض نقده لعقيدة التثليث فقط، لاتصالها المباشر بموضوع البحث، ففي نقاشه لعقيدة التثليث يرى أنّ الأخذ بها يناقض ما ورد في الأناجيل، ذلك أنّ النصارى اعتمدوا عقيدة التثليث، بعد مجمع نيقية المسكوني عام (325) م، فهناك اختلاف واضح بين نصّ قانون الإيمان المعتمد في نيقية، والأناجيل. و ينسحب الاختلاف السابق، على قانون الإيمان والأناجيل و عقيدة الاتحاد والحلول، حيث يورد ابن حزم احتمالات الأخذ بهذه العقيدة، فيقول "إمّا أن يكون الإله تحوّل لإنسان، فهو إنسانٌ مطلقاً، أو أن يكون الإنسان تحوّل إلى إله فهو إلهٌ مطلقاً، أو أن يكون الاتحاد بين الإنسان والإله قد أنتج كياناً ثالثاً فهو ليس بالإنسان ولا الإله"^(٢).

-موقف بندكت من ابن حزم:

يتحدّث بندكت عن ابن حزم، وتصوّر العقدي لله، تعالى، حيث يقول: ولكن بالنسبة لتعاليم المسلمين، فإنّ الله متعالٍ بشكلٍ مُطلق، وإرادته ليست مرتبطة بأيّ من فئاتنا، حتى تلك العقلانية، وهنا يقتبس خوري عملاً للمختص في الشأن الإسلامي، العالم الفرنسي والمستشرق ر. أرنالديز، الذي يشير إلى أن ابن حزم ذهب إلى حدّ القول: "إنّ الله ليس مُلزماً حتّى بكلمته، وأنّه لا شيء يُجبره على كشف الحقيقة لئلا، ولو كانت مشيئة الله، لكان علينا ممارسة عبادة الأصنام"^(٣).

(١) ينظر: محمد أبو صعيبيك، الإمام ابن حزم الأندلسي، ص 87.

(٢) المرجع نفسه، ص 90، وكذلك ينظر: ابن حزم الأندلسي، الفصل في الملل والأهواء والنحل، 2/2.

(٣) ينظر: بندكت السادس عشر. الإيمان والعقل، ملحق "1".

وبناء على تعريفنا السابق بالإمام ابن حزم، نجد أنه كان من المتعمقين في نقد المسيحية بصورتها الحالية، وذلك ناتج عن البيئة الأندلسية المختلطة التي نشأ فيها، حيث نرى أنه قد تحدث بإسهاب في كتابه "الفصل"، عن النصرانية من ناحية الأناجيل، حيث تحدّث عن روايتها، وتحدّث عن نصوصها، من ناحية السند والمتن، ومن ثمّ قارن الأناجيل بعضها ببعض، وبين تناقضها وتعارضها، ولم يكن نقد ابن حزم لما ورد في الأناجيل، نقداً سطحياً، بل كان نقد العارف المتعمق.

ويأتي حديث بندكت عن تصوّر ابن حزم العقدي لله تعالى، من باب الردّ على نقض ابن حزم لعقيدة التثليث، وعقيدة الاتحاد والحلول، حيث نزّه ابن حزم الله، تعالى، عن النقص البشري، كما نزّهه عن الشريك والولد، وكلّ ما تنسبه إليه العقيدة النصرانية.

ولأهمية النصّ نوره، كما وجدناه في كتاب ابن حزم "الإحكام في أصول الأحكام"، وذلك تحت عنوان: فصل فيما يجوز فيه النسخ وفيما لا يجوز فيه النسخ، حيث يُناقش ابن حزم قول القائلين بانتفاء القدرة الإلهية على نسخ شرعة التوحيد، حيث يثبت ابن حزم أنّ الله، تعالى، قادرٌ على كلّ شيء، وأنه، تعالى، يفعل ما يشاء، بالكيفية التي يشاء، يقول ابن حزم: " وقد اختلف أصحابنا في بعض الأوامر أيجوز فيها النسخ أم لا ، فقالوا: كل ما علم بالعقل فلا يجوز أن ينسخ، مثل التوحيد وشبهه. قال أبو محمد: وهذا فاسد من القول، لأنّه مُجملٌ لما لا يجوز مع ما لا يجوز، ولكن يُسأل قائل هذا القول فيقال: ما أردت بقولك لا يجوز نسخ التوحيد؟ فإن كنت تريد أنّه بعد أن أعلمنا الله، تعالى، أنّه لا ينسخ هذا الدين أبداً، لا يجوز تبديله، وإن كنت تريد أنّه لما سلف في سابق علم الله، تعالى، أنّه لا ينسخه أبداً، علمنا أنّه لا يجوز نسخه، فنعم هذا قول صحيح وهكذا إباحة الكيش، وتحريم الخنزير، وجميع شرائع الملة الحنيفة المستقرة لا يجوز نسخ شيء منها أبداً ولا فرق بين التوحيد وسائر الشرائع في ذلك البتة.

وإن كنت تريد أنّه، تعالى، غير قادر على نسخ التوحيد، أو أنّه، تعالى، قادرٌ على نسخه والأمر بالتثنية أو التثليث إلا أنّه لو فعل ذلك لكان ظلماً وعبثاً، فاعلم أنّك مخطئ ومفتر على

الله، تعالى، لأتكَ مُعْجَزٌ له، مُتَحَكِّمٌ عليه، وقاض بأنك مدبر لخالقك عز وجل، ومُوقِع له تحت رتب وقوانين بعقلك إنَّ خالفها عبث وظلم.

وهذا كلام يؤول إلى الكفر المجرد، والشرك المحض، مع عظيم ما فيه من الجهل والجنون بل نقول: إنَّ الله، عز وجل، قادرٌ على أن ينسخ التوحيد، وعلى أن يأمر بالتثنية والتثليث وعبادة الأوثان، وأتته، تعالى، لو فعل ذلك لكان حكمةً وعدلاً وحقاً، ولكان التوحيد كفرةً وظلماً وعبثاً، ولكنه، تعالى، لا يفعل ذلك أبداً، لأنه قد أخبرنا أنَّهُ لا يُحيل دينه الذي أمرنا به فلما أمنا بذلك، صار ما تبرأ الله منه كفرةً وظلماً وعبثاً، وصار ما أمر به حقاً وعدلاً وحكمةً فقط، وليس اعتقادنا التوحيد حقاً ولا حكمةً بذاته، دون أن يكون لله فيه أمر، ولكن إنما صار حقاً وعدلاً وحكمةً لأنَّ الله، تعالى، أمر به ورضيه، وسماه حقاً وعدلاً وحكمةً فقط فهذا دين الله، عز وجل، الذي نصَّ عليه، بأنَّه يفعل ما يشاء وأتته ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ (١) (٢).

من خلال النصِّ الفعلي عند ابن حزم، نجد أنَّ بندكت قد اختار ما يخدم مُحاضرتَه، دون أن يراعي النصَّ الأصليَّ عند ابن حزم، فبندكت نقل أن ابن حزم قال "إنَّ الله تعالى لو شاء لعبدنا الأصنام" (٣)، مع أنَّ ابن حزم في معرض إثباته لقدرة الله تعالى على فعل ما يشاء قال: "إنَّ الله، عز وجل، قادرٌ على أن ينسخ التوحيد، وعلى أن يأمر بالتثنية والتثليث وعبادة الأوثان، وأتته، تعالى، لو فعل ذلك لكان حكمةً وعدلاً وحقاً، ولكان التوحيد كفرةً وظلماً وعبثاً" (٤)، فلو كان بندكت منصفاً لذكر أنَّ ابن حزم أورد عقيدة التثليث كخيار، يمكن أن يأمرنا به الله، تعالى، فليس هناك ما يمنع أنَّ يأمرنا الله، تعالى، بما يشاء، وعند ورود أمره عزَّ وجل، ما يكون علينا إلاَّ الانصياع والطاعة والتنفيذ.

نخلص ممَّا سبق إلى القول بأنَّ بندكت، كان في تضمينه مُجتزئاً ومُحرِّفاً، بصورة متعمَّدة، ليرمي ابن حزم بما يريد من شبهات، وذلك بسبب مؤلفات ابن حزم وآرائه التي ردَّ فيها على

(١) سورة الأنبياء. 23/21.

(٢) ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، 74/4.

(٣) بندكت السادس عشر، الإيمان والعقل، ملحق 1.

(٤) ينظر: ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، 74/4.

اللاهوت المسيحي الكاثوليكي، وأظهر ابن حزم من خلال رده ونقده التناقض الكبير بين الأناجيل وقانون الإيمان الذي وضعه اللاهوتيون المسيحيون في نيقية عام (325 م)، على أن ابن حزم في حديثه عن المسيحية كان منصفاً بصورة كبيرة جداً، حيث اثبت في بداية حديثه عن الأناجيل، أن النصارى لا يقولون بأن الإنجيل موحى به من عند الله للمسيح، عليه السلام، وأن النصارى يقولون بأن الأناجيل عبارة عن كتب تاريخية ألفها أربعة رجال في أوقات مختلفة⁽¹⁾، وعليه يكون نقل بندكت له هدف غير البعد العلمي أو الثقافي، ويأتي ذلك تماشياً مع ثقافة تشويه الإسلام التي تسود الغرب، دون أن يكون هناك فرق بين الأمي أو العالم.

(1) ينظر: ابن حزم الظاهري الأندلسي، الفصل في الملل، 2/2.

الخاتمة:

الحمد لله الذي علّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على النبي الأغر الأكرم، وبعد:

فقد منّ الله، تعالى، بواسع كرمه ومنّه وفضله، بإتمام هذه الدراسة "بابا روما بندكت السادس عشر: سيرته، وموقفه من الإسلام من خلال كتابه: "بلا جذور"-دراسة تحليلية"، وقد وصلت الدراسة إلى أهمّ النتائج الآتية:

١. موقف المسيحية بشكل عامّ من الإسلام، هو موقف بدأ منذ بزوغ فجر الإسلام.
٢. موقف الكنيسة المسيحية الكاثوليكية من الإسلام، يعتبر الموقف الأهمّ، لأنها تُمثّل معظم المسيحيين في العالم، وهي المسؤولة عن صياغة المواقف الفعلية من الإسلام في المخيال الغربي، وتحديدًا أثناء سلطتها المطلقة في أوروبا الغربية، في فترة القرون المظلمة (القرون الوسطى).
٣. تأتي مواقف بندكت السادس عشر من الإسلام متوافقة مع مواقف التيار اللاهوتي الأصولي المتشدّد الذي ينتمي إليه، حيث يرى هذا التيار أنّ المسيحية بصيغتها الكاثوليكية هي الدين الصحيح الوحيد، وأنّ المسيح، عليه السلام، هو المخلص والمنقذ الوحيد للبشرية جمعاء.
٤. أسهمت الأزمة الوجودية التي تُعاني منها أوروبا الغربية، في زيادة مواقف بندكت السادس عشر حدّةً وتطرّفًا، لذلك يوجد هناك توافق بين مواقف بندكت السادس عشر واليمين الأوروبي المتطرّف، مثل: رفض وجود المهاجرين المسلمين في أوروبا، ورفض المظاهر الإسلامية في الحياة الأوروبية الغربية.
٥. موقف بندكت السادس عشر من النبي ﷺ هو موقف ثابت في عقيدة الكنيسة الكاثوليكية تجاه شخص النبي الكريم ﷺ، وكانت الكنيسة الكاثوليكية قد صاغت هذا التصوّر عن النبي ﷺ في القرون المظلمة، التي كانت تحياها أوروبا الغربية.
٦. بما أنّ مواقف بندكت السادس عشر معادية للإسلام ونبيه ﷺ، فإنّ موقفه من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة هو نفس الموقف الرفض، وهذا الموقف يتماهى مع المواقف الكاثوليكية والأوروبية الغربية، الراضة للإسلام جملة وتفصيلاً، والمعادية له.

٧. كان بندكت السادس عشر متعمداً، في تضمينه الذي نقله في محاضرة "الإيمان والعقل"، حول شخص النبي الكريم ﷺ وقد أثبت ذلك في هوامش المحاضرة في صيغتها النهائية والتي نشرها على موقع الفاتيكان الرسمي.
٨. يرى بندكت السادس عشر في كتابه "بلا جذور" أنّ المهاجرين المسلمين في أوروبا الغربية هم "شتلات مزروعة"، تُشكّل خطراً على الهوية الأوروبية، وأنّ رفض هؤلاء المهاجرين للاندماج في المجتمع الغربي، نابع من التعددية الثقافية السائدة في الغرب، وكذلك من النسبية المعرفية التي يقول بها مثقفو الغرب، والتي تجعل من المسيحية ديناً مساوٍ لغيره من الأديان، والثقافة الغربية خياراً من خيارات متعدّدة، وبالتالي تفقد الثقافة الغربية والكاثوليكية قيمتها العالمية.
٩. يرى بندكت السادس عشر أنّ الإسلام عاد للظهور بقوة على المسرح العالمي من جديد، لأمرين: ظهور الثروات النفطية في بلدان العالم الإسلامي، وكذلك وجود بعض المسلمين الذين يعتقدون أنّ الإسلام صالح لأن يكون نهج حياة.
١٠. في تضمينه الذي نقله عن ابن حزم الأندلسي، رحمه الله، كان بندكت مجتزئاً بصورة متعمّدة تخالف العرف الأكاديمي العالمي، ويأتي موقفه من ابن حزم نتيجة لرفض المسيحية الكاثوليكية لأراء ابن حزم التي تنقض الروايات اللاهوتية الكاثوليكية وتفنّد عقائدها.

التوصيات:

من خلال العمل على هذه الدراسة، تبين أنّ هناك الكثير من التقصير، وأظنّه متعمّداً، في دراسة المواقف الغربيّة الفعلية من الإسلام، وهناك من يرى أنّ تخصص مثل الدراسات الإسلاميّة المعاصرة، لا يجب أن يسمح له بالوجود، على الرغم من أن كلّ مؤسسة علميّة غربيّة لديها قسم خاص يُعنى بالدراسات الإسلاميّة ويرقب عن كثب كل ما يصدر عن المسلمين من دراسات ومواقف وأفكار، فتوصيتي الوحيدة، هي أن يكون هناك عمل فعلي لإنشاء مراكز دراسات إسلاميّة معاصرة تقوم بمهمة الكشف عن عوار الثقافة الأوروبيّة الغربيّة، وتبين للعالم المواقف الإسلاميّة الفعلية والصحيحة، دون أن يضيع جهد الحريصين بين رغبات المتخاصمين على أمور شكلية، فيما الإسلام يتعرّض للهجوم والتشويه في كلّ لحظة.

﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(١)

(١) سورة يوسف، 21/12.

-المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
 - المصادر:
١. الأفغاني، محمّد جمال الدين (ت 1315هـ)، الأعمال الكاملة، ط 1، تحقيق محمد عمارة، القاهرة: دار الشروق، 1968م.
 ٢. أفلاطون، أرسطو كليس بن أرسطون (ت 347 ق.م.)، المحاورات الكاملة (الجمهورية) ط 1، بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع، 1994م.
 ٣. الألباني، محمد ناصر الدين، (ت 1420 هـ)، صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، ط 3، الرياض: المكتب الإسلامي، 1408 هـ/1988م.
 ٤. الإيجي، عبد الرحمن بن أحمد (ت 756 هـ)، المواقف في علم الكلام، ط 1، بيروت: دار الجيل، 1997م.
 ٥. باشا، أحمد عزت (ت 1356هـ)، الدين والعلم، ط 1، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والنشر، 1948 م
 ٦. البخاري، محمد بن إسماعيل (ت 256 هـ)، صحيح البخاري، ط 1، الرياض: بيت الأفكار الدولية، 1998م.
 ٧. البيضاوي، عبد الله بن عمر (ت 685 هـ)، طوابع الأنوار من مطالع الأنظار، ط 1، بيروت: دار الجيل، 1411 هـ/1991م.
 ٨. الترمذي، محمد بن عيسى (ت 279 هـ)، علل الترمذي الكبير، ط 1، بيروت: عالم الكتب، 1409 هـ/1989م.
 ٩. التفتازاني، مسعود بن عمر (ت 792 هـ)، شرح المقاصد، ط 1، بيروت: عالم الكتب، 1419 هـ/1999م.
 ١٠. الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن (ت 1240 هـ)، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ط 1، القاهرة: مكتبة مدبولي، 2008م.
 ١١. ابن حزم الأندلسي، أحمد بن علي (ت 456هـ)،
- الإحكام في أصول الأحكام، ط 1، تحقيق أحمد شاکر، بيروت: دار الآفاق، 1970م.

- الفصل في الملل والأهواء والنحل، ط 1، القاهرة: مكتبة السلام العالميّة، 1964 م.
١٢. خير الله، محمد عبده حسن (ت 1323 هـ)، رسالة التوحيد، ط 1، القاهرة: المطبعة الخيريّة، 1905 م.
١٣. ابن رشد، محمد بن أحمد (ت 595 هـ)، تهافت التهافت، ط 1، القاهرة: دار المعارف، 1964 م، (سلسلة ذخائر العرب 37).
١٤. الطبري، محمد بن جرير (ت 310 هـ)،
- أ - تاريخ الرسل والملوك، ط 2، القاهرة: دار المعارف، 1964 م.
- ب جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط 1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1994 م.
١٥. ابن عاشور، الطاهر (ت 1393 هـ)، تفسير التحرير والتنوير، ط 1، تونس: المكتبة التونسية، 1984 م.
١٦. الغزالي، محمد بن محمد (ت 505 هـ)،
- تهافت الفلاسفة، ط 4، القاهرة: دار المعارف، 1966 م. (سلسلة ذخائر العرب 15).
- فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، ط 1، القاهرة: مطبعة الترقّي، 1901 م.
١٧. ابن قايمار، أحمد بن أبي بكر (ت 839 هـ)، مصباح الزجاجاة في زوائد ابن ماجة، ط 1، تحقيق عوض بن أحمد الشهري، الرياض: الجامعة الإسلامية (63)، 2004 م.
١٨. النيسابوري، مسلم بن الحجاج القشيري (ت 291 هـ)، صحيح مسلم، ط 1، الرياض: بيت الأفكار الدولية، 1419 هـ/1998 م.
- المراجع:
١٩. إبراهيم، عز الدين، محاضرة البابا بنديكت السادس عشر وتوابعها - دراسة شاملة، دبي - الإمارات العربية المتحدة، 2006 م.
٢٠. أرنولد، توماس، الدعوة إلى الإسلام، ط 3، ترجمة حسن النحراوي، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1970 م.
٢١. إسبوزيتو، جون ل، التهديد الإسلامي: حقيقة أم خرافة؟، ترجمة قاسم عبده قاسم، الطبعة الثانية، القاهرة: دار الشروق للنشر والتوزيع، 1422 هـ/2002 م.

٢٢. استودارد، لوثيروب، حاضر العالم الإسلامي ، ط 1 ، تعليق شكيب أرسلان وعجاج نويهض، بيروت: دار الفكر، 1391هـ/1971 م.
٢٣. الأسود، محمد عبد الهادي ،العلاقات(العرو-مازيغية)عمقها وتداخلها ، ودورها في التّجانس الاجتماعي في المغرب العربي الكبير : قراءة موضوعية من خلال شهادات التاريخ وشهادات العلماء الغربيين، القاهرة: دار حميثرا للنشر والترجمة، 2018 م.
٢٤. الإكويني، أسرة القديس توما ،الكنيسة الكاثوليكية لديها الجواب ،س 8: لماذا يؤمن الكاثوليك بأسرار الكنيسة السبعة ؟ ما هي الأسرار وما هي مفاعيلها ؟ ،موقع البابا فرنسيس بالعربية ، 2004/8/18 م.
٢٥. بباري، نبيل لوقا، انتشار الإسلام بحدّ السيف: بين الحقيقة والافتراء ، ط 1، القاهرة: دار بباري للنشر ، 2009 م.
٢٦. البنا، جمال(ت1435هـ)، الرد على البابا : ملف توثيقي وإبداعي ، ط 1، القاهرة: دار الفكر الإسلامي ، 2006 م.
٢٧. بندكت، صموئيل، العقائد الكاثوليكية في الكتاب المقدّس ،الولايات المتحدة الأمريكية: منشورات الخدمة العربية للكرامة بالإنجيل، ترجمة يعقوب قاقيش، ، 2018 م.
٢٨. البهي، محمد(ت1402هـ)، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ، ط 1، القاهرة: مكتبة وهبة، 2017 م.
٢٩. الترياني، جهاد، مائة من عظماء أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ ، الطبعة الأولى، القاهرة: دار التقوى للنشر والتوزيع، 2010 م.
٣٠. جلوان، هدى، كيف تنطبق كتابات البابا بنديكطوس السادس عشر عن "التحول" على زيادة الأزواج في الزواج الأسري؟، أستراليا: جامعة نورثيدام، 2018 م.
٣١. الحسيني، سارة بن محمد، دراسات وأبحاث في قضايا معاصرة ، الطبعة الأولى، مكّة المكرمة: دار من المحيط إلى الخليج للنشر والتوزيع، 2017 م.
٣٢. حصر، جورج، وآخرون، المسيحيون العرب: دراسات ومناقشات، ط 1، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربيّة، 1981 م.

٣٣. حيدر آبادي، محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسيّة للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، ط1، القاهرة: د.م. ، 1970 م.

٣٤. الخليل، سمير، دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي ، الطبعة الأولى، بغداد: دار الكتب العلميّة، 2014 م.

٣٥. الخوري، بولس، اصطلاحات فلسفية ولاهوتية في المجادلة بين المسيحيين والمسلمين في العصر الوسيط(12)، بيروت: المكتبة البولسية، (سلسلة المسيحية والإسلام في الحوار والتعاون-72)، 2010 م.

٣٦. دزاز، محمد عبدالله، كلمات في مبادئ علم الأخلاق، ط 1، دمشق: المطبعة العالميّة، 1953 م.
٣٧. دينيس، جورج، رسائل مانويل الثاني بالايولوجس ، الطبعة الأولى، واشنطن: منشورات جامعة هارفارد ، 1977 م.

٣٨. ديورانتي، ويل،

أ- قصّة الحضارة، ط 1، القاهرة، بيروت: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ودار الجيل، 2013 م.

ب- مباحث الفلسفة ، ط 1، ترجمة أحمد فؤاد الأهواني ، القاهرة: المركز القومي للترجمة ، 2015 م.

٣٩. راتزينجر، الكاردينال جوزيف،

أ- أوروبا اليوم وغدا: معالجة القضايا الأساسيّة ، ط 2، سان فرانسيسكو: دار إغناطيوس للنشر والتوزيع، 2008 م.

ب- الإيمان والتقبل: الإيمان المسيحي وأديان العالم، ط 1، سان فرانسيسكو: دار إغناطيوس للنشر والتوزيع، 2004 م

ت طح الأرض: المسيحيّة والكنيسة الكاثوليكيّة على أعتاب الألفية الثالثة ، بيروت: منشورات المكتبة البولسيّة ، 2009 م.

٤٠. الربيعة، عبد الرحمن علي، البحث العلمي : حقيقته، ومصادره ، ومادته ، ومناهجه وطابعته ، ومناقشته، ط 6، الرياض: مكتبة العبيكان ، 2012 م.

٤١. روا، أوليفيه، الجهل المقدّس: زمن دين بلا ثقافة، ط 3 ، بيروت: دار الساقى ، 2015 م.

٤٢. ريجسكي، م، أنبياء التوراة والنبوءات التوراتيّة ، ط 1 ، ترجمة آحو يوسف القاهرة : مكتبة المهتدين، د. ت.

٤٣. زقزوق، محمود حمدي، الإسلام في تصوّرات الغرب، ط 1، القاهرة: مكتبة وهبة، 1987م.
٤٤. السادس، يوحنا بولس، تنصير البشر في زماننا، روما: مكتبة الفاتيكان، 1977 م.
٤٥. السادس عشر، بندكت:
- أ. بلا جذور-النسبيّة، المسيحيّة، الإسلام، ترجمة مروان أبوفاة، نيويورك: بيزك بوكس، 2006 م.
- ب. رحلة رسولية إلى ميونيخ وأليغ وريغنسبورغ، روما: مكتبة الفاتيكان، 2006/9/20م.
٤٦. السّواح، فراس، موسوعة تاريخ الأديان: الكتاب الخامس، الزرادشتية - المانوية - اليهودية - المسيحية، دمشق: منشورات دار علاء الدين، 2015 م.
٤٧. الشايح، عبد الوهاب صالح، تاريخ النصرانية، ط 1، الرياض: دار السلف، 2015م.
٤٨. أبوصعيليك، محمد عبدالله، الإمام ابن حزم الأندلسي: إمام أهل الأندلس، ط 1، دمشق: دار القلم، 1415 هـ/ 1995 م (سلسلة أعلام المسلمين).
٤٩. الصلابي، علي، السيرة النبويّة: عرض وقائع وتحليل أحداث دروس وعبر، ط 2، دمشق: دار ابن كثير، 1430 هـ/ 2009 م. (موسوعة السّير 2).
٥٠. طرابيشي، جورج، معجم الفلاسفة، ط 3، بيروت: دار الطليعة، 2006 م.
٥١. الطويل، توفيق، قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام، ط 1، الإسكندرية: دار الفكر العربي، 1947م.
٥٢. عبد الجواد، محمد أحمد، قصة الحرّية في الحضارة الإسلامية. ط 1. القاهرة: مكتبة الفنون والآداب، 1436 هـ/ 2015 م.
٥٣. عبد العزيز، زينب، الفاتيكان والإسلام، الطبعة الثانية، القاهرة: القدس للنشر والإعلان، 1421 هـ/ 2001 م (سلسلة فضائح الحضارة الغربيّة 3).
٥٤. عبد المعطي، فاروق، سقراط رائد فلاسفة اليونان، ج/ 27، ط 1، بيروت: دار الكتب العلميّة، 1993 م (سلسلة الأعلام الفلاسفة).
٥٥. عجيب، أحمد علي، أثر الكنيسة على الفكر الأوروبي، ط 1، القاهرة: دار الآفاق، 2004 م.
٥٦. العقّاد، عباس محمود (ت 1384 هـ)،
- أ- حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، ط 4، القاهرة: دار نهضة مصر، 2005 م
- ب- لا شيوعيّة ولا استعمار، الطبعة الأولى، بيروت: دار القلم للنشر والتوزيع، 1957 م.
٥٧. علّال، خالد كبير، جنايات أرسطو في حقّ العقل والعلم، الجزائر: دار المحتسب، 2011م.

٥٨. عمارة، محمد (ت 1441 هـ)،
- إستراتيجية التنصير في العالم الإسلامي (دراسة في أعمال مؤتمر كولورادو لتنصير المسلمين) أو (بروتوكولات قساوسة التنصير)، ط 1، القاهرة: دار الشروق، 1992 م.
- الإسلام والغرب-افتراءات لها تاريخ، ط 1، القاهرة: مركز الإعلام العربي، 2006 م.
- الفاتيكان والإسلام، أهي حماقة؟.. أم عداء له تاريخ؟ ، الطبعة الأولى ، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 2007 م.
٥٩. العميري، سلطان بن عبد الرحمن ،فضاءات الحرية:بحث في مفهوم الحرية في الإسلام وفلسفتها وأبعادها وحدودها، ط 1، القاهرة: المركز العربي للدراسات الإنسانية، 2014 م.
٦٠. عيتاني، حسام، الفتوحات العربية في روايات المغلوبين ، ط 1، بيروت: دار الساقى ، 2010 م.
٦١. عيد، ثابت، الإسلام في التراث الغربي : دراسات ألمانية ، ط 1، القاهرة: دار نهضة مصر ، 1999 م.
٦٢. الغزالي، محمد(ت 1416 هـ)،
- الاستعمار أحقاد وأطماع، ط 1، القاهرة: دار نهضة مصر، 1997 م.
- الإسلام المفترى عليه، ط 1، القاهرة: دار نهضة مصر، 2002 م.
- دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين ، ط 3، القاهرة: دار نهضة مصر ، 1999 م.
- ظلام من الغرب، ط 2، القاهرة: دار نهضة مصر، 2000 م.
٦٣. فكري، القس أنطونيوس، الأسرار الكنيسية ، ، الطبعة الثانية، مصر: منشورات كنيسة السيدة العذراء، 2012 م.(مشروع الكنوز القبطية).
٦٤. القرضاوي، يوسف،
- البابا والإسلام: رد علمي على البابا بندكت السادس عشر في كلمته في ألمانيا التي أساء بها للإسلام، ط 1، القاهرة: مكتبة وهبة، 1428 هـ/ 2008 م.
- فصول في العقيدة بين السلف والخلف ، ط 4، القاهرة: مكتبة وهبة، 2015 م.(سلسلة نحو وحدة فكرية للعاملين للإسلام)..

٦٥. موقف الإسلام من العقل والعلم ، ط 1، القاهرة: مكتبة وهبة، 2014م، (سلسلة نحو وحدة فكرية للعاملين للإسلام).
٦٥. ق.م، جورج، تعدد الأديان ونظم الحكم: دراسة سسيولوجية وقانونية مقارنة ، ط 1، بيروت: دار الفارابي، 1979 م.
٦٦. قطب، سيد، في ظلال القرآن، ط 26، القاهرة: دار الشروق، 2000م.
٦٧. كار، ولیم، اليهود وراء كل جريمة ، الطبعة الثانية، شرح وتعليق خير الله الطلفاح ، بيروت: دار الكتاب العربي، 1402هـ/1982 م.
٦٨. كارليل، توماس،
٦٩. الأبطال، ط 4، ترجمة محمد السباعي، القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة ، 2009 م
٧٠. محمد المثل الأعلى ، ط 1، ترجمة محمد السباعي ، القاهرة: مكتبة النافذة ، سلسلة نافذة على الغرب، 2003 م.
٧١. كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط ، الطبعة الأولى، القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2014 م.
٧٠. كيف، م، أي، عقيدة الثالوث: هل هي وحي من الله ؟، جدة: الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، 1996 م.
٧١. لوبون، جوستاف، حضارة العرب ، ط 1، ترجمة عادل زعيتر ، دمشق: مطبعة عيسى البابي الحلبي، دمشق ، د.ت.
٧٢. لويس، برنارد، ما هو الخطأ في العلاقة بين الإسلام والغرب؟، صحيفة الأهرام، 2002/3/2 م.
٧٣. مؤنس، حسين، الإسلام الفاتح، سلسلة دعوة الحق، السنة الأولى، رجب 1401 هـ.
٧٤. مبروك، محمد إبراهيم، الرد على بابا الفاتيكان وهجوم قادة الغرب على الرسول ، صلى الله عليه وسلم، ط 1، القاهرة: مركز الحضارة العربية، 2007 م.
٧٥. المصباحي، حسونة، العرب والإسلام في نظر المستشرق جاك بيرك ، صحيفة الشرق الأوسط، لندن، 2001/11/1 م.
٧٦. المقرائي، عدنان، نقد الأديان عند ابن حزم ، ط 1، فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، 1429 هـ/2008 م.
٧٧. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، ط 1، القاهرة: دار ابن الجوزي، 2015 م.

٧٨. الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة (ت 1425 هـ)،

- أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها : التبشير، و الاستشراق، و الاستعمار: دراسة وتحليل وتوجيه، الطبعة الثامنة، دمشق: دار القلم، 2000م، (سلسلة أعداء الإسلام).

- العقيدة الإسلامية وأسسها ، ط 17، دمشق: دار القلم، 1438 هـ/ 2016 م، (سلسلة في طريق الإسلام)

٧٩. ميرى، جوزيف، وآخرون ، أفلاطون، الأفلاطونية والأفلاطونية الحديثة ، لندن: موسوعة القرون الوسطى للحضارة الإسلامية، المجلد الثاني، 2006 م.

٨٠. النجار، عبد المجيد، الحرية الدينية في الشريعة الإسلامية: أبعادها وضوابطها، الشارقة: منظمة المؤتمر الإسلامي، الدورة التاسعة عشر، 2012م.

٨١. نشار، علي سامي، مناهج البحث عند مفكري الإسلام، ط 1، القاهرة: دار المعارف، 1947 م.

٨٢. نويمان، فرانز ليوبولد، البهيموت، بنية الاشتراكية القومية (النازية) وممارساتها 1933-1944، ط 1، ترجمة حسني زينة، بيروت: منشورات المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2017 م.

٨٣. نيكسون، ريتشارد، الفرصة السانحة، ط 1، ترجمة احمد صدقي مراد، القاهرة: دار الهلال، 1992 م.

٨٤. الهندي، رحمة الله بن خليل الرحمن، إظهار الحق، ط 1، بيروت: دار الجيل، د.ت.

٨٥. هونكة، زيغريد، شمس العرب تسطع على الغرب : أثر الحضارة العربية في أوروبا ، الطبعة الثامنة، ترجمة فاروق بيضون و كمال دسوقي، بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1993 م.

٨٦. يلداء، جورج، التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ، الجزء الثاني، لندن: منشورات الكنيسة الكلدانية، 2011 م.

٨٧. يوسف، بشير، الصابئة المندائيون بين الإنصاف والإجحاف ، ط 1، القاهرة: شمس للنشر والإعلام، 2017 م.

• رسائل الماجستير:

١. أبوسنينة، تهاني عبد العزيز، جهود ابن حزم في نقض العهد الجديد ، غزة: الجامعة الإسلامية، 1436 هـ/ 2015 م.

٢. نسيلة، ناجي، ابن حزم: آراؤه ومنهجه، ومذهبه الفقهي ، البويرة (الجزائر): جامعة أكلي محند أولحاج 2014/2015 م.

• الدوريات:

٣. قطب، سيد، عدونا الأول: الرجل الأبيض، القاهرة: مجلة الرسالة، العدد (1009)، 1952/11/3، م.
٤. مقابلة مع صامويل هنتنغتون وفرانسيس فوكاياما (الإسلام والغرب)، مجلة نيوزويك الأمريكية، العدد السنوي، 12/2001-2/2002م.
٥. هيئة التحرير، تصريحات جون أشكروفت، جريدة الشرق الأوسط، 21/2/2002م.
٦. هيئة التحرير، حول تصريحات جوزيف ليبرمان، صحيفة الأهرام، 16/1/2002م.
٧. هيئة التحرير، حول تصريحات بات روبرتسون، جريدة الشرق الأوسط، 3/2/2002م.

• المواقع الإلكترونية:

١. اختيار اسم بندكت:
<https://www.forbes.com/sites/quora/2013/03/04/how-does-the-pope-choose-his-pope-name/#71c12ce748ae>
٢. بوش يستخدم مُجددا تعبير "حرب صليبية":
<https://www.alarabiya.net/articles/2004%2F04%2F19%2F2402>
٣. بيير أندريه تاغيف:
<https://ar.unionpedia.org>
٤. حركة تضامن البولندية
<https://www.albayan.ae/paths/2008-11-14-1.691808>
٥. دور الكرادلة في الكنيسة الكاثوليكية:
<https://www.dummies.com/religion/christianity/catholicism/the-role-of-cardinals-in-the-catholic-church/>
٦. رسالة المسيح القادي:

https://w2.vatican.va/content/john-paul-ii/en/encyclicals/documents/hf_jp-ii_enc_07121990_redemptoris-missio.html

٧. رومانو جوارديني

<https://www.ncregister.com/daily-news/romano-guardini-beloved-theologian-of-two-popes-and-potential-saint>

٨. سيرة البابا بندكت السادس عشر موقع الفاتيكان

http://www.vatican.va/content/benedict-xvi/en/biography/documents/hf_ben-xvi_bio_20050419_short-biography_old.html

٩. سيرة بيوس الحادي عشر:

<https://www.vatican.va/content/pius-xii/en.html>

١٠. سيرة يوحنا بولس الثاني.

<https://www.biography.com/religious-figure/john-paul-ii>

١١. صالحة علام: أسباب رفض عضوية تركيا للاتحاد الأوروبي:

<https://mubasher.aljazeera.net/opinions/2019/3/29>

١٢. طريقة أمريكا في مكافحة الإرهاب:

<https://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/tqym-aljhwd-alamrykyt-lmkafht-alarhab-mndh-ahdath-11-sbtmbr>

١٣. عبء الرجل الأبيض، منتدى قالمة للعلوم السياسية:

<https://web.archive.org/web/20200324184718/https://guelma.yoo7.com/t5442-topic>

١٤. غوتليب سونجن: https://www.kaththeol.uni-muenchen.de/ueber_die_fak/gesch_fakultaet/profs_1826_2013/soehng_en/index.html

١٥. كلية اللاهوت الكاثوليكي - غوتليب سونجن

https://www.kaththeol.uni-muenchen.de/ueber_die_fak/gesch_fakultaet/profs_1826_2013/soehng_en/index.html

١٦. مارجریت تاتشر تغضب

المسلمين

http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/news/newsid_1578000/1578826.stm

١٧. ماركتل إم أن: <https://www.marktl.de/en/ueberblick.php>

١٨. مجمع الفاتيكان الثاني (1962-1965 م)

<https://st-takla.org/books/helmy-elkommos/catholic/council-vatican-ii-1962.html>

١٩. محاكم التفتيش:

<https://www.marefa.org/%D9%85%D8%AD%D8%A7%D9%83%D9%85%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%81%D8%AA%D9%8A%D8%B4>

٢٠. معنى المجمع المسكوني:

٢١. <https://books.google.ps/books>

٢٢. معنى ليتورجيا.

https://st-takla.org/Coptic-Faith-Creed-Dogma/Coptic-Rite-n-Ritual-Taks-Al-Kanisa/Dictionary-of-Coptic-Ritual-Terms/7-Coptic-Terminology_Kaf-Kaaf-Laam/Litorgia__Liturgy.html

٢٣. موقع العربية: تصريح جورج الابن عن الحرب الصليبية:

<https://www.alarabiya.net/articles/2004/04/19/2402.html>

٢٤. وظيفة الكاردينال:

<https://www.dummies.com/religion/christianity/catholicism/the-role-of-cardinals-in-the-catholic-church/>

٢٥. ويل ديورانت:

<https://www.arageek.com/bio/will-durant>

٢٦. اليمين الأوروبي المتطرف:

<https://www.aljazeera.net/2004/10/03>

الملاحق:

- ١ . محاضرة الإيمان والعقل، بندكت السادس عشر.
- ٢ . وثيقة أمريكية، تؤكد موقف الفاتيكان الفعلي من انضمام تركيا للاتحاد الأوروبي.

ملحق "1": محاضرة الإيمان والعقل (١):

"الإيمان والعقل، والجامعة: ذكريات وتأملات"

أصحاب السيادة، أصحاب السعادة، السيدات والسادة المحترمون

إنها تجربة مؤثرة بالنسبة لي ، أن أعود مرة أخرى إلى الجامعة ، وأن أتمكن مرةً أخرى من إلقاء محاضرة على هذه المنصة ، أتذكر تلك السنوات التي بدأت فيها التدريس في جامعة بون ، بعد فترة ممتعة في كلية فرايسينغ، كان ذلك في عام 1959 ، في أيام الجامعة القديمة المكوّنة من أساتذة عاديين، لم يكن للكراسي المختلفة مساعدين أو أمناء ، ولكن في المقابل كان هناك الكثير من الاتصال المباشر مع الطلاب ، وبخاصة بين الأساتذة أنفسهم ، كُنّا نلتقي قبل وبعد المحاضرات في غرف أعضاء هيئة التدريس ، وكان هناك تبادل نشط بين المؤرخين والفلاسفة وعلماء اللغة، وبطبيعة الحال، بين اللاهوتيي ن، مرة واحدة في الفصل الدراسي كان هناك أكاديمي يموت، عندما ظهر أساتذة من كل كلية أمام طلاب الجامعة بأكملها، ممّا جعل التجربة حقيقية للجامعات - وهو أمر ذكرته أنت أيضًا، أيها الرئيس الرائع، لتجربة بمعنى آخر.

والحقيقة أنه على الرغم من تخصصاتنا ، التي تجعل من الصعب في بعض الأحيان التواصل مع بعضنا البعض، فقد صنعنا لكّ ما قدرنا عليه ، وكنا نعمل في كلّ شيء على أساس عقلانية واحدة ، بجوانبها المختلفة وننتشارك في المسؤولية عن الاستخدام الصحيح للعقل - هذا الواقع أصبح تجربة حياة.

وقد كانت الجامعة أيضًا فخورة جدًا بكليتيها اللاهوتيتين ، كان من الواضح أنّهم، من خلال الاستفسار عن معقوليّة الإيمان، وقاموا أيضًا بعمل هو بالضرورة جزء من "كلّ" العالم العلميّ، حتّى لو لم يكن بإمكان الجميع مشاركة الإيمان الذي يسعى اللاهوتيون إلى ربطه بالعقل باعتباره الكامل، هذا الإحساس العميق بالتماسك داخل عالم العقل لم يكن مُضطربًا، حتّى عندما تم الإبلاغ مرّة واحدة بلقّ زميلًا قال: إن هناك شيئًا غريبًا في جامعتنا: "كان لديها كليتان مكرستان

(١) ينظر: مكتبة الفاتيكان الإلكترونية، 2006م. الرابط: https://www.vatican.va/content/benedict-xvi/en/speeches/2006/september/documents/hf_ben-xvi_spe_20060912_university-regensburg.html#_ftn11

لشيء غير موجود: الله" ، فحتّى في مواجهة مثل هذا الشك الراديكالي، لا يزال من الضروري والمعقول إثارة مسألة الله ، من خلال استخدام العقل، والقيام بذلك في سياق اتّباع الإيمان المسيحيّ: وهذا، تمّ قبوله دون سؤال، في كلّ أرجاء الجامعة.

وقد تذكرت كلّ هذا مؤخراً، عندما قرأت طبعة البروفيسور ثيودور خوري ، وكانت قراءتي لجزء من الحوار الذي أجراه -ربما في عام (1391م) في تكنتات الشتاء بالقرب من أنقرة - الإمبراطور البيزنطي المتّقف مانويل الثاني باليولوجوس ومتّقف (فارس) فارسيّ ، في موضوع المسيحيّة والإسلام، وحقيقة كليهما^(١)، و يُفترض أنّ الإمبراطور نفسه هو من أجرى هذا الحوار أثناء حصار القسطنطينية بين عامي (1394 و 1402م)؛ وهذا من شأنه أن يفسر سبب تقديم حججه بتفصيل أكبر من تلك التي قدمها محاوره الفارسي^(٢).

تراوح الحوار على نطاق واسع حول هياكل الإيمان الواردة في الكتاب المقدس والقرآن، ويتعامل بشكل خاص مع صورة الله والإنسان، بينما يعود بالضرورة مراراً وتكراراً إلى العلاقة بين "القوانين" الثلاثة أو "قواعد الحياة" وهي: العهد القديم والعهد الجديد والقرآن.

ولا أنوي مناقشة هذا السؤال في هذه المحاضرة ، وهنا أودّ أن أناقش نقطة واحدة فقط - وهي هامشيّة إلى حدّ ما بالنسبة للحوار ككلّ - لكنّي وجدتها مثيرة للاهتمام، في سياق قضية "الإيمان والعقل" ويمكن أن تكون بمثابة نقطة انطلاق لأفكاري بشأن هذه المسألة.

في المحادثة السابعة (المحاضرة - الحوار) التي حرّرها البروفيسور خوري، تطرّق الإمبراطور إلى موضوع الجهاد ، ولابد أنّ الإمبراطور كان يعلم أن سورة (2 ، 256) تقول ﴿لا

(١) من إجمالي 26 محادثة (محاضرة) يترجم خوري هذا على أنّه الحوار ("المحقّق") ، نشر ت. خوري "الجدل" السابع مع هوامش ومقدمة موسعة عن أصل النص ، على نهج المخطوطة وبنية الحوار ، جنباً إلى جنب مع ملخصات موجزة عن "الخلافات" غير المدرجة في الطبعة ؛ والنص اليوناني مصحوب بترجمة فرنسية: "مانويل الثاني: حوارات مع مسلم. ط 7. الخلاف" ، باريس، 1966 م.

(٢) حول أصل الحوار وتتيجه، راجع: خوري ، ص 22 - 29 ؛ ويمكن أيضاً العثور على تعليقات مستفيضة في هذا الصدد في إصدارات فورستل وتراب،

إكراه في الدين ﷺ، ووفقًا لبعض الخبراء، ربما تكون هذه إحدى سور الفترة المبكرة، عندما كان محمد ﷺ لا يزال عاجزًا وواقعا تحت التهديد.

لكن من الطبيعي أن يكون الإمبراطور على علم أيضًا بالآيات، التي تم تطويرها لاحقًا وتسجيلها في القرآن، بشأن الحرب المقدسة، ودون الخوض في التفاصيل، مثل الاختلاف في المعاملة الممنوحة لأهل "الكتاب" و "الكفار"، يخاطب (الإمبراطور) محاوره بفضافة مذهلة فضافة نجدها غير مقبولة، والسؤال المركزي حول العلاقة بين الدين والعنف بشكل عام، قائلاً: "أرني فقط الجديد الذي جاء به محمد ﷺ، ولن تجد إلا الشرور و كل ما هو لاإنساني، مثل أمره أن ينشر الإيمان الذي دعا به بالسيف".^(١)

والإمبراطور، بعد أن عبّر عن نفسه بقوة، يشرح بالتفصيل الأسباب التي تجعل نشر الإيمان من خلال العنف أمرًا غير معقول، فللعنف لا يتوافق مع طبيعة الله وطبيعة الروح، "الله"، و كما يقول "الله لا يرضى بالدم - وعدم التصرف بشكل معقول يتعارض مع طبيعة الله، فللإيمان يولد من الروح وليس الجسد، ومن يقود شخصًا إلى الإيمان يحتاج إلى القدرة على التحدث جيدًا، وإلى العقل السليم، ودون عنف أو تهديد... لإقناع نفس عاقلة، لا يحتاج المرء إلى ذراع قوي، أو أسلحة من أي نوع، أو أي وسيلة أخرى لتهديد شخص بالموت ...".^(٢)

(١) الحوار السابع، ج 2: خوري، ص 142 - 143؛ فورستل، المجلد الأول والسابع، حوار 1.5، ص 240-241. وفي العالم الإسلامي، أخذ هذا الاقتباس للأسف على أنه تعبير عن موقف شخصي، مما أثار سخطًا مفهومًا، أمل أن يرى قارئ نصي على الفور أن هذه الجملة لا تعبر عن وجهة نظري الشخصية للقرآن، والتي أحترمها بسبب كونه الكتاب المقدس لدين عظيم، في اقتباس نص الإمبراطور مانويل الثاني، كنت أنوي فقط استخلاص العلاقة الجوهرية بين الإيمان والعقل، أنا أتفق مع مانويل الثاني بشأن هذه النقطة، لكن دون أن أؤيد جداله.

(٢) الحوار السابع، ج 3: خوري، ص 144-145؛ فورستل المجلد الأول والسابع، حوار 1.6، ص 240-243.

والعبارة الحاسمة في هذه الحجة ضدّ التحوّل العنيف هي: "عدم التصرّف وفقاً للعقل يتعارض مع طبيعة الله" (١)، ويعلّق المحرّر ثيودور خوري بالآتي: "بالنسبة للإمبراطور، باعتباره بيزنطياً شكلته الفلسفة اليونانية، فإنّ هذا البيان بديهي ، لكن بالنسبة لتعاليم المسلمين، فإنّ الله سام تماماً، وإرادته ليست مرتبطة بأيّ من تصنيفاتنا، حتّى تلك الخاصة بالعقلانية (٢)، ويستشهد خوري هنا بعمل للإسلاميّ الفرنسي الشهير ر. أرنالديز، الذي يشير إلى أنّ ابن حزم ذهب إلى حد القول "إنّ الله غير ملزم حتّى بكلمته، وأتّه لا شيء يُلزمه بإعلان الحقيقة لنا ، ولو كانت إرادة الله عبادة الأصنام، لكان علينا حتّى أن نفعل(٣)".

في هذه المرحلة، وفيما يتعلّق بفهم طبيعة الله، وبالتالي الممارسة الملموسة للدين ، فإنّنا نواجه معضلة لا مفرّ منها وهي: هل الاقتناع بأنّ التصرف غير المعقول يتعارض مع طبيعة الله هو مجرد فكرة يونانيّة، أم أنّ هذا الكلام دائماً صحيح في جوهره؟.

أعتقد أنّه يمكننا هنا رؤية الانسجام العميق بين ما هو يوناني -بالمعنى الأفضل للكلمة- والفهم الكتابي للإيمان بالله، وبعد تعديل الآية الأولى من سفر التكوين، وهي أول آية من الكتاب المقدس كلّّه، بدأ يوحنا مقدمة إنجيله بالكلمات: "في البداية كان العقل (اللوغوس)"، وهذه الكلمة هي ذاتها التي استخدمها الإمبراطور: الله يعمل بالتوافق مع العقل".

الكلمة تعني كلاً من العقل والكلمة - أي سبب إبداعي وقادر على التواصل مع الذات، بالضبط كالعقل، هكذا قال يوحنا الكلمة الأخيرة في مفهوم الكتاب المقدس عن الله، وفي هذه الكلمة تجدّ كل الخيوط الشاقة والمتعرجة للإيمان الكتابي ذروتها وتوليّفها.

(١) من أجل هذا الموضوع فقط اقتبست الحوار بين مانويل ومحاوره الفارسي، فهذا الموضوع يُظهر موضوع تأملاتي اللاحقة.

(٢) راجع: خوري ص144.

(٣) ار. أرنالديز، النحو واللاهوت عند ابن حزم القرطبي(الأندلسي)، باريس 1956 ، ص13. وراجع خوري ص. 144. وحقيقة وجود مواقف مماثلة في لاهوت العصور الوسطى المتأخرة ستظهر لاحقاً في خطابي.

وفي البدء كان العقل، والعقل هو الله، كما يقول الإنجيل، واللقاء بين الرسالة الإنجيلية والفكر اليوناني لم يحدث بالصدفة، ورؤية القديس بولس، الذي رأى الطرق المؤدية إلى آسيا ممنوعة وفي المنام رأى رجلاً مقدونياً يتوسل إليه: "تعال إلى مقدونيا وساعدنا!" (راجع أعمال الرسل 16: 10-6) - يمكن تفسير هذه الرؤية على أنها "خلاصة" للضرورة الجوهرية للتقارب بين الإيمان الكتابي والتفسير اليوناني.

في الواقع، كان هذا التقارب مستمراً لبعض الوقت، إن اسم الله الغامض، الذي تمّ الكشف عنه من الأكمة المحترقة، هو الاسم الذي يفصل هذا الإله عن جميع الآلهة الأخرى بأسمائهم العديدة، ويؤكد ببساطة على أنه "أنا"، يمثل بالفعل تحدياً لمفهوم الأسطورة، الذي يطرحه سقراط. إن محاولة هزيمة الأسطورة وتجاوزها تقع في تشابه عجيب⁽¹⁾، ففي العهد القديم، وصلت العملية التي بدأت في الأكمة المشتعلة إلى مرحلة النضج الجديدة في وقت السبي، عندما أعلن إله إسرائيل، الذي حرم إسرائيل الآن من أرضه وعبادته، على أنه إله السماء والأرض، وصف في صيغة بسيطة، تردد الكلمات التي نطق بها على الشجيرة المشتعلة: "أنا"، هذا الفهم الجديد عن الله مصحوب بنوع من التنوير الذي يجد تعبيراً صارخاً في السخرية من الآلهة التي هي مجرد عمل أيدي البشر (راجع مز 115).

وهكذا، وعلى الرغم من الصراع المرير مع هؤلاء الحكام الهه طهين الذين سعوا إلى تكييفها بالقوة مع عادات وعبادة الإغريق الوثنية، فإن الإيمان الكتابي، في الفترة الهلنستية، واجه أفضل ما في الفكر اليوناني على مستوى عميق، مما أدى إلى إثراء متبادل، وواضح بشكل خاص في أدبيات الحكمة اللاحقة.

فنحن نعلم اليوم أن الترجمة اليونانية للعهد القديم التي صدرت في الإسكندرية - الترجمة السبعينية - هي أكثر من مجرد ترجمة مجردة للنص العبري (وبهذا المعنى ليست مرضية حقاً):

(1) فيما يتعلق بالتفسير الذي نوقش على نطاق واسع لحلقة الشجيرة المحترقة، أشير إلى كتابي مقدمة إلى المسيحية، لندن 1969 م، ص 77-93 (نُشر في الأصل باللغة الألمانية، ميونيخ 1968 م؛ ملاحظة: تشير الصفحات المقتبسة إلى الفصل بأكمله بعنوان "الإيمان بالله من الكتاب المقدس"). وأعتقد أن تصريحاتي في ذلك الكتاب، وعلى الرغم من التطورات اللاحقة في المناقشة - لا تزال صالحة اليوم.

إنّها شاهد نصيّ مستقل، ومميّز، ومهم، وهي خطوة في تاريخ الوحي، أدّت إلى هذا اللقاء بطريقة كانت حاسمة في ولادة المسيحيّة وانتشارها (١). ويحدث هنا لقاء عميق بين الإيمان والعقل، لقاء بين التنوير الحقيقي والدين، من قلب الإيمان المسيحيّ، وفي الوقت نفسه، من قلب الفكر اليونانيّ الذي انضم الآن إلى الإيمان، وكان مانويل الثاني قادرًا على أن يقول: إنّ عدم التصرّف "بعقل" يتعارض مع طبيعة الله.

ويكلّ صدق، يجب على المرء أن يلاحظ أنّه في أواخر العصور الوسطى وجدنا اتجاهات في اللاهوت، كان من شأنها أن تقطع هذا التوافق بين الروح اليونانيّة والروح المسيحيّة، وعلى النقيض من ما يسمى بذهنية أوغسطين وتوما، فقد نشأت مع "دونس سكوت" طوعيّة أدّت، في تطوراتها اللاحقة، إلى الادّعاء بأننا لا نستطيع إلا معرفة إرادة الله الطوعيّة.

وأبعد من هذا هو مجال حرّيّة الله، التي بموجبها كان بإمكانه أن يفعل عكس كل ما فعله، وهذا يؤدي إلى ظهور مواقف تقترب بوضوح من مواقف ابن حزم، وتؤدي إلى صورة إله متقلّب غير مرتبط حتى بالحق والصلاح، فلقد تمّ تعظيم سمو الله وغيريته لدرجة أن عقلنا، وإحساسنا بالحق والخير، لم يعد مرآة حقيقية لله، الذي تظنّ أعمق إمكانياته بعيدة المنال إلى الأبد، ومخفيّة وراء قراراته الفعلية.

وعلى العكس من ذلك، أصرّ إيمان الكنيسة دائمًا على أنّه بين الله وبيننا، بين روح الخالق الأبديّ وعقلنا المخلوق، يوجد تشابه حقيقي، حيث - كما ذكر مجمع لاتيران الرابع في عام 1215 م - يظل التباين أكبر بلا حدود من التشابه، ولكن ليس إلى درجة إلغاء القياس ولغته.

فإنه لا يصبح أكثر إلهيًّا عندما ندفعه بعيدًا عنّا في إراديّة محضّة لا يمكن اختراقها؛ وبالآخرى، الإله الإلهي حقًا هو الله، الذي أعلن عن نفسه على أنه عقل، وقد عمل واستمر في العمل بمحبة نيابة عنّا، ومن المؤكد أنّ المحبّة، كما يقول "القديس بولس" "تتجاوز" المعرفة، وبالتالي فهي قادرة على إدراك أكثر من مجرد التفكير، راجع رسالة إلى أهل أفسسوس (19:3)؛ مع

(١) راجع أ. شنكر، محاضرة "الكتاب المقدس موجود في عدة أشكال قانونية متزامنة"، تفسير الكتاب المقدس في الكنيسة.. وقائع الندوة التي روج لها مجمع عقيدة الإيمان، مدينة الفاتيكان 2001 م، ص. 178-186.

ذلك، لا تزال محبة الله (الكلمة) باقية، وبالتالي، فإنَّ العبادة المسيحية هي، مرةً أخرى على حد تعبير "بولس"، عبادة منسجمة مع الكلمة الأبدية ومع عقلنا (١)، راجع رسالة إلى أهل رومية (12:1).

وقد كان هذا التقارب الداخلي بين الإيمان الكتابي والبحث الفلسفي اليوناني، حدثًا ذو أهمية حاسمة، ليس فقط من وجهة نظر تاريخ الأديان، ولكن أيضًا من وجهة نظر تاريخ العالم - وإنه حدث يهمننا حتى اليوم - فبالنظر إلى هذا التقارب، ليس من المستغرب أنَّ المسيحية، على الرغم من أصولها وبعض التطورات الهامة في الشرق، اتخذت أخيرًا طابعها التاريخي الحاسم في أوروبا، و يمكننا أيضًا التعبير عن هذا بطريقة أخرى: هذا التقارب، مع الإضافة اللاحقة للتراث الروماني، خلق أوروبا، ويظلُّ أساس ما يمكن تسميته بحقَّ أوروبا.

ولقد قوبلت الأطروحة القائلة "بأنَّ التراث اليوناني المنقَّى بشكل نقدي، يشكّل جزءًا لا يتجزأ من الإيمان المسيحي"، إلى الدعوة لفرع الطابع المسيحي عن المسيحية"، وهي دعوة سيطرت أكثر فأكثر على المناقشات اللاهوتية منذ بداية العصر الحديث، وعند النظر إليها عن كثب، يمكن ملاحظة ثلاث مراحل في برنامج إزالة الهيلينية: على الرغم من ارتباطها ببعضها البعض، إلا أنَّها تختلف بوضوح عن بعضها البعض في دوافعها وأهدافها (٢).

يظهر نزع الهيلينية لأول مرة فيما يتعلّق بمسلمات الإصلاح في القرن السادس عشر، في النظر إلى تقليد اللاهوت السكولاستي، فقد اعتقد الإصلاحيون أنَّهم يواجهون نظامًا إيمانًا مشروطًا بالكامل بالفلسفة، أيّ التعبير عن الإيمان القائم من خلال نظام فكري غريب.

ونتيجة لذلك، لم يعد الإيمان يظهر ككلمة تاريخية حيّة، بل كعنصر واحد من عناصر نظام فلسفي شامل، ومن ناحية أخرى، سعى مبدأ "سولا سكريبتورا" إلى الإيمان بشكله النقي والأساسي،

(١) في هذا الصدد، عبّرت عن نفسي بمزيد من التفصيل في كتابي "روح القدس"، سان فرانسيسكو 2000 م، ص 44-50.

(٢) من بين الأدبيات الهائلة حول موضوع نزع الهيلينية، أود أن أذكر قبل كل شيء: أ. غريلماير، "تأويل المسيحية وتهويدها كمبادئ لتفسير تاريخ العقيدة الكنسية"، وفيه. بحث كريستولوجي ووجهات نظر، فرايبورغ 1975 م، ص 423-488.

كما هو موجود أصلاً في الكلمة التوراتية ، وظهرت الميتافيزيقيا كمقدمة مشتقة من مصدر آخر ، والتي يجب أن يتحرّر الإيمان منها لكي يصبح نفسه مرة أخرى بالكامل ، فعندما ذكر "كانط" أنّه بحاجة إلى تنحية التفكير جانباً من أجل إفساح المجال للإيمان، تمّ دفع هذا الطرح جانباً بتطرّف، لم يكن بإمكان الإصلاحيين توقعه أبداً ، وهكذا رسخ الإيمان حصرياً في العقل العملي، و تم حرم انهم من الوصول إلى الواقع ككل.

بشرّ اللاهوت الليبرالي في القرنين التاسع عشر والعشرين بمرحلة ثانية في عملية نزع الهيلينية، وكان "أدولف فون هارناك" ممثلها البارز، وعندما كنت طالباً، وفي السنوات الأولى من تدريسي، كان لهذا البرنامج تأثير كبير في اللاهوت الكاثوليكي أيضاً.

وكانت نقطة انطلاقه تمييز "باسكال" بين إله الفلاسفة وإله إبراهيم وإسحق ويعقوب ، وفي محاضرتي الافتتاحية في بون عام (1959م)، حاولت أن أتطرّق إلى القضية (١)، ولا أنوي أن أكرّر هنا ما قلته في تلك المناسبة، لكنني أودُّ أن أصف على الأقل بإيجاز ما الجديد في هذه المرحلة الثانية من نزع الهيلينية، فقد كانت فكرة "هاماك" المركزية هي: العودة ببساطة إلى يسوع الإنسان وإلى رسالته البسيطة.

وتحت تراكمات اللاهوت وبالتأكيد في الهلينية، كانت هذه الرسالة البسيطة تُرى على أنها تتويج للتطور الديني للبشرية، وقيل أنّ يسوع قد وضع حدّاً للعبادة لصالح الأخلاق ، وفي النهاية تم تقديمه كأبّ لرسالة أخلاقية إنسانية ، وفي الأساس، كان هدف "هارناك" هو: إعادة المسيحية إلى الانسجام مع العقل الحديث، وتحريرها من العناصر الفلسفية واللاهوتية الظاهرة، مثل الإيمان بالوهية المسيح و الثالوث ، وبهذا المعنى، فإنّ التفسير التاريخي النقدي للعهد الجديد، كما رآه، أعاد إلى اللاهوت مكانه داخل الجامعة.

(١) نُشر حديثاً مع تعليق بقلم هاينو سونامنز (محرر): جوزيف راتزينغر-بنديكست السادس عشر ، إله الإيمان وإله الفلاسفة. مساهمة في مشكلة اللاهوت الطبيعي، يوهانس فيرلاغ لوتسدورف ، الطبعة الثانية المنقحة ، 2005م.

فالاهاوت؁ بالنسبة لهارناك؁ هو في الأساس شيء تاريخي وبالتالي علمي بحث؁ و ما يمكن قوله بشكل نقدي عن يسوع؁ إذا جاز التعبير؁ هو: تعبير عن العقل العملي؁ وبالتالي يمكن أن يأخذ مكانه الصحيح داخل الجامعة؁ ووراء هذا التفكير يكمن التحديد الذاتي الحديث للعقل؁ والذي تمّ التعبير عنه بشكل كلاسيكي في نقد "كانط"؁ ولكن في الوقت نفسه أصبح أكثر راديكالية بسبب تأثير العلوم الطبيعية؁ ويستند هذا المفهوم الحديث للعقل؁ باختصار؁ إلى توافق بين الأفلاطونية (الديكارتية) والتجريبية؁ وهو توافق أكدّه نجاح التكنولوجيا.

فمن ناحية؁ تفترض مسبقاً البنية الرياضية للمادة؁ وعقلانيتها الجوهرية؁ ممّا يجعل من الممكن فهم كيفية عمل المادة واستخدامها بكفاءة وهذه هي الفرضية الأساسية؁ إذا جاز التعبير؁ وهي العنصر الأفلاطوني في الفهم الحديث للطبيعة؁ ومن ناحية أخرى؁ هناك قدرة الطبيعة على استغلالها لأغراضنا؁ وهنا فقط إمكانية التحقق أو التزوي ر-من خلال التجربة -يمكنها أن تسفر عن يقين حاسم؁ ويمكن أن يتحول الوزن بين القطبين؁ حسب الظروف؁ من جانب إلى آخر؁ ، وبقدر ما كان المفكر إيجابياً مثل "ج. مونود"؁ فقد أعلن نفسه أفلاطونياً وديكارتيّ مقنعاً.

يؤدي هذا إلى ظهور مبدئين أساسيين للمسألة التي أثارناها؁ أولاً: نوع اليقين الناتج عن تفاعل العناصر الرياضية والتجريبية يمكن اعتباره علمياً فقط؁ و أيّ شيء يدّعي أنّه علم يجب قياسه على هذا المعيار؁ ومن ثمّ فإنّ العلوم الإنسانية؁ مثل التاريخ وعلم النفس وعلم الاجتماع والفلسفة؁ تحاول أن تتوافق مع هذا الشريعة العلمية. والنقطة الثانية؁ وهي مهمة لتأملاتنا؁ هي : أنّ هذه الطريقة بطبيعتها تستبعد مسألة الله؁ مما يجعلها تبدو سؤالاً غير علمي أو ما قبل علمي؁ ، وبالتالي؁ فإننا نواجه اختزالاً في نصف قطر العلم والعقل؁ وهو أمر يحتاج إلى التساؤل.

سأعود إلى هذه المشكلة لاحقاً؁ وفي غضون ذلك؁ يجب ملاحظة أنّه من وجهة النظر هذه؁ فإنّ أيّ محاولة للحفاظ على ادعاء اللاهوت بأنه "علمي" سينتهي بها الأمر إلى اختزال المسيحية؁ إلى مجرد جزء من ذاتها السابقة.

لكن يجب أن نقول أكثر: فلذا كان العلم ككلّ هو هذا التفسير وحده؁ فإنّ الإنسان نفسه هو الذي ينتهي به الأمر إلى الاختزال؁ وبالنسبة للأسئلة الإنسانية -على وجه التحديد- حول أصلنا ومصيرنا؁ وهي الأسئلة التي يطرحها الدين والأخلاق؁ فلا داعي لها إذن.

وتوضع تلك الأسئلة في نطاق العقل الجماعي ، كما هو محدد من قبل "العلم" ، وبالتالي يجب أن ينزل إلى عالم الذات ، ثم يقرّر الذات، على أساس تجاربه، ما يعتبره قابلاً للدفاع عنه في أمور الدين، ويصبح "الضمير" الذاتي هو الحكم الوحيد لما هو أخلاقي ، وبهذه الطريقة تفقد الأخلاق والدين قوتها على إنشاء مجتمع وتصبح مسألة شخصية تماماً .

وهذه حالة خطيرة بالنسبة للإنسانية، كما نرى من الأمراض المزعجة للدين والعقل ، والتي تتدلع-بالضرورة-عندما يتقلص العقل إلى درجة أنّ مسائل الدين والأخلاق لم تعد تهمه، ومحاولات بناء الأخلاق من قواعد التطور أو من علم النفس وعلم الاجتماع، ينتهي بها الأمر ببساطة غير كافية.

وقبل أن أستخلص الاستنتاجات التي أدّى إليها كلّ هذا، يجب أن أشير بإيجاز إلى المرحلة الثالثة من إزالة الهيلينة، والتي هي الآن قيد التقدم ، ففي ضوء تجربتنا مع التعددية الثقافية، غالباً ما يُقال في الوقت الحاضر أنّ التوافق مع الهيلينة الذي تم تحقيقه في الكنيسة الأولى ، كان توافقاً أولياً لا ينبغي أن يكون ملزماً للثقافات الأخرى ، ويقال إنّ هؤلاء لهم الحقّ في العودة إلى الرسالة البسيطة للعهد الجديد قبل ذلك التوافق، من أجل إعادة ثقافتها في بيئتهم الخاصة.

ببساطة هذا الطرح ليس مخطئاً، لكنّه فظّ ويفقر إلى الدقة ، فقد كُتب العهد الجديد باللغة اليونانية، ويحمل بصمة الروح اليونانية، التي كانت قد بلغت بالفعل مرحلة النضج مع تطور العهد القديم، وصحيح أنّ هناك عناصر في تطور الكنيسة الأولى لا يجب دمجها في جميع الثقافات، لكن القرارات الأساسية المتخذة بشأن العلاقة بين الإيمان واستخدام العقل البشري هي جزء من الإيمان نفسه؛ وهي تطوّرات تتوافق مع طبيعة الإيمان نفسه.

وهكذا توصلت إلى استنتاجي، فهذه المحاولة، المرسومة بجهود واسعة، في نقد العقل الحديث من الداخل لا علاقة لها بإعادة عقارب الساعة إلى زمن ما قبل عصر التنوير ، ورفض رؤى العصر الحديث ، ويجب الاعتراف بالجوانب الإيجابية للحدّات بلا تحفّظ ، فنحن جميعاً ممتنون للإمكانيات الرائعة التي أتاحتها للبشرية، وللتقدّم الذي تمّ منحه لنا في الإنسانية.

وعلاوة على ذلك، فإنّ الروح العلميّة - كما ذكرت أنت بنفسك أيها الرئيس العظيم - هي إرادة طاعة الحقّ ، وعلى هذا النحو، فهي تجسد موقفاً ينتمي إلى القرارات الأساسية للروح

المسيحية، والقصد هنا ليس التوقع أو النقد السلبي، بل هو توسيع مفهومنا للعقل وتطبيقه، وبينما نبتهج بالإمكانيات الجديدة المفتوحة للبشرية، نرى أيضًا المخاطر الناشئة عن هذه الاحتمالات ويجب أن نسأل أنفسنا كيف يمكننا التغلب عليها، ولن ننجح في القيام بذلك إلا إذا اجتمع العقل والإيمان معًا بطريقة جديدة، وإذا تغلبنا على قيود العقل المفروضة ذاتيًا على ما يمكن تزويره تجريبيًا، وإذا كشفنا مرة أخرى عن آفاقه الواسعة.

وبهذا المعنى، ينتمي اللاهوت بحق إلى الجامعة، ضمن الحوار الواسع بين العلوم، وهو ليس فقط نظام تاريخي وأحد العلوم الإنسانية، ولكن على وجه التحديد فإن علم اللاهوت، تحقيق في عقلانية الإيمان.

بهذه الطريقة فقط نصبح قادرين على إجراء الحوار الحقيقي بين الثقافات والأديان، والذي نحن في أمس الحاجة إليه اليوم، ويُعتقد على نطاق واسع في العالم الغربي أنّ العقل الوضعي وأشكال الفلسفة المبنية عليه هي الصالحة عالميًا فقط، ومع ذلك، فإن الثقافات الدينية العميقة في العالم ترى هذا الاستبعاد للإله من عالمية العقل بمثابة هجوم على معتقداتهم الأكثر عمقًا، إنّ العقل الذي يصم الآذان، ويُنزل الدين إلى عالم الثقافات الفرعية، غير قادر على الدخول في حوار الثقافات، وفي نفس الوقت، كما حاولت أن أبين، فإنّ العقل العلمي الحديث بعنصره الأفلاطوني الجوهري، يحمل في داخله سؤالاً يشير إلى ما وراء نفسه، وما وراء إمكانيات منهجيته.

ويجب على العقل العلمي الحديث بكل بساطة أن يقبل البنية العقلانية للمادة، وأن يقبل التوافق بين روحنا والهياكل العقلانية السائدة للطبيعة كمعطى، والتي يجب أن يستند منهجيتها.

ومع ذلك، فإنّ السؤال عن سبب وجوب أن يكون الأمر كذلك سؤالاً حقيقيًا، وهو سؤال يجب أن تعيده العلوم الطبيعية إلى أنماط ومسئوليات فكرية أخرى - إلى الفلسفة واللاهوت - فبالنسبة للفلسفة، واللاهوت، فإنّ الاستماع إلى الخبرات والرؤى العظيمة للتقاليد الدينية للبشرية، والخاصة بالإيمان المسيحي على وجه الخصوص، هو مصدر للمعرفة، وتجاهله سيكون أمرًا غير مقبول، وغير المقبول هو تقييد الاستماع والاستجابة.

هنا أتذكر شيئًا قاله سقراط لفيديو، في محادثاتهم السابقة، حيث أثرت العديد من الآراء الفلسفية الخاطئة، يقول سقراط: "سيكون من السهل الفهم إذا انزعج شخص ما من كل هذه المفاهيم

الخاطئة التي احتقرها طوال حياته وسخر من كلّ الحديث عن الوجود ، ولكن بهذه الطريقة يُحرم من حقيقة الوجود ويعاني خسارة كبيرة" (١).

فلطالما تعرّض الغرب للخطر بسبب هذا النفور من الأسئلة التي تكمن وراء عقلانيته، ولا يمكن إلا أن يعاني من الضرر الكبير، فللشجاعة في إشراك كلّ نطاق العقل الواسع، وليس إنكار عظمته، وهذا هو ال طرح الذي من خلاله يدخل اللاهوت المتأصل في الإيمان الكتابي وفي نقاشات عصرنا، وقد قال مانويل الثاني، وفقاً لفهمه المسيحي عن الله، ردّاً على محاوره الفارسي: "إنّ عدم التصرف بشكل معقول، وعدم التعامل مع الشعارات، يتعارض مع طبيعة الله". وإلى هذه الشعارات العظيمة، إلى اتساع العقل، ندعو شركاءنا في حوار الثقافات، وإعادة اكتشافها باستمرار هي المهمة العظيمة للجامعة.

(١) راجع 90 ج-د. لهذا النص ، راجع. أيضا آر غوارديني ، وفاة سقراط ، الطبعة الخامسة ، ماينز بادربورن 1987 ، ص 218-221.

ملحق "2": الفاتيكان: يُشجّع ، ولكن لا تغيير في سياسه تجاه انضمام تركيا للاتحاد الأوروبي^(١)

ملخص:

١. (ج) على الرغم من التقارير الإعلامية التي تقيد بعكس ذلك، فللفاتيكان، بظنّ دولة محايدة رسمياً بشأن موضوع طلب تركيا للانضمام إلى الاتحاد الأوروبي، وتصرّ على موقفه بأنّها لا ترى "عقبة" أمام تركيا للدخول إذا كانت الحكومة التوكيّة تفي بمعايير كوبنهاغن بشأن الدين والحرية، وسارع مسؤولو الكرسي الرسوليّ للتحديث والتوضيح ،وموقف الكرسي الرسولي عقب تقارير إعلامية عن إدعاء رئيس الوزراء التركي أردوغان الحصول على دعم جديد من البابا بنديكت. و بالإشارة إلى معايير كوبنهاغن، كما فعل وزير الخارجية الكاردينال بيترون بلالإدلاء ببيان "أمل" في أن تتمكن تركيا من تحقيقه ،من خلال الموافقة على الشروط المطروحة أمامها بخصوص عرضها الدخول في الاتحاد الأوروبي، وهذا لا ينبغي تفسيره على أنّه تأييد لدخول تركيا للاتحاد، وكان بالتأكيد تشجيعاً للحكومة التركية على التشريع الإصلاحيّ ومواصلة العمل نحو التكامل.

وفي قمة حول الأمر، وحضر القمة كثيرون،و من بينهم نائب وزير الخارجية المعادل بيترو ،وقد تحدث بارولين بصراحة،على انفراد، مؤكدا أنّ تصريحات البابا في تركيا لا تمثل تحولا في موقف الكرسي الرسوليّ،ومسؤولو الفاتيكان هنا ينتظرون عودة الوفد يوم الجمعة لسماع القصة الخلفية من "ديك رومي".

ملخص النهاية: لا تغيير على الموقف

(١) وهي رسالة من العاملين في مكتب التحقيقات الفيدرالية في الفاتيكان إلى وزارة الخارجية في الولايات المتحدة الأمريكية، بتاريخ 2006/9/1م، الرابط:

https://wikileaks.org/plusd/cables/06VATICAN249_a.html

(ج) نشرت وسائل الإعلام إدعاء رئيس الوزراء التركي أردوغان بأن البابا بنديكت أخبره أنه يدعم محاولة تركيا الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي، وفي الواقع، ووفقاً للعديد من المسؤولين رفيعي المستوى بالفاتيكان، فإنّ موقف الكرسي الرسوليّ لم يتغير، فللفاتيكان رسمياً لا يزال محايداً بشأن هذا الموضوع، ويؤكد أنه يرى أنه "لا عقبة" أمام دخول تركيا للاتحاد الأوروبي إذا استوفت الحكومة التركية المعايير التي أنشأتها قمة كوبنهاغن في ديسمبر 2002 (المرجع ب).

حديث المسؤولين في الفاتيكان

3 . سارع مسؤولو الكرسي الرسولي إلى التحدث علناً فيما يتعلق بقرارات عن تصريح أردوغان، منهم مدير المكتب الصحفي فيديريكو ، وأصدر لومباردي بياناً أكد فيه أن الكرسي الرسوليّ قد لا يملك السلطة، ولا الكفاءة للتدخل على وجه الدقة في نقطة دخول تركيا إلى الاتحاد الأوروبي، و لومباردي لاحظ أنّ البابا قد أعرب عن تقديره لمبادرة تحالف الحضارات التي روج لها رئيس الوزراء أردوغان، وأشار إلى تشجيع الفاتيكان للحوار حول هذا الموضوع والقضايا ذات الصلة، وفيها يعادل الكرسي الرسوليّ، صرّح دومينيك مامبرتي رئيس الأساقفة الجديد أنّ الكرسي الرسولي لم يعبر عن الموقف الرسميّ من قضية دخول تركيا ، وأشار إلى حاجة تركيا للارتقاء إلى مستوى معايير كوبنهاجن، وهو أمرٌ كرهه أمين الكرسي الرسوليّ الكاردينال تارسيسيو بيرتوني، الذي أعرب عن أمله في أنّ تتمكن تركيا "من استيفاء الشروط المطروحة أمامه للاندماج إلى الاتحاد الأوروبي

ملاحظة: لا ينبغي تفسير بيان بيرتون على أنه تأييد لانضمام تركيا إلى الاتحاد، لكنّه كان بالتأكيد تشجيع لتركيا على إجراء الإصلاحات المطلوبة، وكان من المهم اعتباره صوتاً علنياً نادراً للفاتيكان منذ فترة طويلة.

موقف بشأن هذه القضية:

4. (C) من القطاع الخاص، كبار المسؤولين في الفاتيكان بما في ذلك نائب وزير الخارجية بيترو بارولين أكد أن تصريحات البابا في تركيا لم تمثل تحولاً في موقف الكرسي الرسولي من محاولة تركيا الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي ، وأضاف "نأمل جميعاً أن تتخذ تركيا الخطوات الضرورية، حول الحرية الدينية وحقوق الإنسان ، وقال لنا مسؤول في وزارة الخارجية ، سوف تدخل وسائل الإعلام ،"فقل دائماً ما يريدون"، لكنّ موقف الفاتيكان لم يتغير، وقد قال ذلك سرّاً، وكان مثشككاً بالالتزام تركيا بالحرية الدينيّة، على سبيل المثال، قانون المؤسسات الجديد للحكومة التركيّة (المرجع أ). ولا مزيد من التفاصيل.

5. (ج) في أعقاب خطابه في ريغنسبورغ وفي جهد لتوضيح أو تخفيف تصريحاته التي تم تداولها على نطاق واسع في عام 2004، هناك شكوك حول مكانة تركيا في الاتحاد الأوروبي (يرجى مراجعة المرجع ج) ،ومن المحتمل أنّ بنديكت قال شيئاً إيجابياً نسبياً عن التكامل الأوروبي، وأنّ أردوغان (لأي سبب كان) يتم تفسيره على نطاق أوسع ، كان البابا يحاول بالتأكيد صنع وجه إيجابي في رحلته إلى تركيا كلما أمكن ذلك، وتجدر الإشارة إلى التحول في اللهجة عن عام 2004، وسوف تحافظ الفاتيكان على حيادها بشأن مسألة الاتحاد الأوروبي، ولكن سرتشجع الحوار، وإجراء المزيد من الإصلاحات مفيد في سياق أهداف حكومة الولايات المتحدة بشأن هذه القضية.

ساندرو لينيني

الفهارس:

- ١ . فهرس الآيات الكريمة.
- ٢ . فهرس الأحاديث الشريفة.
- ٣ . مسرد المحتويات.

فهرس الآيات الشريفة:

الصفحة	الآية الكريمة
4	﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ﴾
57	﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾
57	﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۚ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾
79	﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾
79	﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾
79	﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾
80	﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ۚ﴾
80	﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾
80	﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾
81	﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾
81	﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾
82	﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾
83	﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾
84	﴿كُنْتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾
84	﴿وَوَكَّفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾
84	﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾
84	﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾

- 84 ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾
- 88 ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾
- 88 ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۗ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾
- 89 ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾
- 89 ﴿وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾
- 90 ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾
- 90 ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنْمَّا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْتُمْ لَنَا لَا تَرْجِعُونَ﴾
- 90 ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۗ﴾
- 90 ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾
- 90 ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾
- 91 ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾
- 91 ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾
- 91 ﴿فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾
- 94 ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾
- 96 ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾
- 96 ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾
- 97 ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْعَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾
- 97 ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾

الصفحة	الآية الكريمة
99	﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾
99	﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ ۖ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾
100	﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾
114	﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾

مسرد المحتويات:

رقم الصفحة	الموضوع
ا	إقرار
ب	شكر وعرافان
ج	الملخص
1	المقدمة
4	تمهيد: حال أوروبا في هذا العصر
17	الفصل الأول-سيرة بابا روما بندكت السادس عشر.
18	المبحث الأول-الاسم المولد والنشأة والتعليم
20	المبحث الثاني-ثقافته، وأساتذته.
24	المبحث الثالث: دخول بندكت الكنيسة، و تدرّجه في سلكها.
30	المبحث الرابع: مؤلفاته.
41	الفصل الثاني-مواقف بندكت السادس عشر من الإسلام.
42	تمهيد
63	المبحث الأول-مواقف بندكت من الإسلام خلال مسيرته الكنسيّة.
66	المبحث الثاني-مواقف بندكت من الإسلام من خلال كتابه بلا جذور.
73	المبحث الثالث-مواقف بندكت من الإسلام من خلال خطابه في جامعة ريجنسبرغ.
93	الفصل الثالث: مناقشة وتحليل آراء بابا روما بندكت السادس عشر.

94	المبحث الأول: تصوّره للذات الإلهية.
100	المبحث الثاني: تصوّره لشخص النبي الكريم ﷺ .
105	المبحث الثالث: رأي بندكت في القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة.
109	المبحث الرابع: تصوّره لبعض علماء المسلمين (ابن حزم الأندلسي نموذجاً)
116	الخاتمة
119	المصادر والمراجع
131	الملاحق
132	ملحق "1" محاضرة الإيمان والعقل
144	ملحق "2" الفاتيكان: يشجّع ، ولكن لا تغيير في سياسته تجاه انضمام تركيا للاتحاد الأوروبي
147	الفهارس
148	فهرس الآيات الكريمة
151	فهرس الأحاديث الشريفة
152	مسرد المحتويات